A NATION OF SHEEP



في السياسة الخارجية الأمريكية والتعتيم
الإعلامي وحجب الحقائق عن الشعب

ترجمه وقدم له
د/ عدنان شوكت شومان



William J . Lederer



المملكة العربية السعودية - جدة - حي مشرفة
شارع الستين - عمارة الشلهوب - مكتب ٣٣
ص.ب ٤١٥٤٧ الرمز البريدي: جدة ٢١٥٣١٤
هاتف : ٦٧٠٣٣٣٦/ ٦٧٦٢٤٣١

الجمهورية العربية السورية - دمشق
ص ب ٩١٨٤ - هاتف ٦١١٩٣٦١
E-mail raya-center@yahoo.com

مؤسسة ثقافيَّة ناشرة، تُعنى بالإبداع الفكري وتجلِّياته، وتسعى لبعث فكر حضاري رشيد، يعانق الآخر ولا يستبعده، ويُغذِّي أنهار المعرفة بفكرٍ مضيء ووجدان سليم... لبناء غدٍ أفضل.

أمة من الغنم

عنوان الكتاب : أمة من الغنم
تأليف : د/ وليام ج. ليدرر
ترجمه : د/ عدنان شوكت شومان
قياس الصفحة : ١٤× ٢١
عدد الصفحات : ٢٦٤
عدد النسخ : ٢٠٠٠

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

أمة من الغنم

تأليف

د/ وليام ج . ليدرر

ترجمه

د/ عدنان شوكت شومان




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

بقلم . عبدالله زنجير(*)

حدثنا د. ماجد عرسان الكيلاني عن حوار طريف مع أستاذ جامعي أمريكي كان سأله عن علة تحريم الخنزير في الإسلام؟ فأجابه بما هو موجود في تراثنا الفقهي عن هذه المسألة. فلم يقتنع زميله الأمريكي وطلب منه سبباً آخر . . فأجابه بما هو شائع في الموروث الشعبي من أن لحمه يقتل الغيرة في الرجل، والدليل هذا الدرك الذي وصلت له علاقات الجنسين في الغرب! . فدهش الرجل من العلاقة المفترضة ما بين أكل اللحم وتفسير النفسيات، قبل أن يقول : وجدتها، لقد كنت أتعجب من الهزائم العربية أمام إسرائيل، إلى أن اكتشفت الآن بأن سبب ذلك هو أكلهم للحوم الأغنام! .

إن هذه القصة بدلالاتها الرمزية تصلح مدخلاً لفهم المفارقات الحضارية الراهنة ما بين الشرق والغرب، فنحن لم نطور خطابنا مع الآخر باستثناء قشور قليلة ،ورضينا بالارتهان للخيال وللمنقذ القادم

(*) كاتب وإعلامي سوري، باحث في الفكر النقدي العربي الإسلامي، مدير مجلس أعضاء مركز الراية للتنمية الفكرية .

والغـرب الـذي أخـذته العـزة بـالآلة، لـم يمارس دوره الإنساني في تعميم المعرفة، بل سارع ليستعمر وليبحث بنهم عن مصادر الطاقة في كل منحى.

لقـد كـتب رفـاعـة الطهطاوي رحـمـه الله (الذهب الإبريز في تلخـيص باريز) وكـتب من بعـده العشرات، وكان آخر ما قرأته (الغمز واللمز في وصف الامـبـراطورية التي لا تغيب عنها الشمس) للأستاذة ديمة طهـبـوب . إلاأن الكتـابة من العرب للعرب عن الغرب شيء، وكتابة الغرب عن الغرب شيء آخر ، وحين يصدر هذا الكتاب الرصين باللغة العربية ، فلكي نضيف جديداً لحركة الفكر والنشر ولاسيما في العلوم السيـاسيـة ، ولكي نتعلم من القـوم آليـاتـهم الحـوارية وجـدلهم الراشـد، بعـيـداً عن سفك الدماء وإغـراء التصفـيـة ، وأيضا لنقـرأ من منظار العلم المجرد الخلل الأخلاقي المكيا فيللي القائم بالتقادم في دوائر صناعة القـرار الأمريكي ، من غـيـر أن يعني هذا قـفـزاً على واجبـاتنا ومسؤوليـاتنا نحن في التـخلف والمظالم الداخلية والانحطاط الشامل.

إن الغرب يعلن مصائبه وكـوارثه ولا يتكتم أو يعتم عليـهـا، والاحـصـائيـات التي نسـمـعـهـا عن القـتـل والاغـتـصـاب والانحلال والدعارة والتمييز والخراب

الاجتماعي ، هم يعلنونها وهم يعالجونها ، وهل من علاج أنجع من إقامة يوم عالمي للمرأة في ٨ مارس إحياء لذكرى مجموعة من العاملات الأمريكيات قضين نحبهن خلال اضراب عن العمل قمن به قبل حوالي ١٠٠عام ، وذلك في ظل غياب وتغيب البديل المسلم الذي يشكل الخلاص الحسن من مآزق الشرق والغرب عندما يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذوي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي .

أما شرقنا الذي يستكين للكسل وتضييع الوقت ، فهو في سرور وحبور لكل ما يصيب هذا الغرب من مكاره ومكائد ، ثم تصطف طوابير شبابه أما السفارات الأجنبية بحثاً عن الهجرة والسمر والعسل في تناقض مرعب ، لن نتخلص منه بجرة قلم ! .

إنني أتفهم رأي د . خالص جلبي في هذا الكتاب ، ولكن لا أوافقه عليه فالترجمة حق وحاجة ، وهي أداة التعارف الحقيقية ما بين الثقافات والشعوب والقبائل . ود . عدنان شومان له واجب الشكر لكونه بذل من جهده وعلمه وعمله ، وهو حين يترجم لنا كتاب أمة من الغنم لمؤلف أكاديمي متخصص ، فلكي نستشرف معه مكامن الخلل والخطر في أعظم امبراطوريات الأرض قوة وقامة . بدون أن نبرر ما

جنيناه على أنفسنا وعلى الإنسانية وعلى الإسلام العظيم عندما نقضنا عراه عروة عروة . من الحكم نزولاً .

ونحن كمسلمين علينا أن لا نتشفى بأمراض الآخرين وعللهم ، ولكن نستشفي من صيدلية الحكمة التي هي ضالة المؤمن ، وما هذا الكتاب إلا نافذة علينا أن نطل من خلالها على عالم يكتنز بالآثارة والتناقض والتعقيد ، وعسى أن نفهمه ونسهم في تغييره ولو مستقبلاً ، وحتى نكون (شهداء على الناس) والله تعالى أعلم .

مقدمة المؤلف

بعد صدور كتاب "الأمريكي القبيح" بعامين ونصف تلقينا أنا وزميلي الأستاذ " أوجين بورديك " - الذي شاركني في تأليفه- أكثر من ثمانية آلاف رسالة من كل بقعة من بقاع الوطن ومن مختلف فئات الشعب الذين يمارسون عدداً كبيراً ومتنوعاً من الأعمال. لقد كانوا بصورة عامة من المواطنين العاديين الذين طرحوا بصورة أو بأخرى التساؤلات نفسها تقريباً وهي: ماذا يمكن للمواطن العادي أن يعمل لتحسين صورة الولايات المتحدة الأمريكية في الخارج؟. كيف يمكن للأمريكي تقديم المساعدة والعون لمنع ارتكاب الأخطاء القاتلة التي تساعد أعداءنا في التفوق علينا في مناطق واسعة وعديدة من العالم. وقد كان لنا لهذه الرسائل تأثير كبير واحترام فائق.

لاشك أن هذه الأسئلة محرجة جداً. وبالتأكيد لم نقدم أنا والأستاذ بورديك في كتابنا " الأمريكي القبيح " سوى إشارات وتلميحات حول الإجابة عليها. إن مفتاح حل هذه الأحاجي يكمن في الأسباب التي أدت إلى تلك الأخطاء. والسبب الرئيسي هو الجهل الشامل على المستوى الوطني بالحقائق. فلا يستطيع الفرد أو مجموع الشعب أن يعمل شيئاً

إذا كانت الحقائق غائبة أو مبهمة. وبما أن الولايات المتحدة الأمريكية بلد ديمقراطي فالجواب الواضح على الأسئلة التي طرحها ٨٠٠٠ مواطن حول كتاب "الأمريكي القبيح" هو أن نصبح جميعاً على علم بما يجري حولنا. إن هذا الأمر صعب التطبيق مثله مثل أغلب الحلول البسيطة والسهلة "السهل الممتنع". وبصورة خاصة فهو صعب التطبيق الآن في الولايات المتحدة الأمريكية لعدم توفر الحقيقة ولكون الحكومة تجهل الأحداث البسيطة الواضحة التي تحدث في الأمم الأخرى. وكذلك لأن الصحافة واثقة من أن الشعب الأمريكي لايرغب في سماع الأحداث القاسية التي تجري في الخارج والتي تحتاج إلى مجهودات كبيرة وروتينية لتغطيتها إعلامياً. وإن فقدان المعرفة بالأمور الدولية جعلت الشعب في الولايات المتحدة الأمريكية يبدو كأنه شعب من الغنم، شعب صلب ولكنه غير مبالي بما يجري حوله وليس لديه الرغبة والقدرة لمعرفة الأسباب، يوافق على أي من الحلول التي تبدو مبتذلة وسهلة والتي تأتي من مصادر تظهر بأنها أكثر معرفة من غيرها.

لقد تم تأليف هذا الكتاب مع الاعتقاد بأن إجراءً ما يجب أن يعمل بخصوصه ويجب أن يكون هذا الإجراء

في مقدور المواطن العادي القيام به . وآمل أن يقدم كتاب " أمة من الغنم " أجوبة واضحة على الأسئلة العديدة التي أثارها كتاب " الأمريكي القبيح " .

وليام . جي . ليدرر

لوول هاوس

مقدمة المترجم

شاهدت مع مجموعة كبيرة من الأساتذة والسفراء على شاشة التلفاز انهيار البناء الضخم للإدارة الفيدرالية في مدينة اوكلاهوما سيتي وكنا في حفل عشاء لدى القائم بأعمال السفارة النروجية في بيروت. وبدأت التعليقات فقال أحدهم إن هذا عمل إرهابي من منظمات شرق أوسطية. وقال ثان إنها بلا شك منظمات أصولية إسلامية. وعلق آخر لعلها عملية من عمليات المنظمات الفلسطينية ضد ماتقوم به أمريكا من دعم غير محدود لإسرائيل. ولم أقل شيئاً حتى همدت ثورة الحماسة وأفرغ كل واحد مافي جعبته من اتهامات وتخمينات فبادرت الجميع بالقول: أيها السادة أنا لاأعتقد بأن هذه العملية الفظيعة من صنع مجموعة إسلامية لأن مبادئ الإسلام الحنيف لاتسمح بمثل هذه الجرائم وبهذا الأسلوب المريع من التدمير وقتل الأبرياء. إنَّ مبادئ الدين الإسلامي تتعارض مع هذا العمل الفظيع. ولهذا أقول لكم إن الإسلام والمسلمين براء منها. وبعد يومين اتضح كل شيء فتلقيت أكثر من هاتف من بعض من كانوا في تلك الأمسية يعتذرون عن تسرعهم في إعطاء الحكم ويشكرونني على بعد نظري وتحليلي للأمور بشكل صحيح.

لقد عادت إلى ذاكرتي أقوال تلك الأمسية عندما شاهدت على شاشة التلفاز أحداث ١١ ايلول الفظيعة وانهيار برجي مركز التجارة الدولي وحادثة التخريب على أحد أبنية البنتاغون. وقلت في نفسي ياللهول ماهذا الذي أرى. وبدأت أفكر هل ياترى جاء هذا العمل من الجماعة المتطرفة نفسها التي خططت لحادث أوكلاهوما سيتي انتقاماً لإعدام عميلها؟ أم هي من تخطيط وتنفيذ تجار وسماسرة المخدرات الذين تحاربهم الولايات المتحدة في كولومبيا وغيرها من الأماكن؟ أم هي من أعمال الجيش الأحمر الياباني ؟. ولم يخطر على بالي بأنها من فعل جماعة إسلامية أبداً لأنني واثق من أن المبادئ الإسلامية لاتسمح بمثل هذا العمل.

ثم علمت من الأخبار بأن أجهزة الدولة في الولايات المتحدة الأمريكية لسبب أو لآخر تحمل مسؤولية ماحدث لجماعة بن لادن الإسلامية المسماة بتنظيم القاعدة. وبالرغم من عدم توفر الأدلة القاطعة على ذلك قامت الولايات المتحدة بتأليب العالم أجمع وأعلنت الحرب على ماأسمته "بالإرهاب"[١].

(١) نحن لا نوافق السيد المترجم الكريم على رأيه، بأنه لا تتوافر الأدلة القاطعة على تورط بن لادن وجماعته في أحداث الثلاثاء الأسود على العالم أجمع، فقد صرح بن لادن ومجموعته بأنهم هم كانوا وراء هذه الأعمال التي يحسبونها (جهاداً) الناشر.

وقد ارتكب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ثلاثة أخطاء كبيرة في حملته ضد الإرهاب: الخطأ الأول أنه قسّم العالم إلى قسمين قائلاً في خطاب علني ورسمي: كل من لايسير معنا في حملتنا ضد الإرهاب يصبح عدواً لنا. أي أنه طالب العالم أجمع أن يوافقوه على تفسيره وتعريفه للإرهاب وأن يسيروا معه "كالغنم" دون تفكير أو اعتراض لتحقق أمريكا ماتراه مناسباً.

والخطأ الثاني هو حشد الجيوش وتخصيص الأموال الضخمة لحملة عسكرية وإعلامية وسياسية بدأت الولايات المتحدة في تنفيذها ووجهت الاتهامات دون أن يكون لديها أدلة دامغة على ذلك. وهكذا بدأ القصف الوحشي لشعب أعزل في أفغانستان.

الخطأ الثالث: إعلان عداء سافر ضد الإسلام والمسلمين. وقد انعكس هذا في خطاب الرئيس بوش بقوله إنها "حرب صليبية". إن تداعيات هذا الأمر كبيرة وستكون أكثر خطراً على العلاقات بين الشعوب في المستقبل.

والذي لفت نظري قول الرئيس بوش في أول خطاب علني له بعد الحادث بأن الأمريكان يسألون أنفسهم "لماذا هم مكروهون في الخارج" ويجيب

الرئيس على هذا السؤال في خطابه " إن الأجانب يكرهوننا لأنه لدينا انتخابات ديمقراطية وحريات عامة " .

لا ياسيدي الرئيس . إن هذه الأمور تجعلنا جميعاً نحب أمريكا ، أما مايجعل الناس يكرهون أمريكا فهي أمور أخرى تماماً تتعلق بالسياسة الخارجية ومعاملة شعوب العالم بمكيالين .

إذ لم يدر في خلد السيد الرئيس ماكتبه وليام ليدرر ويوجين بورديك في الخمسينيات عن " الأمريكي القبيح " ويقصدان بذلك سياسة أمريكا الخارجية وتطبيقاتها التي تجعل من الأمريكي شخصاً مكروهاً أينما وجد .

وبعد حوالي أربعين عاماً لم تتغير سياسة أمريكا الخارجية كثيراً وبقيت كما كانت تدعم الحكومات المستبدة الظالمة ضد شعوبها المستضعفة كما تحمي المعتدين الصهاينة على أراضي فلسطين وشعبها . وتتنكر لكل مطالب الشعوب في الديمقراطية وحقوق الإنسان التي تدعي بأنها حامية لها وتطالب بها العالم أجمع .

ويكفي أن نشير إلى دكتاتور الفيلبين ماركوس

والمستبد شاه إيران والدكتاتور تشينك كاي شيك والدكتاتور سيكمان رهي والرئيس الفاسد سوكارنو والدكتاتور باتستا وجميع الحكومات العسكرية في العالم من شرقها إلى غربها .

لقد شرح الدكتور وليام ليدرر في كتابه " أمة من الغنم " فضائح السياسة الخارجية الأمريكية في لاووس وتايلند وفورموزا وكوريا وشرح بالتفصيل كيف تحكم الإدارة الأمريكية شعبها وتحجب عنه الحقائق لما يجري في العالم الخارجي وتتركه لايعرف شيئاً حتى خارج المدينة التي يعيش فيها . كما شرح لنا كيف تصاغ السياسة الخارجية الأمريكية والمساعدات الأمريكية وتغلغل هيئة الاستخبارات الأمريكية في كل مكان، لتترك شعبها وحتى ممثليه في الكونكرس ومجلس الشيوخ بلا معلومات صحيحة ومؤكدة عن أهم قضايا العالم الخارجي .

وبالرغم من النصائح المفيدة التي أوردها الدكتور ليدرر في الفصل الثالث والرابع والخامس من كتابه فلم تأخذ الحكومة الأمريكية ولا منظماتها هذه الاقتراحات على محمل الجد . وإن ماتم خلال أربعين عاماً تقريباً منذ صدور هذا الكتاب في عام ١٩٦١ لم يغير كثيراً في نظرة الشعب الأمريكي واهتماماته بالشؤون الخارجية

كما بقيت الحكومة الأمريكية تمارس تقريباً الأسلوب القديم نفسه في تعاملها مع المعلومات .

إنه كتاب قال عنه الكثيرون بأنه جدير بالقراءة والاهتمام ليس فقط للشعب الأمريكي بل لجميع سكان العالم وخاصة الوطن العربي للاطلاع على مواقف الحكومة الأمريكية والشعب الأمريكي من قضايا البلدان والشعوب الأخرى .

لقد وجدت بعد أحداث " ايلول ٢٠٠١ " العودة إلى مكتبتي القديمة ونفض الغبار عن كتاب الدكتور وليام ليدرر " أمة من الغنم " ووضعه باللغة العربية تحت تصرف القارئ العربي لمقارنته مع مايجري الآن في الولايات المتحدة الأمريكية وعلى الساحتين العربية والدولية .

د. عدنان شوكت شومان

الفصل الأول

بعض القصص

عن السياسة الخارجية الأمريكية

أولاً- خدعة لاووس:

إن انهيار أمة عريقة قد يحصل بسبب أخطاء يرتكبها شخص واحد من أبنائها. فهذه الأخطاء من شأنها أن تشجع قادتها على تخدير عامة الشعب بإعطائه نصف الحقيقة. وأن تمارس الصحافة دورها في تعميق حالة عدم الاكتراث. كما تساعد الشعب على خداع نفسه وذلك بإقناع المواطنين بالاهتمام والتركيز في حياتهم على المواقف المضحكة والتسليات التافهة للهروب من الواقع المرير.

المتهم هو ذلك الشخص الذي ترى عيناه هذه الكلمات وتحمل يداه في هذا الوقت الكتاب. والبلد هو الولايات المتحدة الأمريكية. وصاحب الذنب المدان هو الكاتب الذي فشل لسنوات عديدة في أن يصبح مواطناً حقاً. مثله مثل أغلب الأمريكيين العاديين الذين قبلوا حقوق المواطنة وحسناتها، لكنهم رفضوا أن يتحملوا مسؤولياتها.

والنتائج مأساوية. إننا اليوم أمة من مواطنين مخلصين لأمتهم في أيام الرخاء. يخدمون بلدهم فقط إذا حصلوا على مساعدات وتأمينات مالية، وتوفرت لهم الرفاهية التامة. إننا أمة من الكسالى تسعى لرشوة الأمم الأخرى المجاورة بحجة التعاون معها ودعمها.

نحن أمة من شعب يخاف أن يتكلم حول قضايا لاتروق لعامة الناس، ويلح في طلب أوقات الراحة دون أن يعرف كيف يستخدمها. إنّ تقوقعنا حول ذاتنا قد أعمى بصيرتنا عن أخطار زماننا.

إنّ هزيمة أمريكا قد لاتتم بأسلحة مدمرة أو أعمال عنف. توجد وسائل أخرى أسهل وأقل كلفة لهزيمة أمة غير مؤهلة سياسياً. فيمكن أن تحل الهزيمة بأسلحة نفسية واختناقات اقتصادية وخداعات إعلامية ومغالطات سياسية وإفساد ثقافي.

إنّ هذه النهاية يجب أن لاتحصل أبداً لشعب ذكي وواعي. غير أننا الآن نعوم في بحر من المعلومات المغلوطة المضلّلة. هذا ماجرى عندما سيطر الجهل على الأحداث الأخيرة في بلد صغير مثل لاووس والتي قبلها الكثير من الأمريكيين على علاتها.

إنّ ماقبله الكثير من الأمريكيين بدون تبصر لصورة عابرة من التاريخ هو في الحقيقة الصارخة يشكل إنذاراً قاسياً ومريراً.

إنّ أحداث لاووس المأساوية كانت نذير شؤم ولها مضاعفات مخيفة.

ففي صيف ١٩٥٩ جرت سلسلة من الأحداث في

لاووس تظهر بوضوح جهلِ أمتنا بشكل مخجل. باختصار إنّ الولايات المتحدة الأمريكية هددت بالتدخل في شؤون لاووس لأسباب لم تكن مبنية على حقائق. لقد أجبر الشعب الأمريكي على الاعتقاد بأنه تم اجتياح لاووس من قبل جيوش شيوعية أجنبية دخلوا من حدودها الشمالية. حتى إن وزير خارجيتنا صرح آنذاك بأنّ الحالة خطيرة جداً. كما دعا ممثلنا في الأمم المتحدة العالم لاتخاذ إجراء ما حيال ذلك. أما صحافتنا فقد نشرت عناوين ومانشيتات مخيفة ومرعبة. وطالب قائد أسطول البحر الأول بتدخل عسكري سريع، وقد أثنى على هذا الطلب بعض أعضاء الكونكرس بما فيهم رئيس اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري الحاكم.

غير أن القصة كانت كلها خدعة. فلم يحصل اجتياح عسكري للاووس. وبالرغم من ذلك ولمدة أسابيع عديدة لم تحاول حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ولا الصحافة الأمريكية أن تتحرى عن الحقيقة. وكانت النتيجة أننا كنا قريبين جداً من إثارة حرب طاحنة مبنية على معلومات كاذبة لم نجمعها بأنفسنا.

لقد ظهرنا أغبياء في عيون أصدقائنا، وامبرياليين

نثير الحروب في رأي أعدائنا ولدى الرأي العام في الدول المحايدة.

لم تكن قصة لاووس معزولة عن غيرها من القصص بل كانت مثلاً ونموذجاً. ويجدر بنا هنا أن نستكشف وندرس بالتفصيل ماذا يحدث في أمة صغيرة غير مكونة تماماً مثل لاووس والتي مساحتها تقارب مساحة ولاية إيداهو أو يوغوسلافيا، وتتشكل أرضها في الغالب من مستنقعات وأدغال وجبال، فيها فقط ٧٠٠ هاتف ولا يعرف عدد سكانها. غير أن علماء الإنسان يقدرون العدد بحوالي مليون ونصف، ينتشرون في قرى صغيرة معزولة عن بعضها البعض. و يعاني أغلبهم من الأمراض والأوبئة، كما أن نسبة كبيرة منهم لايعرفون اسم ملكهم ولا الأمة التي ينتمون إليها. لم يشاهدوا أو يسمعوا راديو. والطرق غير موجودة تقريباً والصحف غير معروفة. والطريقة الوحيدة التي يحصل فيها الناس على المعلومات تكون عادةً عن طريق بعض الأشخاص الذين يزورون القرى لتبليغ السكان بأمر ما، أو نقل أخبار الأحداث لهم بلهجتهم المحلية.

إنّ حكومة لاووس التي ندعمها منذ عام ١٩٥٥ حتى الآن لم تفعل شيئاً يذكر في سبيل تحسين الحالة

الصحية أو العمل على الحد من الفقر والجهل في البلاد. وإنّ المواطنين لايثقون برجال الدولة من المسؤولين والموظفين خاصة عندما يحضر إلى القرية جابي الضرائب أو أحد أفراد الجيش، عندئذ يهرع أهالي القرية إلى التلال خوفاً وتهرباً منه.

وهكذا نجد أن الشعب يعيش في ظروف قاسية من أجل البقاء على قيد الحياة. لذلك فلا داعي لأي أحد أن يرغب في قلب نظام الحكم في هكذا بلد صغير لايملك سوى أرض رديئة وسمعة غير مستحبة.

صحيح أن لاووس ليست حالياً بلداً غنياً غير أنها من الناحية الاستراتيجية والسياسية تبدو وكأنها مفتاح لصندوق الكنز الذي يحوي أرضاً سحرية تتاخم ست بلدان آسيوية هامة. فلاووس هي الممر والمدخل إلى تايلند وجنوب فيتنام وماليزيا وبورما وكمبوديا. وهي المحطة الشمالية للطريق الطبيعي الذي تأمل الصين الشيوعية بسلوكه للوصول إلى الجنوب حتى أندونيسيا.

إنَّ لاووس يمكن أن تكون المفتاح الذي يمكّن الصين الحمراء من أن تفتح به باب جنوب آسيا الذي يعتبر سلة الأرز ومخزن الثروات المتراكمة من النفط الكثير والمعادن البكر التي لم تمسها الأيدي بعد.

بالإضافة إلى توفر الأيدي العاملة الكبيرة التي تزيد عدداً عن سكان الولايات المتحدة الأمريكية. فإذا حصلت الصين الحمراء على المنطقة الغنية التي تقع جنوب لاووس فإنها سوف تحظى على موقع استراتيجي هام يحيط باستراليا ونيوزيلندا والهند. كما يسمح لها ذلك بالقضاء على المركز التجاري الياباني في بلدان جنوب شرق آسيا. والذي بدونه تصبح اليابان مضطرة للانضمام إلى المحور الشيوعي. ولهذا تبدو لاووس الصغيرة ذات المستنقعات والأدغال والجبال والأمية والمرض من البلدان الهامة. لهذه الأسباب - بالرغم من أن لاووس هي بقعة معزولة سياسياً وغامضة وغريبة - يجب أن نعرف ماذا يجري فيها من أحداث.

إن الفيتناميين الشماليين الذين تدربوا في موسكو على الشيوعية كان همّهم أن يصبحوا خبراء في شؤون لاووس مستغلين فرصة العمليات الفدائية التي اندلعت مابين قبائل شمال وجنوب البلاد. لذلك قام هؤلاء الشيوعيون الفيتناميون في زيارات للمستنقعات والأدغال يبشرون بالأفكار الشيوعية بصورة مباشرة ووجهاً لوجه.

إذاً فمن هم الشيوعيون في لاووس وأين

يتـواجـدون؟ إنه من الصـعب جـداً تحـديد عـددهم وأماكنهم لأن أغلبهم من أبناء القبائل الذين يعيشون في لاووس منذ أجيال عديدة مثل سكان قرية " كها " التي ينحـدر منهـا الكابتن كـونغ لي الذي قـاد الانقـلاب في لاووس في آب من عـام ١٩٦٠ ثم إن بعضهم جاء إلى لاووس من قبيلة تقع على الحدود مع فيتنام الشمالية التي هي في حـد ذاتهـا حـدود غـيـر مـرسـومـة وغـيـر واضـحـة. حـيث يقطـن ٥٠٪ من أبناء هذه القـبيلة في فيتنام الشمالية و ٥٠٪ في لاووس.

لقـد نشط الشيـوعيون وحـمّسـوا الشعب المسـالم للعـمل ضـد الحكومـة في مملكة لاووس. غـيـر أن الفـلاحين استـاؤوا بشـدة ومـرارة من تدخل الشبـاب الفيتناميين الشيوعيين في شؤونهم الداخلية.

ولكن بحلول عـام ١٩٥٥ كان الشيـوعيون قادرين على أن يقسموا لاووس إلى قسمين. والأسوأ من ذلك أن العائلة المالكة كانت مضطرة للانحياز إلى الشيوعيين كوسيلة من أجل الحفاظ على حياة أفرادها.

استمرت لاووس في التوجه ضد أمريكا، ويبدو أن المستخدمين من قبل وزارة الخارجية الأمريكية كانوا لايستطيعون ولا يرغبون، بالتواصل المباشر مع الشعب اللاووسي. بل كانوا ينتظرون رغم فقدان الأمل حلولاً

سحرية وسريعة. كانت الرشوة الدبلوماسية الوسيلة الفجة التي يمكن أن توصف بها الطريقة الأمريكية في معالجة الأوضاع في لاووس. ولكنها التفسير الواقعي لقرار وزارة الخارجية الأمريكية في إغداق ثروات كبيرة من المال على لاووس الصغيرة. لقد بلغت أول دفعة من هذه الأموال حوالي ٣٥ مليون دولار، خصص معظمها في تأهيل الجيش اللاووسي وتجهيزه بقرابة ٢٥ ألف جندي.

وكان الأمل أن تجد هذه الأموال طريقها بصورة عفوية وغير مخططة إلى التداول من أجل تحسين مستوى حياة الرجل العادي، ومساعدته على تعزيز مقاومته ضد الشيوعية. والسؤال هنا: كيف حددت وزارة الخارجية الأمريكية بأن ٣٥ مليون دولار في العام تكفي لخلق الاستقرار في لاووس؟ لقد بينت التحقيقات التي أجراها الكونكرس أن وزارة الخارجية لم ترسل أي خبير إلى لاووس لدراسة الاحتياجات. كما لم يجر أي تقدير للتكاليف. ففي الواقع أن ممثل الولايات المتحدة الأمريكية في لاووس قام بزيارة وزارة الدفاع الوطنية واستفسر عن تكلفة الاحتفاظ بالجيش الوطني. وقد اعترضت وزارة الدفاع الأمريكية عسكرياً على وجود جيش في لاووس مؤلف من ٢٥

ألف جندي، كما أعلنت هيئة رؤساء الأركان بعدم وجود أي سبب عسكري يستدعي مثل هذا العدد من الجيش في لاووس. ولكن بعد مناقشة دبلوماسية تخطّى السياسيون رأي البنتاغون وقرروا أن الضرورة السياسية العاجلة تتطلب إرسال الأموال إلى لاووس. وهكذا كان. ويبدو أنه لايتوفر عندنا الوقت الكافي لمعرفة الحقائق بأنفسنا.

وعلى مدى خمس سنوات دفعت الحكومة الأمريكية إلى حكومة لاووس مبالغ تقدر بـ ٢٣٥ مليون دولار، ٧٥٪ منها ذهبت إلى ما كان يسمى بالجيش الوطني، وقسم كبير من هذه الأموال سلمت نقداً ولكن اختفى أغلبها بشكل مريب عن رقابة الشعب.

رفض المسؤولون إبلاغ الإدارة الأمريكية عن مصير هذه الأموال، كما أنهم رفضوا السماح لأي شخص بمراجعة سجلاتهم. وفي حالات عديدة لم يكن هناك سجلات على الإطلاق. وعلى كل حال لم يرغب الدبلوماسيون الأمريكان في إدانة المسؤولين اللاووسيين ومضايقتهم فابتلعوا كبرياءهم ولم يتفوهوا بكلمة. فالخوف من الإدانة كان غريباً خاصة إذا عرفنا أن المساعدات الأمريكية إلى لاووس بلغت بالنسبة

للفرد أعلى من أية مساعدات خارجية أمريكية لأي بلد في العالم. لقد بلغت كلفة الجندي في الجيش الوطني في لاووس ضعف ماكان يحتاج إليه الجندي في أي بلد آخر يتلقى مساعدات أمريكية. فخلال تلك السنوات الخمس من المساعدات الأمريكية عاشت الطبقة الحاكمة في لاووس فترة مريحة فعلاً. كان في "فينتياني" عاصمة لاووس قبل بدء تدفق المساعدات الأمريكية ٣٠٠ سيارة فقط. وبعد حصول لاووس على ربع مليار دولار من المساعدات ازدحمت الشوارع الطينية بآلاف السيارات الفخمة. ولم يكن في "فينتياني" التي كانت مدينة كئيبة قبل بدء تدفق المساعدات الأمريكية سوى مطعم واحد، ولكن بعد المساعدات أخذت تتمتع هذه المدينة بعدد من الملاهي الليلية. فقيمة تناول كأس من المشروب فيها دولارين أمريكيين. وتستقبل الزبائن على المدخل فتيات جميلات أتين من هونغ كونغ وبانكوك ومانيلا وسايغون. فيما المحلات الواسعة تكتظ بالبضائع الأجنبية التي لايتمكن سكان لاووس العاديين من تحمل أسعارها أو معرفة أي شيء عنها. كما أن بعض التجار وأصحاب المحلات التجارية أتوا من الصين الشيوعية.

إنّ التقرير السابع للجنة الكونكرس حول نشاطات

الحكومة يشير إلى أن عدد بسيط من اللاووسيين (الذين كانوا قريبين من السفارة الأمريكية) اغتنوا من عمليات السوق السوداء وممارسة أعمال الصرافة وتعاطي الرشاوى. كما أن بعض الأمريكيين الموجودين في لاووس وضعوا أصابعهم في الحلة الدسمة. أحدهم مستر ماكنمارا الذي وضع الآن تحت المساءلة من قبل الهيئة العليا للمحلفين الفيدراليين بشأن تلقيه رشوة بقيمة ١٣٥٠٠ دولار. وأخر حصل على مبلغ يقدر بآلاف الدولارات عن طريق بيع سيارته المستعملة ماركة كاديلاك والتي لاتساوي أكثر من ٤٠٠ دولار. والذي اشتراها دفنها في اليوم التالي في بئر ناشف مهجور أمام عدد من أهالي المدينة وأصبحت الحكومة الأمريكية مضحكة الجمهور. يبدو أن كل فرد في العاصمة كان يكسب أموالاً، غير أن عامة الناس في لاووس وخاصة رجال القبائل في المناطق الداخلية والتلال لم ينالوا شيئاً فأخذوا يتذمرون. كما انتشرت أخبار الفساد الحكومي في تلك المناطق النائية عن طريق استخدام التلغراف البدائي بواسطة أصوات قصب البانبو وقد تطابقت هذه الأخبار تماماً مع الدعايات الشيوعية مما عزّز ثقة اللاووسيين بالشيوعيين.

وبالرغم من الهالة السرية التي أحيطت بها

عمليات المساعدات الأمريكية في لاووس (حتى إن أعضاء الكونكرس لم يتمكنوا من الحصول على معلومات عنها)، فإن أخبار الفضائح والفساد وعدم الكفاءة وعدم الأهلية بدأت تتسرب إلى الشعب الأمريكي. فظهرت مقالات حول ذلك في صحف ومجلات عديدة مثل مجلة وول ستريت وريدرز دايجست ونيويورك تايمز.

في ربيع ١٩٥٨ بدأت لجنتان من الكونكرس: لجنة الباسيفيك للسياسة الخارجية، ولجنة الشرق الأقصى الفرعية في البحث والتدقيق في الإشاعات عن عمليات الغش الواسعة وعدم جدوى المساعدات الأمريكية في لاووس. هذا بالإضافة إلى أن لجنة النشاطات الحكومية بدأت أيضاً في التحقيقات بهذا الخصوص. لقد نفى الموظفون الذين أشرفوا على توزيع المساعدات الأمريكية للاووس وجود أعمال غش وخداع واسعة أو عدم الكفاءة التي أشيعت والتي أساءت إلى كل الجهود الأمريكية في لاووس.

فقد قدّم السفير بارسونس Parsons (الذي كان مسؤولاً طيلة فترة الفساد والذي ترفّع إلى منصب مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى) إجابات حول هذا الموضوع، حاول فيها تبرير ماحصل. لقد

قدّمت جميع شهاداته انطباعاً لايقبل الشك في أنه لو كانت طرق الولايات المتحدة الأمريكية غير فعّالة تماماً فلم يكن بالإمكان تغييرها لإنجاز المهمة بالسرعة المطلوبة . وصرّح قائلاً : " كنا تجاه حالة طوارئ مباشرة يجب علينا تلبيتها . فلماذا كل هذه الضجة إذاً ؟ "

لقد تحققت الأهداف الأمريكية ونجحت الولايات المتحدة في ضرب الشيوعية في لاووس . كما أضاف السيد السفير معلقاً على مجريات الانتخابات العامة الحالية في لاووس : "بالرغم من أن النتائج النهائية لم تعرف بعد غير أنه من الواضح تماماً أن الشيوعيين قد تلقوا هزيمة كاسحة في صناديق الاقتراع " . ثم أردف قائلاً : " ليست لدينا معلومات موثوقة من مصادر أمريكية ، غير أننا حصلنا على معلومات قيل بأنها رسمية حول النتائج الأولية لخمسة عشر مقعداً من أصل واحد وعشرين . وإذا صحت هذه المعلومات يكون الحزب الشيوعي قد حصل على مقعدين فقط منها " . (التفاصيل تأتي فيما بعد لوصف ماذا يعني ذلك) .

وتابع موضحاً : " أتمنى أن لاأكون متفائلاً زيادة عن اللزوم عندما عرضت الآراء الموثوقة ويعود الفضل في ذلك إلى مساعداتنا . وآمل أن تثقوا بأننا سنحصل

على مردود جيد مقابل مساعداتنا المالية " .

هذا ليس كل شيء . طبعاً إن الهدف من هذه الأموال ليس تقديم مساعدات لمختلف فئات الشعب في لاووس وإنّما حماية استقلال لاووس وسيادتها وإبقائها في نطاق العالم الحر . إننا سوف نصل إلى مرحلة يمكننا فيها تخفيف أعباء الحياة لدافعي تقديم النصيحة والمشورة إلى السيد السفير . لذلك عندما يقدم مسؤول رسمي من وزارة الخارجية معلومات مضللة إلى الكونكرس حول أمور هامة يصبح الأمر في غاية الانحراف والخطورة .

بعد معرفة نتائج الانتخابات أصبح الكونكرس مرتاباً حقاً واستمر في إجراء التحقيقات ، واستجواب عدد من الشهود بحصافة واحترام وبدون إعلام كما تمت مراجعة الوثائق والدراسات وتم فحص ومعاينة الأمور على الطبيعة في لاووس نفسها . وبعد عام من ذلك الوقت (١٥ حزيران ١٩٥٩) نشر الكونكرس نتائج تحقيقاته تحت عنوان " التقرير السابع للجنة الكونكرس عن أعمال الحكومة " . يتألف التقرير من ٥١ صفحة تناول فضائح مخجلة في لاووس جاء فيه مثلاً : إن قرار دعم وإعاشة ٢٥٠٠٠ رجل مسلح في لاووس والذي كان الباعث عليه رغبة وزارة الخارجية

في تحقيق استقرار سياسي في البلاد — يبدو أنه شكّل الأساس لعدد من الأحداث والتطورات التي انتقصت من هذا الاستقرار، إن برنامج المساعدات السخي لم يمنع من انتشار الشيوعية في لاووس. إن انتصار الشيوعية في الواقع في انتخابات العام الماضي الذي استند إلى شعارات "الفساد في الحكومة وعدم اكتراث المسؤولين بأمور البلاد" يمكن أن يقود المرء إلى استنتاج مفاده أن برامج المساعدات الأمريكية قد ساهمت في إيجاد جو من التشكك بين أفراد الشعب حول أهمية الصداقة الأمريكية وقيمتها.

وجاء في التقرير أيضاً "كيف كان يتلقى المسؤولون الأمريكيون الرشاوى وكيف كانت تجري لفلفة الأمور بعد اكتشاف الحقائق من قبل السفير حول الفساد والتواطؤ وقد حصلت اللجنة على وثائق خطية بهذا الموضوع تثبت ذلك.

وذكر في التقرير أيضاً: "إن مد لاووس بالمساعدات الأجنبية أكثر مما يمكنها أن تستوعب قد أعاقها في تحسين أوضاع البلاد. إن التدفقات المالية الكبيرة النقدية في الاقتصاد اللاووسي بمعدلات أسرع مما يمكنه أن يستوعب نجم عنه ارتفاع نسبة التضخم وانتهاز الفرص والاستغلال" وكانت المضاعفات

واضحة. لقد اطّلع الكونكرس على العديد من حالات الفشل والإفلاس وعدم الكفاءة والفساد والرشاوى وعلى حادثة سيارة الكاديلاك التي قبرت في بئر قديم جاف وعلى محلات الكراجات الضارة. وكان الكونكرس يميل إلى تخفيض مبلغ المساعدات إلى لاووس، وقد كان ذلك آخر شيء ترغب فيه وزارة الخارجية وإدارة التعاون الدولي. وعلى الأخص أن السياسيين والتجار والأغنياء في لاووس لايرغبون في توقف هذا المنجم من الذهب الذي يغدق عليهم الثروة من أمريكا.

الآن بدأ الخداع الكبير يأخذ مجراه، والمسألة بالنسبة إلى الحكومة اللاووسية كانت تتركز على إقناع الكونكرس والشعب الأمريكي بعد الفضائح التي كشف عنها التقرير باستمرار المساعدات الأمريكية وعدم تخفيضها؟. وما هي الحجج التي ستقدمها من أجل الاحتفاظ بجيش قوامه ٢٥٠٠٠ رجل يكلف ثلاثة أضعاف مجموع الدخل الوطني في لاووس؟

إنَّ ملايين من الدولارات أنفقت على هذا "الخلط ملط" مما يدعى بالآلة العسكرية في لاووس. بالرغم من وجود القليل لإثبات ذلك. حيث لاتوجد أية مراجعة أو تحقيق عن عمليات دفع المرتبات لأفراد هذا

الجيش الذي يشبه إلى حد ما قطّاع الطرق. إن قسماً كبيراً من الأموال ذهبت لجيوب المسؤولين، فيما حوالي ٢٠٪ من هذا الجيش يصلح لدخول ساحة المعركة. كما أن هذا الجيش ليس لديه نظام اتصالات ولا مواصلات ولا خدمات صيانة بالرغم من المبالغ الضخمة التي صرفت عليه. لذا فإنه غير مؤهل، ولا يستطيع أن يتعاطى مع المتعاونين مع الشيوعيين الذين يشكلون عدداً بسيطاً أقل بكثير من عدد أفراده.

فكان من الطبيعي أن يتردد الكونكرس في تخصيص مبالغ كبيرة إضافية إلى لاووس. ففي أوائل صيف عام ١٩٥٩ فقد عدد كبير من أعضاء الكونكرس الثقة في السياسات الآسيوية لوزارة الخارجية وإدارة التعاون الدولي. غير أن الكونكرس مازال يلحظ الحاجة إلى برنامج المساعدات الخارجية ولكنه يخشى من رداءة الإدارة خاصة الخداع والفساد المشابه لما تم اكتشافه في لاووس. ويمكننا أن نتصور مادار في أذهان المسؤولين في لاووس غير أننا لسنا متأكدين من ذلك. بعد أسابيع من ذلك التاريخ تلقت حكومة لاووس نسخة من تقرير الكونكرس العتيد. وبدأت الأمور تتكشف. لقد أعلنت حكومة لاووس إلى العالم عن طريق القنوات الدبلوماسية الأمريكية والصحافة

الأمريكية بأن أمتهم الصغيرة المحبة للحرية أصبحت فجأة ضحية اجتياح شرير من قبل المعتدين الأجانب الشيوعيين (وأعلنت الإذاعات الشيوعية أول بيان لزرع الشك في نفوس الأمريكيين). كانت المنشيتات والعناوين في الصحف الأمريكية كارثية. وهكذا تم اجتياح لاووس وقد أعلن عنه بشكل واسع واحتل ذلك عناوين الصفحات الأولى في أغلب الصحف. وقد صدرت بيانات من المسؤولين في واشنطن وتصريحات من مناطق القتال هيجت الرأي العام. وبفعل هذه الأخبار النارية كانت هناك مطالبات هستيرية في الكونكرس لإرسال قوات أمريكية للتدخل السريع إلى لاووس وقصف المحتلين من البوارج البحرية الأمريكية ومن سلاح الطيران. وقد تم بالفعل إرسال وحدات من الأسطول السابع إلى مناطق الخطر في جنوب بحر الصين. وصرح الرئيس الأمريكي مبدياً رغبته بالتحدث إلى مستر خروتشوف حول الموضوع، كما صرحت وزارة الخارجية بأن الحالة خطيرة وكذلك قام الإعلام بدوره فتم نشر الأخبار التالية :

" الأدميرال " آله آ. بوركه " قائد العمليات البحرية صرح اليوم بأن سلاح البحرية يمكن أن يتدخل في الأزمة اللاووسية ١٠ آب.

" الشيوعيون اللاووسيون يتقدمون مستخدمين وحدات من جيش فيتنام الشمالية " ٢ سبتمبر .

" يمكن للولايات المتحدة الأمريكية إرسال مقاتلين جاهزين للقتال وقاصفات مقاتلة إلى لاووس خلال ٣٥ ساعة . صرح قائد القوى الجوية في " ٤ سبتمبر " .

" توقع السناتور ثروثتن ب . مورتون اليوم أن يقدم الغرب إلى لاووس مقاتلين وأسلحة إذا كان ذلك مطلوباً لإيقاف العدوان الشيوعي " . ٢٢ سبتمبر .

وبالفعل ، لقد تم شحن أطنان من معدات دفاعية ضرورية ومستعجلة بالطائرات إلى لاووس . كما حولت ملايين الدولارات من حسابات خاصة كمساعدات ولم يصرح أحد عن مقدارها . غير أن المسؤولين في لاووس يعرفون وربما الشيوعيون يعرفون أيضاً . لكنَّ الشعب الأمريكي بقي تحت الظلام في جهل مطبق .

بالرغم من أننا لانعرف تماماً مقدار المبالغ فقد وافقت الأمة الأمريكية على قرارات العمليات النصف عسكرية التي اتخذت . لأننا كنا مقتنعين بأن الاجتياح الشيوعي للاووس قد حصل بالفعل واجتازت القوات الشيوعية الحدود ودخلت أراضي لاووس . إنه لم يكن

فتنة ضد الحكومة بل كان هجوماً نفسياً كبيراً. يبدو بلا شك أن الحرب التي تشمل آلاف المقاتلين والمدرعات والطيران والمشاة ستكون حرباً استثنائية ومؤلمة. بغض النظر عن كيفية التعبير عنها بالكلمات. هذه هي الصورة التي قدمت للشعب الأمريكي.

من المعلوم أن حالة الخوف والقلق التي كانت تظهرها الحكومة وحالة التشاؤم التي سادت الكونكرس تدل على أن الاعتداء والقتال في لاووس قد يتطور إلى معركة ساحقة. كما تشير هذه الحالة على أنه قبل أن تبدأ الولايات المتحدة الأمريكية بالتحضير لحرب ساخنة أخرى يتوجب على الخبراء وعامة الشعب الأمريكي أن يعرفوا جيداً الحالة في لاووس، كما يجب أن يكونوا على اطلاع على التفاصيل الكاملة لهذا الاجتياح.

والحقيقة هي أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية كانت في جهل مطبق وكامل تقريباً بالحقائق القائمة على الأرض. فلم يكن في لاووس أي مراقب أمريكي فيما سمي بساحة القتال، وكذلك لم يكن أي شاهد عيان من المسؤولين الأمريكيين لعمليات الاجتياح المزعومة.

لقد قام الرئيس الأمريكي ووزير الخارجية ورئيس

لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ والقادة العسكريون ومئات من الصحفيين المحترفين بتهييج الرأي العام الأمريكي وطالبوا باتخاذ إجراءات صارمة ضد الاعتداء الأجنبي على لاووس على الرغم من أنه لم يكن لديهم أية معلومات أكيدة عنه .

إن حالة من الهيستيريا التي تلت ذلك كانت مستندة إلى تصريحات صدرت من المسؤولين اللاووسيين . ومما يزيد من الأمر سوءاً أنها كانت في الغالب تستند إلى تقارير من الدرجة الثالثة . ومصدرها مسؤولون لاووسيون أيضاً .

كتب دانيس وارنر المراسل الحربي الاسترالي المشهور من مدينة سامنيو اللاووسية مايلي : (الرجاء أخذ العلم بأن مدينة سامنيو لم تكن مسرحاً لعمليات قتالية ، ومع ذلك استخدمها بعض الصحفيين الأمريكان في تقاريرهم كخط قتال وكانت الأخبار التي يرسلونها إلى صحفهم من هناك وكأنها نابعة من قلب المعركة) :

على الرغم من إدعاء مسؤولي الحكومة الملكية اللاووسية بالاعتداء واجتياز حدود لاووس الرئيسية فإن لاووس عانت من التخريب والدمار أكثر مما عانته من الاعتداء المسلح المزعوم .

ولكن ماذا حصل بالفعل؟ لقد كان هناك بالتأكيد هجوم منسق في منطقة الحدود مع فيتنام الشمالية غير أن الأخبار التي جاءت على لسان اللاجئين والهاربين من تلك المنطقة اتسمت بالمبالغة. لقد تحدثتُ شخصياً مع أحد ضباط الصف في الجيش الوطني وقام الجنرال " أمكها " نفسه بالترجمة بيني وبين ضابط الصف فوجدت أن مايمكن قبوله بشكل عام على أنه واقعي يعتبره أي جندي عادي في الغرب على أنه من قصص الخيال. إذا جمعنا كل التقارير التي وصلت من الجنود المهزومين وأضفنا إليها تقارير الأفراد المدنيين الذين حذّروا من المخاوف وطالبوا باتخاذ الاجراءات الناجعة فإن الجنرال " أمكها " يعتقد بأن مجموع جيوش الأعداء لايتعدى ٣٥٠٠ جندي تقدموا نحو مدينة " سامنيو ". ولكنه لم يتخذ أي إجراء سوى إعلان الأسى والأسف.

فمن خلال تفحص خريطة المعركة التي كانت بحوزة الجنرال مرة ثانية ظهر أنه قد انفضت أربعة أيام على الهجوم الأول شمال مدينة سامنيو قبل أن يرسل أي دورية مراقبة أو أن يباشر في الاتصال مع العدو.

وكانت خريطة المعركة في الواقع مبنية بشكل عام على أخبار من اللاجئين وإشاعات وأقوال الجنود

المنهزمين التي انتشرت بشكل مقصود بواسطة عملاء للشيوعيين" . انتهى كلام المراسل الاسترالي .

هكذا كانت أنواع المعلومات السطحية المرتجلة التي ظهرت في البلاغات الحكومية الرسمية المعدة للأجانب والتي ضلّلت الرأي العام الأمريكي وأبعدته عن جادة الصواب . كما أثرت في مجرى السياسة الخارجية الأمريكية .

كان في عاصمة لاووس / ٢٠٠/ عسكري أمريكي محترف وقرابة العدد نفسه من المدنيين الأمريكيين حيث يفترض أنهم خبراء في الشؤون الآسيوية . ومع ذلك فشلوا جميعاً في الوصول إلى ساحة القتال المزعوم ليشاهدوا بأم أعينهم ويقدموا تقارير عما يحدث هناك . حتى إنهم لم يستجوبوا السجناء من الشيوعيين الذين أعلن عنهم في البلاغات الرسمية . وتوجد دلائل تشير إلى أنَّ هذه الأخبار عن وجود سجناء شيوعيين كانت أخبار كاذبة .

إنّ المعلومات التي وصلت من الموظفين المدنيين الأمريكيين إلى الحكومة كانت مبنية على إشاعات سمعت من الناس ، ومع هذا اتخذت الحكومة الإجراءات الرسمية انطلاقاً من أنها حقائق مؤكدة .

أما الصحفيون الأمريكان (وكان بينهم مجموعة من أفضل الصحفيين المحترفين) فلم يذهبوا إلى المنطقة الشمالية من لاووس، حيث حصلت ماقيل بأنها حرب مزعومة، إلا في أواخر سبتمبر أي بعد عدة أشهر من الإعلان عن اندلاع الأحداث. وبدت الحكومة والصحافة الأمريكية خلال تلك الأشهر من الإشاعات والعناوين الكبيرة كأنها أبواق للدعاية بدلاً عن الحكومة اللاووسية. صحيح أن البرقيات التي أرسلت من قبل المراسلين الصحفيين كانت تذكر عادة بأنهم استقوا الأخبار والقصص من مصادر أجنبية. لكن سلوك الأمريكيين في قراءة الأخبار الأجنبية كان سطحياً وغير مقنع. لقد قبلنا العناوين الصارخة الهستيرية على أنها القصة الكاملة، غير أننا فقدنا أدق نقطة في النص وأهمها. والصحافة تدرك ذلك تماماً. لأن النصوص كما قدمها المراسلون في تقاريرهم عن ساحة القتال كانت مصاغة بكلمات مثيرة بهدف ترويج بيع الصحف التي تنشرها.

وأخيراً في أواخر سبتمبر خرج الصحفيون من العاصمة اللاووسية لزيارة قرية "سامتيو" في منطقة "سامنيو" التي تبعد عشرة أميال عن حدود فيتنام الشمالية حيث أعلنت الحكومة اللاووسية عن وجود

قتال عنيف هناك. وذكرت البلاغات أن قرية سامتيو قد احتلت وتم تحريرها أربع مرات خلال خمسة أيام من القتال العنيف.

لقد تفحّص الصحفيون في الأمر وتكشفت أمامهم الحقيقة تماماً. كتب جورج ماك غريغور " مراسل نيويورك تايمز في ٢٢ سبتمبر من منطقة المعارك بأن قرية سامتيو هي سالمة ولم تصب بأذى. كما تحدث نقلاً عن قائد الحامية المحلية هناك بأن سامتيو لم تحتل أبداً من قبل الثوار.

في اليوم التالي أصدرت الحكومة الوطنية أمراً بمنع المراسلين الصحفيين الأجانب من السفر إلى تلك المنطقة. " هاتسون بالدوين " في رسالته لنفس الجريدة (نيويورك تايمز) قال ملخصاً الأخبار: " من الواضح الآن أن الحرب في لاووس كانت في الواقع عملية صغيرة جداً. لقد تم إطلاق رصاص في الهواء أثناء التصريحات الموجزة التي قدمتها الحكومة أكثر مما أطلق في القواعد العسكرية المتمركزة في الأدغال " . وأخيراً تشكلت لجنة من الأمم المتحدة لتقصي الحقائق عن منطقة القتال. حضرت اللجنة وزارت المنطقة وقدمت تقريراً ذكرت فيه معلومات مشابهة لما ذكر أعلاه موضحة أنه لم يحدث اجتياح عسكري للاووس وأنها كانت

مناوشات صغيرة . وبدت القصة بشكل مخالف تماماً عن التي أعلمونا عنها منذ ثلاثة أشهر سابقة . لقد أضحت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في عيون العالم أجمع على أحسن تقدير سياسة غبية وخطرة جداً على أسوأ تقدير .

أنت وأنا (كوننا أعلى المسؤولين هنا) نشكل رأينا استناداً إلى الإشاعات وعناوين الصحف والدعايات . لقد فشلنا في قراءة التقارير بكاملها كما نشرت في عدد قليل من الصحف الرئيسية . كما فشلنا في إدراك ماكان بديهياً بأن المعلومات التي صدقناها كانت دعايات أجنبية . لقد كانَ أعضاءُ سفارتنا في " فينتياني " سذجاً ومغفلين أكثر من غيرهم . لقد صرح السفير الأمريكي بأنه تعامل مع الأحداث بشكل سطحي وعدم اكتراث . إننا قريبون من المسؤولين اللاووسيين أكثر من قربنا من ماكسيسيMagsaysay من المؤكد أنه لايوجد أحد في أمريكا لديه حب الاستطلاع والشجاعة والذكاء في البحث عن التضليل الكبير ، ودائماً نكون متأخرين ونفهم الحقيقة بعد فوات الأوان . إن الحكومة الأمريكية والصحافة وأنت وأنا ابتلعنا التضليل الكبير من طعم لاووس وعندما ظهرت الحقيقة في النهاية قمنا بشق الأنفس في الشكوى والاعتراض .

الآن وأنا أضيف بعض الفقرات إلى هذا الكتاب في ديسمبر من عام ١٩٦٠ يتأرجح بندول السياسة اللاووسية الرسمية من مناصر لسياسة الغرب إلى الحياد. لقد قفز الانقلاب إلى الأمام وإلى الخلف ولكن الحكومة الوطنية في لاووس تحركت بثبات نحو الشمال.

لقد نشرت الصحف أخباراً عن وجود كمية كبيرة من الأسلحة التي وصلت جواً إلى فيتنام من روسيا الشيوعية. أتقبل ذلك. ولكن ادعاءات الحكومة اللاووسية بوجود سبع فرق عسكرية في فيتنام الشمالية يحتاج إلى تقرير من شاهد عيان أمريكي. هذا إذا استطاع أي إنسان أن يفرق بين لاووسي من مدينة " كها " وبين فيتنامي (لأن مدينة " كها " تقع على الحدود الشمالية بين لاووس وفيتنام).

وهكذا بعد عشر سنوات من الجهود المباشرة وغير المباشرة لإنقاذ لاووس — هذا البلد الذي تعاون معنا مرة - نجدها الآن تنزلق من بين أصابعنا. إننا لانخسرها بسبب اعتداء عسكري. فإذا حصل ذلك يكون ببساطة آخر العاصفة. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن لاووس أصبحت بصورة سريعة بعيدة عنا بواسطة تدابير بسيطة الكلفة وبسياسات واقعية. وإننا رمينا

جانباً إرادتنا الخيرة وقوتنا السياسية بالجهل التي أوصلتنا إلى الثقة المضللة والفساد. لقد قمنا بطريقة خرقاء في انتقاء حلفائنا المحتملين عن طريق إهمالهم من أجل بضعة حيوانات ورفضنا آخرون بسبب عدم براعتنا.

إنَّ الشيوعيين يتكلمون بنفس اللهجة لكنهم وجدوا من يدعمهم من بين عامة الشعب، بينما النخبة من "الحيوانات" التي ندعمها أصبحت حزمة من القصب الضعيف. ببساطة لقد استفاد الشيوعيون من أخطائنا الشديدة. والأنكى من ذلك أننا حاولنا أن نستبدل الدولارات بالمعرفة وبالسماح للفساد أن ينتشر. وقد هزينا الشجرة لتسقط الثمرة في أيدي الشيوعيين. ومن الخزي والعار أن نعترف بأن أمريكا الغنية والموهوبة تتنافس بصورة خاسرة مع الشيوعين في معركة سلمية. فلم تستطع وزارة الخارجية الأمريكية ولا المؤسسات الأمريكية المختلفة أن تنتهج أسلوباً ذكياً لتأهيل رجالنا لغوياً والذهاب إلى داخل أدغال لاووس وجبالها والعمل مباشرة مع الشعب.

والأنكى من ذلك أيضاً أننا لم نكن جاهلين بالحقائق ولم تكن غير مؤهلين لتقدير الحالة وتقييمها.

ولعل الأمر المنافي للأخلاق أكثر من أي أمر آخر أنَّ الحكومة والإعلام لم يكونوا صادقين وأمينين معنا.

لقد أخفى المسؤولون أخطاءهم وادعوا بنجاحات لم تحصل أبداً. ربما قد خجلوا من أنفسهم؟ أو لم يكن لديهم ثقة في قوة الشعب الأمريكي وإيمانه وحكمته؟ أو خافوا من ردة الفعل الشعبية عندما تعلن الحقيقة؟ أو أنهم ببساطة لم يعرفوا الحقيقة أبداً.

إن جميع مصادر الأخبار المذكورة في هذا الفصل ليست سرية ومتاحة لأي مواطن أمريكي. وهي مقتبسة من مقالات منشورة في صحف ومجلات مثل: اسوشيتد برس ورويترز والتايم ولايف ويونايتد برس انترناشيونال ووول ستريت جورنال، بالإضافة إلى تقارير لجان التحقيق التي ألفها الكونكرس وريدرز دايجست ونيوزويك، وصحف عديدة منها نيويورك تايمز ونشرات الأخبار الأمريكية، وأيضاً تقارير دولية ومنشورات وزارة الخارجية والأمم المتحدة.

ثانياً ــ صحفي من تايلند:

تايلند بلد سعيد وغني تقع في غرب لاووس على نهر ميكونغ. وتتلوى حدودها المشتركة إلى الأمام وإلى الخلف حوالي ألف ميل. من بانكوك تبدو الصين الشيوعية على مسافة قصيرة من الطيران إلى الشمال. وجيران تايلند الآخرين: كمبوديا المضطربة وبورما وماليزيا.

تعيش تايلند في منطقة قلقة مضطربة من العالم. رغم ذلك بقيت منذ مئات السنين حرة مستقلة ومزدهرة بشكل معقول. إن هذا الإنجاز تمّ على الأغلب بسبب الانحياز بشكل بارع إلى كل تيار قوي سياسياً. وهذا يدل على أن " أرض الأحرار " وهو المعنى لكلمة تايلند لاتعادي أحداً وتسعى بأن ترضي الجميع. ففي الوقت الحاضر بالرغم من أن تايلند تبدو متملقة جداً فإنها تفعل مايبهجها ويسرها كثيراً. إن شعبها يتغذى جيداً.

في عام ١٩٤١ دافعت تايلند عن نفسها ضد اليابان لمدة أربع سنوات كاملة، من أجل مظهرها وسمعتها ولكي تبدو شجاعة في أعين العالم. وبعدها استسلمت بشرف وتحولت إلى دمية بيد اليابان. حتى إنها أعلنت الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية لترضي أسيادها. وفي عام ١٩٤٥ عندما هبت الريح من جهة جديدة تنكرت تايلند إلى اليابان وانضمت إلى المنتصرين بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية. ومنذ ذلك التاريخ حتى عام ١٩٦٠ سمحت لأمريكا أن تصب ملايين الدولارات كمساعدات لهذه الأرض السعيدة جداً.

التايلنديون دائماً مرحون ورشيقون ومسالمون ولطيفون ويستخدمون جميع الألاعيب الذكية من أجل

الحصول على الثروة لتحسين مركزهم. مثلاً: إن جميع البضائع والأدوات تقريباً المرسلة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية بشكل مساعدات إلى لاووس كانت تدخل بشكل ترانزيت عبر موانئ تايلند. ولهذا فإن حوالي ٦٠ مليون دولار من مساعدات الولايات المتحدة إلى لاووس بشكل أو بآخر ذهبت إلى جيوب التايلنديين.

تشكل الطبقة العليا الدماغ المفكر في البلاد وهم في رأيي أفضل المثقفين الأذكياء المحنكين المتطورين الدهاة من جميع حكام العالم.

إن دماثة خلقهم وفطنتهم ومهاراتهم لاتقاوم. وأعرف بوجود اثنين من المسؤولين الأمريكيين فقط لايوافقوني على ذلك أحدهم "جون بيو ريفري" سفير أمريكا في بانكوك، فهو منذ تسلمه منصبه كان يحطّ في تصريحاته وخطاباته من قدرة التايلنديين وشجاعتهم ولم تمض مدة طويلة حتى وجد ميتاً بحادث سيارة غامض. ويعتقد البعض في تايلند أنه مات مقتولاً ولكن هذه قضية أخرى. ولكي أبرهن على صحة كلامي أورد قصة أحد رجال الصحافة التايلنديين المشهورين ورئيس تحرير جريدة تصدر في بانكوك والذي يعتبر من ألمع المفكرين الوطنيين

الموثوقين. ومع ذلك فقد اعتقل مرة ووضع في السجن لأنه نشر في جريدته ملاحظات اعتبرتها السفارة الأمريكية مهينة بحق أحد السفراء الأمريكان. مع أنه كان صحفياً بارعاً ومهذباً ومثقفاً جداً ومتحرراً من الأحقاد القومية ويظهر بهذه الصفات سواء في مباريات كرة السلة في أمريكا أو في نوادي بريطانيا أو في المسرحيات العاطفية في ألمانيا أو في مباريات الديوك في الفيلبين أو في اجتماعات الأساتذة وهم يتناقشون في موضوع أصل نشوء اللغة التايلندية. يرتاح الأجانب إلى صحبته لأنه مهذب ودمث الأخلاق ويتحدث بعدة لغات بصورة تبهج السامعين. بالإضافة إلى ذلك فهو شخص ذو نفوذ لدى العائلة المالكة في تايلند وله لقب أمير (برنس). إنه معروف بمقالاته الثورية الكوميدية. منذ عدة سنوات تلقى دعوة من مؤسسة أمريكية لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية لإلقاء محاضرات عن تايلند. فقبل الدعوة واشتمل برنامج الزيارة التوقف لعدة أيام في هاواي. عند وصوله إلى مطار هونولولو أقامت إحدى السيدات المهتمة بالشؤون الدولية حفلة على شرفه في منزلها دعت إليها خمسين شخصاً من الصفوة المثقفة من أهالي البلدة وطلبت منه القاء محاضرة عن تايلند وعرض

فيلم قصير وثائقي كان قد صوره بنفسه .

بدأ البرنس في الكلام بلهجة ساخرة وحادة ولكن تعبر عن ذكاء ودراية ، فقلت في نفسي سنقضي سهرة ممتعة . إن البرنس يبدو منطلقاً وعلى أحسن حال . ولكن بعد مرور خمس دقائق غيّر البرنس إتجاه حديثه وتغيرت لهجته الحادة وأصبحت لطيفة ومهادنة لا بل مناصرة وإيجابية . فبدلاً من الهجوم اللاذع والساخر الذي بدأ به حديثه أخذ يقول لسامعيه عن مدى فعالية جميع الممثلين الدبلوماسيين الأمريكان العاملين في تايلند ونجاحهم بشكل بارع .

لقد أطنب في وصف جهودهم في طرد الشيوعيين وقال إن الولايات المتحدة الأمريكية ليست لديها ماتخشاه على تايلند . فكل شيء هناك يبدو رائعاً وعلى خير مايرام .

استمعت لمحاضرته وأقواله بصمت . ولأنني أعلم بوجود العديد من المشكلات في تايلند . فقد كان يمكن أن أثير بعضها بطرحي عدد من الأسئلة على المحاضر . لكنني فضلت أن أستمع إليه حتى النهاية على الرغم من أنني كنت أرغب أن أستمع إلى أمور أكثر أهمية . عندما انتهت السهرة دعيت البرنس ومستر كال سكولون مدير الشؤون القنصلية في الباسفيك وآسيا

في السفارة الأمريكية إلى بيتي .

وبعد الكأس الثانية بادرت البرنس بقولي : لماذا كذبت ياصاحبي على هؤلاء القوم؟ أنت تعرف جيداً بأن الأمريكيين المتواجدين في تايلند يلزمهم الكثير من التدريب والتثقيف . أنت الذي قلت لي ذلك . ثم إنك تعرف جيداً أن الحكومة التايلندية بقيادة الرئيس "بيبول سونكرام" هي حكومة فاسدة . كما تعرف أن السلع المصنوعة في البلدان الشيوعية تباع في جميع أنحاء تايلند وتعرف أيضاً أن تايلند تسعى للحصول على موقع تستطيع منه أن تقفز في أي إتجاه . تماماً كما فعلت في عام ١٩٣٩ وفي عام ١٩٤٥ . قل لي بربك لماذا تملقت أصدقائي؟

رفع البرنس كأسه إلى شفتيه بحركة لتهدئة الأمر وقال بلطف : "أنا بوذي لهذا لاأريد أن أؤذي شعور الأجانب . إن المجموعة الذين تحدثت إليهم هذه الليلة كانوا أناساً لطفاء، لقد استضافوني ومنحوني صداقتهم فلماذا أسبب لهم صدمة؟ لقد قلت لهم ماكانوا يريدون أن يسمعوه عن تايلند الجميلة والوردية . لنفترض أنني قلت لهم الحقيقة فماذا يستطيع هؤلاء الناس البسطاء أن يعملوا حتى إنه لايمكنهم أن يفهموا ذلك . تصور لو فعلت ذلك عندئذ ستصبح السهرة بليدة ومزعجة .

على الأقل الآن جعلتهم يشعرون بالسعادة. أليس هذا هو طريق البوذي إلى الجنة ؟ " .

سعى البرنس لتوضيح موقفه عن طريق سرد قصة أخرى فقال: " يبدو أنه منذ عدة سنوات مضت، رغبت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية في أن تتأكد من أن المساعدات الأجنبية الممنوحة إلى تايلند كانت في حجمها ونوعها ملائمة للبلاد وتلبي مصالح الشعب. وقبل تجديد المساعدات اقترحت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية إرسال فريق من العلماء في بعثة علمية لدراسة أحوال الإنسان في تايلند لمدة سنة ونصف. على أن يسكن أعضاء الفريق في إحدى القرى العادية البعيدة عن المدن. وكان الهدف من وراء ذلك دراسة أحوال الشعب التايلندي عن كثب للوصول إلى معرفة واقعية لتقدير حاجاته الأساسية من أجل وضع برامج المساعدات على أسس صحيحة ومعلومات دقيقةً. ثم استطرد البرنس قائلاً: " بالطبع رحبت حكومة تايلند بهذا الاقتراح واعتبرته مفيداً جداً. وقبل وصول أعضاء الفريق من الأساتذة والعلماء اختارت حكومة تايلند قرية نائية في موقع مناخي مريح وأفرغتها من جميع سكانها. وانتقت مجموعة من المواطنين التايلنديين ليسكنوا مع عائلاتهم

في تلك القرية ويتظاهروا بعفوية بأنهم القرويون سكان تلك القرية . كما قامت الحكومة بإعطائهم التعليمات اللازمة والتدريب الضروري لإنجاح تلك التمثيلية بما فيها السلوك اليومي وكيفية التعامل مع فريق العلماء الأمريكي . فعندما وصل الفريق الأمريكي المؤلف من أساتذة أغلبهم من حملة شهادة الدكتوراه استقبلهم سكان القرية حسب التعليمات الرسمية ، وقاموا بدورهم ببراعة . وخلال وجود الفريق الأمريكي في تلك القرية لمدة ١٨ شهراً جمع عدداً من المعلومات والملاحظات وعرف ماأردات حكومة تايلند أن يعرفه . وقد أكدت تقاريره أن المساعدات الأمريكية إلى تايلند وطرق صرفها كانت ممتازة ولا غبار عليها . وهكذا استمر برنامج المساعدات الأمريكية إلى تايلند كما كان " .

وخلال مدة زيارة البرنس إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي استغرقت شهرين زار فيها عدداً كبيراً من الولايات كان يكرر الأسلوب نفسه من التملّق والكذب . وحسب مانشرته الصحافة الأمريكية عن زيارته وأقواله بأنه كان يعطى الفكرة بأن كل شيء في تايلند مفرح وجميل وأن الشيوعيين اندحروا وتراجعوا وأن الأمريكيين العاملين في تايلند قاموا بأعمال رائعة ،

وأنه لم يكن من الضروري لأي أمريكي أن يتكلم بغير اللغة الإنكليزية، وأن التايلنديين كانوا يتحاورون معهم بطلاقة.

نشرت الصحف الأمريكية أقوال البرنس كما هي، واعتبرتها صحيحة وموثوقة ولم يحاول أي صحفي توجيه أي أسئلة إليه. على كل حال كان ينظر إليه على أنه برنس وصحفي في آن واحد وأقواله يجب أن تعكس الحقيقة دون شك.

لقد عرضت نص هذا الفصل على صديقة تايلندية مثقفة وهي من أقارب البرنس لمعرفة تعليقاتها وملاحظاتها فقالت: أولاً لم أسمع عن تفاصيل بعثة فريق العلماء الأمريكان غير أنه حسب معلوماتي أن بعض علماء الإنسان جاؤوا إلى تايلند من الولايات المتحدة الأمريكية وأن للبرنس تصورات بارعة ومذهلة، في القدرة على أن يؤلف قصة مقنعة حول أي موضوع. إنني لاأشك بأنه قال لمستمعيه الذين التقى بهم في أمريكا قصصاً كثيرة من بنات أفكاره وأحلامه. فقد قال لهم إنه من غير الضروري للأمريكان أن يتعلموا اللغة التايلندية. وإن الشيوعيين قد دحروا وهزموا بشكل قاطع هذا بالإضافة إلى عدد كبير من قصص الأحلام الخلبية الأخرى. غير أنني لاألوم

البـرنس على ذلك بل ألومكم أنتم، ألـوم المسـتـمـعين الأمريكيين الذين استمعوا للمحاضرة من أجل التسلية فقط، لا من أجل الحصول على معلومات موثقة. وخاصة أن بلدكم أسهل بلد في العالم لنشر الدعايات، إنكم تصدقون كل مايقال إليكم. يمكنني أن ألقي محاضرة الآن في هونولولو وأقول إن أم الملك في تايلند لها رأسان، ولهذا لاتظهر في المناسبات العامة. أؤكد لك أن أغلب المستمعين سيصدقون ذلك بل يمكن أن تنشر الصحف تلك الأقوال على أنها قصة حقيقية وواقعية بدون أي تدقيق أو بحث لمعرفة فيما إذا كانت أم جلالة الملك لازالت على قيد الحياة. إنه يحزنني ويؤسفني أن أقول ذلك لأنني أعتقد بأنكم شعب طيب وتشكلون أمة طاهرة ونقية.

ثالثاً — مايقال للشعب الأمريكي عن فورموزا:

" إن قرار السلام والحرب حسب الدستور الأمريكي من اختصاص الكونكرس لامن اختصاص الجنرال تشينك كاي شيك " جون اف كنيدي ١٦ ايلول سبتمبر ١٩٥٩ منذ أربعة آلاف عام قطن الصين شعب من عرق نحيل طموح وفقير وهو نوع مزيج من المحاربين الشجعان والفلاحين. وسياسيو هذه الأمة العريقة يستحقون وقفة خاصة. إذ غالباً مايكونون مناورين أشداء لارحمة في قلوبهم. يقومون بأي شيء في سبيل الوصول إلى السلطة. ويستطيعون إخفاء حقيقتهم عن الغير. والصورة التي تظهر عليهم هي صورة الرجل المتدين الورع الذي يتحلى بالمبادئ الأخلاقية العالية والبساطة واللمسة الكونفوشيوسية للإدارة الديمقراطية.

إن هذا التمثيل المسرحي وهذه السياسة المتنكرة هي صورة صادقة عن الصينيين يحتار الأجانب في فهمها. غير أن كل صيني يفهم تماماً ويدرك الطبيعة الازدواجية للمسؤولين. وطالما أن التمثيلية تبقى في حدودها الطبيعية التقليدية فإن الشعب الصيني لايمانع ولا يعترض.

إن الصين الأم كانت في صعود وهبوط، لقد

انقسمت وتفتت بفعل الحيل السياسية والصراع الداخلي المهلك، ودميت بالجراح وابتليت بغزاة من قطاع الطرق، كما أصيبت بجفاف قاس شقق أرضها الغنية وأصبح شعبها فقيراً وجائعاً حتى صار يأكل لحاء الشجر والعشب من أجل البقاء. ثم إنها غرقت تقريباً بسبب فيضانات أنهارها الصفراء الهائجة. غير أن سكان الصين الأم قاوموا ذلك كله وبقوا على قيد الحياة لمدة أربعة آلاف عام تقريباً. بينما انتشرت بلدانٌ فتية حولها مثل الدانتيلا على مدى العصور. ومع ذلك كانت دائماً في حركة دائمة إلى الأمام، لقد هزمت جيوشها وأبيدت. في حين حققت التجارة والكفاءة والدبلوماسية نجاحاً عجزت الجيوش عن تحقيقه.

وفي خلال أربعين قرناً من الزمن بقيت حيوية الصينيين الغريبة والسحرية قوية وعميقة وصمدت في وجه الاحتجاجات والغليان الداخلي والاعتداءات الخارجية.

وتعود رشاقة أصابع الصينيين إلى أكثر من مئة جيل وكذلك تفكيرهم ومهاراتهم العملية في السياسة التي تنتقل من الآباء إلى الأبناء ومن الأمهات إلى البنات. وبهذا كان الصبر دائماً ينتصر على إحباطات الواقع بانتظار الأيام الذهبية للصعود من جديد.

إن جميع الصينيين الفقراء منهم والأغنياء يعتقدون أنهم أكثر تعقلاً وأعلى ثقافة وحضارة من شعوب الأرض كافة .

ولم يفقدوا هذا الشعور خلال أربعة آلاف عام من تاريخهم . فمن الطبيعي لهؤلاء الرجال ذوي اللون الأصفر الحق في استنتاج أن البربر الأجلاف (كل شخص غير صيني) يجب أن يكونوا مسنداً للقدمين ودرجة من درجات السلم التي يمسحُ بها صغار الصينيين قدميه وهو يصعد إلى الأعلى .

كما يدرك الصينيون أنه من وقت لآخر ينجح بعض البرابرة المحظوظين في حجب الشمس الصفراء . غير أن الصينيين الصبورين يقولون سيأتي الوقت المناسب لنبلع ونتغذى بهؤلاء الأجلاف المتخلفين مثل أهالي القوقاز وماليزيا أو الروس أيضاً الذين هم خليط من مختلف الأعراق . إننا سنتعبهم ونقضي عليهم . إنهم السماد الذي يساعدنا على النمو والازدهار .

من أجل التعاطي مع البربر الأقوياء يتطلب الأمر استعمال أنواع من المكر والخداع الصيني والتملق والنفاق والرشوة والشعوذة السياسية . يعتبر الغربيون ذلك عملاً غير أخلاقي لكنَّ الصينيين لايرون أي غضاضة أو غلط في ذلك . ولهذا يعتقدون من كل

جوانحهم بأنهم سيرثون الأرض وسيتبؤون مكانهم الصحيح في الكون فوق كل البشر. ومن أجل ذلك يناضلون بشكل غريزي، ويعملون بجهد كبير بدون أي ترغيب ويبتلعون كبرياءهم ويتحملون الحرمان بهدف كسب مزايا جديدة للوصول إلى التفوق. يمارس السياسي الصيني هذه الأمور بتلذذ وقساوة وخبث بصورة يصعب فهمها على أغلب الأمريكيين بما فيهم السفراء والقادة العسكريين.

سأورد فيما يلي قصة سياسي صيني يدعى "تشينك كاي شيك" الذي قد يكون قد ارتدى يوماً ما ثياباً غربية. ولكنه يختزن في فكره ونخاعه الشوكي تراكم أربعة آلاف عام من الذكاء والحكمة العسكرية وقساوة القلب. وباستخدام هذه التقنيات وبالتنسيق والمساعدة من أقاربه حصل خلال سنتين فقط على حصة أكبر مما يستحق من النصر والجاه والثروة. ولكنه الآن بعد نفيه إلى جزيرة فورموزا الصغيرة، ضعفت قوته وصدأت آلته العسكرية واختفى جيشه الكبير. فأخذ يتوعد بزهو ويقول للعالم أجمع بأنه سيعود إليه كل ماخسره من الأمور العزيزة جداً على قلبه وعلى رأسها السيطرة على كل أراضي الصين وثرواتها الهائلة. بما أنه صيني أصيل فإن الاستحواذ على

السلطة سيكون تحت شعار الأخلاق العامة . وهذه الطريقة تدعى في الصين بالديمقراطية والحرية ، لكن هذا السياسي لايعرف عنهما شيئاً ولا يؤمن بهما قط لأنه ببساطة لم يمارسهما طوال حياته . ورغم ذلك وباستخدام حنكته ومهارته وحنكة عائلته وإتقانهم للعبة السياسية كان يستغل أمريكا المحبة للحرية ويستخدمها كسماد ذهبي يستمد منه الغذاء والأمن .

تعالوا لنرى هذا الشخص الماهر الذكي " تشينك كاي شيك كيف يدبر المكائد ويصول ويجول على أرض جزيرة فورموزا الصغيرة المكتظة بالسكان والتي تبعد مئة ميل عن ساحل أرض الصين الأم .

لقد غُرر بأمريكا في الأحداث التي جرت في لاووس التي لم نكن نعرف جغرافياً أين تقع . لنترك جانباً ماذا حصل هناك ، فإننا نعتقد أن أمر تشينك كاي شيك هو مألوف تماماً وواضح بالنسبة لنا . لقد كتب عنه العديد من القصص وقام الصحفيون الأمريكان بنشر الكثير من المعلومات عنه وعن بلده فورموزا وإن عدداً كبيراً من ساستنا اتخموا بالمشكلات الصينية - الأمريكية وامتلأت رفوف المكتبات لدينا بكتب ووثائق عن الصين وعن تشينك كاي شيك . أمّا زوجته فقد درست في جامعة " وليسلي " وقضت وقتاً طويلاً في

امريكا لأن عائلتها تمتلك عقارات واستثمارات واسعة لدينا . ولكن تبقى هناك بعض الحقائق محجوبة عنا أو يمكن أن نكون قد نسيناها أو فاتتنا .

من يتذكر حقبة العشرينيات عندما بدأ تشينك كاي شيك حياته العامة كشريك حميم للشيوعيين؟ أو عندما ذهب إلى موسكو للاجتماع مع ستالين وتروتسكي وشيشرين ليدرس الاستراتيجية والعقيدة البلشفية والتقنيات الثورية . وكان قد طلب وقتها من موسكو مساعدات ذات طبيعة مادية أيضاً .

إن أول قفزة له نحو السلطة كانت بمساعدة الشيوعيين . ولم يكن الجنرال شيوعياً ولكنه بقي في خندق الشيوعيين طالما كان يشعر بإمكانهم مساعدته . ولكن عندما تذمر أصحاب بنك شانكهاي من نمو الشيوعية تطوعوا لتمويل برامجه بشرط أن يتخلى عن صداقته للشيوعيين . اغتنم تشينك هذه الفرصة وتنكر لصداقته مع الشيوعيين وأصبح يعرف بحق بأنه ضد الشيوعية . في نفس الوقت تزوج من العانس " مي لينغ " خريجة جامعة وليسلي الأمريكية وابنة عائلة سونغ القوية والغنية . تولّع بأزياء الحفلات الرسمية فحقق بزواجه هذا نصراً وحصل على مركزاً اجتماعياً قوياً ووضع رجليه مع عائلة سونغ على صدر الصين

لمدة عشرين عاماً. فكل فرد بالغ من عائلة سونغ - ماعدا مدام سون يات سن - كان يحتل مركزاً استراتيجياً في الحكومة.

وبمرور الأيام أصبحوا جميعاً من أغنى العائلات في العالم. وخلال تلك السنوات العشرين أصبحت الصين أكثر فساداً وأكثر فقراً حتى في فترات سيطرة أسوء الأنظمة العسكرية. فكلما زادت معاناة المواطن العادي وتذمره من الفساد المتعاظم ازداد توجه إدارة تشينك كاي شيك إلى الحكم الفردي.

في نهاية الحرب العالمية الثانية كان معظم الأمريكيين هنا يعتقدون بأن الجنرال قائد ملهم ورجل الحكمة الكونفوشيوسية ومحرر شجاع لوطنه ومدافع عن الديمقراطية والحرية. بالمقابل كان الشعب الصيني يشعر ويؤمن عكس ذلك تماماً. كان أفراد الشعب يكرهون الجنرال القائد ولا يثقون به ولا يحترمونه. وفي النهاية تم رفض الجنرال من قبل الشعب لأنهم ضاقوا ذرعاً به وبعائلة سونغ. وكان الجو العام مهيئاً للتغيير، فالتفاحة الصينية الفاسدة أمست على وشك السقوط من تلقاء نفسها. وكان بعض الناس يشككون في ذلك، وكيلت الاتهامات حول فشل الولايات المتحدة الأمريكية في منح تشينك كاي شيك مساعدات

عسكرية كافية مما سبب في إضعافه فتمكن الشيوعيون من الانتصار واستلام زمام الصين. وأعتقد أن هذه الاستنتاجات مبنية على الجهل المطبق وعلى الدعاية المضللة وعلى السذاجة في تحليل الأمور.

في الواقع إنه في عام ١٩٤٥ كان لدى جيش تشينك كاي شيك معدات عسكرية بمليارات من الدولارات كما كان جيشه يتألف من ثلاثة ملايين رجل. غير أن هذا الجيش القوي لم يكن مدرباً ولا يرغب في القتال من أجل الحفاظ على نظام تشينك كاي شيك وإدارته الفاسدة. إن الأموال الضخمة التي كانت الولايات المتحدة الأمريكية تغدقها كمساعدات إلى تشينك كاي شيك من أجل الاحتفاظ بهذا الجيش كان معظمها يذهب إلى جيوب القادة. ومن المعلوم أن أغلب أفراد هذا الجيش من المجندين للخدمة الإلزامية كانوا مسلوبي الإرادة، ففي عام ١٩٤١ رأيت بعيني طابوراً طويلاً من المجندين للخدمة الإلزامية وقد ربطوا بالسلاسل خوفاً من هروبهم أثناء نقلهم إلى قواعد التدريب العسكرية. فهؤلاء لم يكونوا مخلصين لتشينك كاي شيك. وإن عدداً منهم التحق في الوقت المناسب بالفرق الشيوعية آخذاً معه أسلحته.

أثناء تلك الأيام الصعبة استمرت حكومة تشينك

كاي شيك وأفراد عائلة سونغ في الاستيلاء أكثر فأكثر على كافة الأعمال والفعاليات في البلاد. وفي مطلع عام ١٩٤٧ استولوا على المواد الغذائية التي تقدمها منظمة أونروا كإعانات ومساعدات غذائية لفقراء الشعب الصيني وباعوها بأسعار فاحشة في السوق السوداء. فلا غرابة فيما إذا تقبّل أفراد هذا الشعب الفقير الجائع الدعاية الشيوعية لأنهم يرغبون في تجربة أي شيء جديد في سبيل تغيير الحالة التعيسة التي كانوا يعيشونها.

لقد قدمت كل أنواع الاعتذارات المغلوطة لطرد تشينك كاي شيك من الصين. قال بعض الموالين والمدافعين عن هذه الأسباب إنَّ الشيوعيين مهدوا الطريق لاستلام السلطة تحت غطاء شعار الإصلاح الزراعي. غير أن الشيوعيين أنفسهم أنكروا ذلك الشعار. ففي عام ١٩٤٠ و ١٩٤١ وفي حوار مطوّل سخر شو أن لاي من هذا الشعار ومن أسطورة الإصلاحات الزراعية قائلاً: " إذا كنت تريد أن تجد لنا شعاراً ولقباً سياسياً يمكن أن تطلق علينا كلمة ثواراً شيوعيين ماركسيين. وفي خطاب مطول لماوتسي تونغ أيضاً هزأ علناً من شعار الإصلاحات الزراعية وكان تشينك كاي شيك نفسه هو الذي أطلق هذا الشعار.

وقصة هذا الشعار الكاذب هو أنه عندما كان تشينك كاي شيك يحاول الحصول على قرض من الولايات المتحدة الأمريكية في عامي ١٩٣٩/ ١٩٤٠ طرح شعار الاصلاح الزراعي فكتب إلى وزير المالية الأمريكية "موركنتو" يخبره بأنه لم يبق شيوعي واحد في البلد وأن الحزب المعارض يضم مجموعة صغيرة من الداعين إلى الإصلاحات الزراعية. وكنت آنذاك في شونكينغ ورأيت كيف أن الرقابة في حكومة تشينك كاي شيك حذفت كلمة الشيوعيين واستبدلتها بالمصلحين الزراعيين في البلاغات المرسلة إلى الصحافة.

إن انتشار عدم الثقة بشكل واسع بالحكومة كان مذهلاً. في ذلك الوقت كان في الشمال نصف مليون شيوعي مسلحين ومدربين بشكل جيد. وقد نجحت وحدة الدعاية الشيوعية في التوغل في كل منطقة من مناطق الصين. لقد راقبت عملهم شخصياً عن بعد ٢٠ ميلاً فقط من مدينة تشونكينغ. كل هذه الحقائق لم تعن شيئاً بالنسبة لتشينك كاي شيك ولا للسياسيين الصينيين. لقد تم تسويق شعار الاصلاحيين الزراعيين رسمياً إلى السفير البريطاني " سير ارشيبلاد كلاركيرر". كما أعلن رسمياً في مؤتمر صحفي مردداً أنه لايوجد أي شيوعي في الصين. حتى إن السيد ايرل

ليف المستشار الأمريكي للدعاية لدى حكومة تشينك كاي شيك كتب إلى الصحافة الأمريكية طالباً من رؤساء التحرير أن يتوقفوا عن تسمية شو آن لاي وماوتسي تونغ وغيرهم بالشيوعيين وتسميتهم بالإصلاحيين الزراعيين. هكذا كانت الرقابة على الصحف والأخبار قوية وصارمة في تلك الحقبة من الزمن لدرجة أنني كنت أشك في أن الحكومة الأمريكية تدرك وتفهم أحداث الأربعينيات في الصين.

قال لي أحد موظفي الخارجية في تشونكينغ إنه لايوجد شيء يدعو للتخوف من وجود عدد بسيط ومضحك من الإصلاحيين الزراعيين. وقال أيضاً إن مدام تشينك كاي شيك شخصياً قد أكدت له أنَّ ماوتسي تونغ وشو آن لاي وشوتيه ليسوا سوى أفراد عصابة من قطّاع الطرق. وبعد بضعة سنوات سيطويهم النسيان. ولكن بعد ثمان سنوات كان أفراد هذه العصابة من قطّاع الطرق كما وصفتهم مدام تشينك كاي شيك أسياد وقادة سبعمائة مليون من الصينيين. أما تشينك كاي شيك فقد هرب من الصين مكسور الخاطر غير أنه تمكن مع أقربائه من عائلة سونغ من تهريب ثرواتهم الشخصية وكل احتياطي الذهب في البلاد وأموال الصين قبل فرارهم. حتى إنه لم يبق في

خزينة الدولة من المال النقدي مايكفي لدفع رواتب الموظفين من أفراد الجيش الموالين الذين بقوا لحماية عملية هروب تشينك كاي شيك وأقربائه .

وأصبحت أسطورة تشينك كاي شيك ومهارته العسكرية خرافة . غير أن هذه الخرافة قد استحوذت على العقول الأمريكية الساذجة على جميع المستويات . حتى إن رئيس لجنة أركان الجيش قال في جوابه على سؤال أحد الصحفيين في مؤتمر صحفي كنت حاضراً فيه " إن الجنرال القائد تشينك كاي شيك أعظم قائد عسكري في عصرنا الحاضر " . في الحقيقة إن الجنرال تشينك كاي شيك لم ينتصر في حياته في أي معركة عسكرية هامة خاضها . وإن الحملة الشمالية الشهيرة في عام ١٩٢٦ والتي بنى الجنرال عليها سمعته الكبيرة كانت بإدارة الدعاية الشيوعية لأنه كان في ذلك الوقت متعاوناً معهم .

بعد هروب الجنرال من الصين ولمدة عشرين عاماً كان يطلب اللجوء والحماية في فورموزا . ويؤكد لمستشاريه الأمريكيين وللعالم بكل وقاحة أنه لايزال الرئيس الشرعي لكل الصين وأن الشعب الصيني يرغب بحرارة وحماس في عودته .

حتى إن هروب تشينك كاي شيك وجماعته من

الصين ولجوئهم إلى فورموزا لم يكن عملاً متقناً. فعندما دخل جيش تشينك كاي شيك فورموزا عاث فيها فساداً ونهباً وسلباً. لقد سرقت المخازن وفرغت المستشفيات من مفروشاتها وأدواتها الكهربائية وكافة معداتها وبيعت في السوق السوداء. وعندما احتج أهالي فورموزا على هذه التصرفات استخدم الجيش البنادق الاوتوماتيكية فقتل الآلاف منهم. لقد مضى الآن عقد من الزمن تقريباً على تلك المذابح والجرائم. ذاق خلالها أهالي فورموزا الأمرّين تحت حكم تشينك كاي شيك. وبالرغم من أن السكان رحبوا به في البداية غير أنهم تحت وطأة الظلم وسوء الإدارة والفساد وتعديات أفراد الجيش أصبحوا يكرهونه ويتمنون زوال حكمه. وفي نفس الوقت لايريدون الشيوعيين. لقد رأيت بأم عيني علامات الغضب ترتسم على وجوههم عندما كانوا يسمعون الأمريكيين يرددون الأكذوبة الملفقة التي أطلقتها جماعة تشينك كاي شيك بأن أهالي فورموزا المتخلفين الجهلاء كانوا يعيشون في العصور الوسطى قبل دخوله إلى البلاد وبفضل قيادته الفذة والملهمة حوَّل أهالي هذه الجزيرة التعساء إلى مجتمع متقدم متعلم وذكي وسعيد. طبعاً هذا هراء وخطأ فادح. إذ إن فورموزا كانت تحت الاستعمار الياباني.

وإن ٩٥٪ من سكانها كانوا متعلمين وكانت تقنيات الزراعة عندهم أكثر تقدماً في آسيا كلها باستثناء اليابان. صحيح أن تشينك كاي شيك قد أجرى إصلاحاً زراعياً في فورموزا (وكان ذلك بقصد تفتيت الإقطاعيات اليابانية الكبيرة) كما حقق تطويراً وتنمية زراعية غير أن مستوى التعليم والمهارات المتوارثة كانت موجودة منذ زمن طويل قبل قراره باللجوء إلى هذه الجزيرة.

لقد تقدمت أحوال الجزيرة تكنولوجياً تحت حكم اليابان، وانتشرت شبكات الطرق الحديثة في جميع أنحائها، كما تطورت وسائل الري والكهرباء. وأي شخص يزور فورموزا الآن سيجد ازدهاراً نسبياً ومؤشرات مضيئة للتقدم الاقتصادي، غير أن الحقيقة تكمن بوجود تسعة ملايين من الأهالي لايزالون يكرهون الوافدين من الصين مع تشينك كاي شيك والبالغ عددهم المليونين. هؤلاء أتوا لاجئين واستولوا على السلطة وحكموا بالحديد والنار. إن جميع أهالي الجزيرة يفضلون الاستقلال وينظرون بعين باردة نحو أمريكا ويحمّلونها وزر حماية جماعة تشينك كاي شيك ودعمها لهم في السيطرة على الجزيرة. وبالطبع فإنَّ هذه التهم تعد من وجهة نظرهم اتهامات مبررة.

إنهم يؤكدون أن فورموزا ليست من ضمن ممتلكات تشينك كاي شيك . بالمناسبة فإن الرئيس ترومان أكد هذا الرأي عندما استلم مهام منصبه .

يعتقد أغلبُ الأمريكيين أن فورموزا تعود إلى الصينيين الوطنيين . إن هذا ليس صحيحاً . فبعد الحرب العالمية الثانية قررت القوى العظمى أن مصير فورموزا سيحدد في المستقبل . لقد احتل تشينك كاي شيك الجزيرة لأنه لايوجد مكان آخر يذهب إليه . وهناك اعتقاد خاطئ آخر مفاده أن مواطني الجزيرة المحبين للحرية حوّلوا هذه الجزيرة إلى كيان سياسي مثالي ونموذج يحتذى به أمام جميع بلدان آسيا حيث توجد انتخابات نزيهة إذ إن المسؤولين يختارهم الشعب بالأسلوب الديمقراطي الصحيح . أما على المستوى المحلي المتمثل في اختيار رجال البرلمان - الموازي للكونكرس عندنا - فليس للشعب فيه أي دور .

وهنا تكمن قوة صانعي السياسة في الجزيرة . إن بضعة آلاف من المشرّعين المعينين بشكل اعتباطي من قبل تشينك كاي شيك شخصياً من خلال انتخابات صورية جرت في عام ١٩٤٨ مازالوا في مراكزهم حتى الآن بدون تغيير . وإن جلهم تقريباً من اللاجئين الصينيين الذين أتوا معه منذ البداية . ولا يوجد بينهم

أي شــخص من سكان فــورمــوزا الأصليين الذين يشكلون الآن ٨٠٪ من مجموع السكان.

فإذا سنحت لفورموزا الفرصة لتسمية أعضاء المجلس الوطني وانتخابهم في الجزيرة بحرية فمن الطبيعي أن لايحصل تشينك كاي شيك وجماعته على أي صوت وبذلك يفقدون مراكزهم بالكامل. إن بقاء الوضع الحالي في فورموزا على ماهو عليه وسيطرة تشينك كاي شيك وجماعته يعود إلى استمرار الدعم الأمريكي لهم، الذي ربما يكون لأسباب وجيهة ولكن بكلفة باهظة. وبشكل مباشر أو غير مباشر فقد أنفقت الولايات المتحدة الأمريكية حوالي ٧٥٠ ألف دولار سنوياً لحماية نظام تشينك كاي شيك في فورموزا ودعمه وتأييده. ولا تسمح وزارتا الخارجية والدفاع في أمريكا لأي شخص بمعرفة الكلفة الحقيقية لتلك المساعدات ولهذا فإننا نقدّر ذلك تقديراً. غير أنه إذا أضفنا كلفة المحافظة على قواتنا العسكرية هناك يصبح المبلغ عالياً جداً.

إنَّ السياسيين والقادة العسكريين في أمريكا يدّعون مبررين أن مايدفع إلى تشينك كاي شيك كان بهدف دعم الجيش الوطني. والمفهوم الضمني واضح تماماً- فهذا الجيش الوطني سيدافع حتى الرمق الأخير ويبذل

الجهد في سبيل التغلب على "الجيش الأحمر" . طبعاً لايمكن التأكد من ذلك أبداً حتى حصول الاشتباك وانتهاء المعارك. غير أن أي رجل عسكري لديه حس تاريخي يمكنه أن يقدّر أنّ إمكانيات جيش مؤلف من شباب تحت الخدمة الإلزامية جندوا قسراً وضد إرادتهم ووضعوا تحت سيطرة الأجانب سيكون جيشاً غير فعّال في أي معركة يخوضها. في الواقع إن ٧٠٪ من رجال هذا الجيش الوطني الذي جنده تشينك كاي شيك هو من شباب فورموزا الذين سيقوا إلى الخدمة العسكرية الإلزامية. وإنه ليس لديهم أي دوافع في استعادة أرض الصين الأم، ربما يمكنهم أن يقاتلوا جيداً في حرب دفاعية ولكن إذا قام تشينك كاي شيك في غزو أراضي الصين الأم فإن أغلب هذا الجيش سيقوم بعصيان وببساطة سيتراجع إلى الوراء دون أن يقاتل من أجل أهداف لاتعنيه.

إن الإصرار على أن جيش تشينك كاي شيك يملك قدرة عالية كلام فارغ لاصحة له للأسباب التالية :

١- كانت المعركة النظرية المضللة إحدى القصص الكاذبة التي وضعت من أجل الزوار.

٢- إن تقارير وبيانات ضباط الجيش الأمريكي الذين يعملون على تدريب عناصر جيش تشينك كاي

بذلك. قال لي أحد الأصدقاء من الصينيين إن تلامذة المدارس في العاصمة تيباي تلقوا دروساً ولمدة أسبوع كامل قبل الحادثة حول أمريكا الامبريالية. بالإضافة إلى إعطائهم الأوامر كي يتجمعوا ويسيروا نحو السفارة الأمريكية يوم ٢٤ أيار. ويظهر إذن بشكل واضح أن جميع تفاصيل عملية المظاهرة واقتحام السفارة ونهبها كانت مخططة ومقررة سلفاً. ولم تكن خافية عن الحكومة الوطنية. ويبدو أيضاً أن الجميع باستثناء الأمريكيين كانوا على علم بتفاصيل العملية.

والغريب أيضاً هو أن أحداث الشغب جرت بعد خروج السفير الأمريكي من تيباي في إجازة إلى هونغ كونغ بفترة قصيرة. ولهذا لم يكن لدى الحكومة الأمريكية في واشنطن أية إشارة عن اقتراب حدوث تلك الأحداث المذهلة المخيفة. رغم أن السكان المحليين كانوا جميعاً مهيئين لذلك.

ناهيك عن الاستعداد والتحضير الكامل لأحد المصوّرين الصينيين الرسميين لتصوير حادثة اقتحام السفارة الأمريكية. ثم إن الذين قادوا المظاهرة واقتحموا السفارة كانوا من أعضاء البوليس السري الرسمي الذي تحت إمرة "تشينغ شينغ كيو" الابن البكر للجنرال تشينك كاي شيك. ومن المعروف أن السيد

ومن المؤسف حقاً القول إن جيش تشينك كاي شيك، الذي يعد حوالي نصف مليون جندي، لن يكون له أي دور في أي حرب مع الشيوعيين. وإن الولايات المتحدة الأمريكية ستتحمل وحدها عبء وطيس المعارك.

في الواقع فإن حكومة الصين الوطنية تحتاج إلى جيش صغير العدد أما الأسباب الحقيقية لوجود نصف مليون جندي في جيش تشينك كاي شيك في فورموزا فهي: إن هذا الجيش يشكل حجة قوية للحصول على مساعدات مالية من الولايات المتحدة الأمريكية. إننا نتحمل الأعباء المالية لتكاليف هذا الجيش. لأنه في حالة تسريحه ستحدث هناك مشاكل اقتصادية كثيرة. فكيف يمكن بغير ذلك إعالة هذا العدد الكبير من البشر الذين ليس لهم أي مصدر آخر للدخل أو التجارة؟.

كما أن وجود هذا الجيش الكبير يسمح لتشينك كاي شيك بالاحتفاظ بسلطته الدكتاتورية على الجزيرة. فلا يمكن لتشينك كاي شيك البقاء شهراً واحداً في فورموزا بدون مساعداتنا ودعمنا. علاوة على ذلك فإن المواطنين الصينيين حانقون على الولايات المتحدة الأمريكية بسبب دعمها هذا: أولاً- لأنهم لايشعرون بالسعادة لكونهم يعيشون على صدقة

الآخـرين. خـاصـة أن وجـود آلاف من الأمـريكيين مع عـائلاتهـم في فـورمـوزا يذكـرهـم بذلك. وثانيـاً- إنهـم يعيشون في فورموزا في حالة من الإحباط وعدم الأمل لمدة عـشـر سنوات خلت. لقـد أدركـوا أن فـرصتـهـم لاستعادة السلطة على الصين الأم أصبحت تقل أكثر فـأكـثـر. لقـد اقـتـربوا بشكل خطيـر من نهـاية المطاف وأمسى الأمر الـوحيد الذي ينتظرونه قيام حـرب عالمية ثالثـة تتـصـدى فـيـهـا أمـريكا إلى الصين الشـيـوعـيـة وتحـررها. وهـذا هدف تشـينك كـاي شـيك خـلال السنوات الخمس الماضية فهو يعتقد أن الولايات المتحدة الأمريكية مدينة له بذلك. ويبدو أن الصينيين الوطنيين قد أقنعوا أنفسهم سحرياً في الاعتقاد بأنه لولا القيود والموانع التي أوجدها الأمريكان لكانوا منذ زمن طويل قد استعادوا السيطرة على أرض الصين الأم.

ولنضرب مثلاً على ذلك في عملية نهب السفارة الأمريكية في "تيباي" في ٢٤ أيار عام ١٩٥٧ . لهذه العملية أوجه كثيرة تستحق أن تفكر بها. إن أساس هذا الشغب كان عندما وجد أحد الصينيين الوطنيين ويدعى "ليو" مقتولاً خارج منزل أحد الجنود الأمريكيين من حراس السفـارة الأمريكيـة. لقـد اتهم الجندي بجـريمة القتل وتمت محاكمته أمام المحكمة العسكرية. أوضح

الجندي المتهم أمام القضاة : أن الرجل المقتول ليو كان يسترق النظر من النافذة على زوجته وهي عارية داخل الحمّام، ومن أجل حمايتها اعترك مع ليو وأطلق عليه الرصاص من مسدسه فصرعه دفاعاً عن النفس .

استمعت المحكمة إلى هذه الأقوال وأقوال أخرى، وكانت المحاكمة طويلة وعلنية فقد حضرها ممثلون من دائرة العدل في حكومة تشينك كاي شيك. غير أن ممثلي تشينك كاي شيك أعلنوا أن المحاكمة كانت غير عادلة وأن قاتل ليو تلقى دعماً كبيراً لتبييض صفحته . ونتيجة التحريض الرسمي على الفتنة ظهرت بوادر حقد وعدم رضى في الصحافة الوطنية . إن معنى ذلك كله يتوضح إذا عرفنا أن هذه الصحافة الوطنية كانت تابعة بشكل كامل تقريباً إلى سلطة تشينك كاي شيك . فخلال السنوات الخمس الماضية كان في "تيباي" العاصمة جريدة واحدة تعبر عن رأي المعارضة وأن رئيس تحريرها محكوم بالسجن لمدة عشر سنوات .

لقد اتهم الصينيون الجندي الأمريكي بجريمة القتل وكانت الصحافة الصينية تنشر المقالات الصارخة وتقول إن العدالةلم تتحقق في تلك المحاكمة . وإنَّ الأمريكيين إذا أساؤوا أو شتموا الصينيين لايحصل لهم أي مكروه ولا ينالهم أي عقاب .

وبعد فترة قصيرة من إعلان نهاية المحاكمة ظهرت زوجة المغدور به أمام السفارة الأمريكية حاملة يافطةً كبيرة كتب عليها بالخط العريض وباللغة الإنكليزية عبارات الاحتجاج على عدم العدالة في الحكم الذي أصدرته المحكمة العسكرية في أمريكا في هذه القضية. وقد تجمّع عدد من الناس معها وفي خلال أقل من ساعة وصل عددهم إلى حوالي الألف وسدوا كل الطرق المؤدية إلى السفارة. وظهر بينهم أحد موظفي محطة الإذاعة الوطنية مع مسجلة ومكبر صوت. في حين قامت زوجة ليو بإلقاء خطاب مكتوب سجّل بالكامل. وتميز بحماسة ولهجة هستيرية متهيجة. وعندما انتهت أدار موظف الإذاعة الميكرفون نحو الجمهور وأسمعهم الخطاب بصوت عال. استشاط الجمهور غضباً وحماساً وقاموا باقتحام السفارة ودمروها بالكامل، بل إنهم كسروا الخزانة الحديدية (الكاصة) ونهبوا محتوياتها. وقامت محطة الإذاعة الشيوعية والصحف الشيوعية ببث ونشر هذه الأخبار مباشرة على الهواء للعالم أجمع. وقد سبب ذلك إحراجاً كبيراً لأمريكا. وظهرنا بالفعل بشكل غبي وغير لائق سياسياً أمام العالم.

لقد تزامن وقوع هذه الحادثة مع عدد من الأمور

والأحداث الغريبة، وهنا يتساءل المرء لماذا في بلد بوليسي مثل الصين الوطنية لم يعمل رجال الشرطة أو الجيش على تفريق المظاهرة والجموع الهائجة من أمام السفارة الأمريكية؟ ثم إن الأمر المذهل الذي حدث في ذلك اليوم تمثل في انسحاب الجيش من " تيباي " إلى خارجها لدورة تدريب عسكري على الغارات الجوية. كأنَّ كل شيء جاء مخططاً له سلفاً على أن يتم في ٢٣ أيار غير أنه تم تأخيره يوماً واحداً ليتوافق مع أحداث المظاهرة. ومع ذلك كان هناك عددٌ من المدرعات العسكرية على بعد مسافة قصيرة من السفارة. فلماذا لم يتدخلوا أو يُؤمروا في التدخل لوقف الشغب ومنع التعدي على السفارة الأمريكية. في الواقع كان خبر احتمال حدوث مظاهرة الاحتجاج منتشراً في أرجاء تيباي وفي ذلك اليوم تماماً. وإنه في ليلة الحادثة تلقى عدد من قساوسة الكاثوليك هواتف غريبة تقول: " أرجوك ياأبتي لاتتجول في الشوارع غداً صباحاً في جميع الأحوال ابتعد عن مبنى السفارة الأمريكية ". لقد ذكر لي ذلك بعض القساوسة.

كما أكد لي دكتور من فورموزا أنه سمع تفاصيل المظاهرة قبل ٤٨ ساعة من حدوثها. ويبدو أن الجميع تقريباً ماعدا أعضاء السفارة الأمريكية كانوا يعرفون

بذلك. قال لي أحد الأصدقاء من الصينيين إن تلامذة المدارس في العاصمة تيباي تلقوا دروساً ولمدة أسبوع كامل قبل الحادثة حول أمريكا الامبريالية. بالإضافة إلى إعطائهم الأوامر كي يتجمعوا ويسيروا نحو السفارة الأمريكية يوم ٢٤ أيار. ويظهر إذن بشكل واضح أن جميع تفاصيل عملية المظاهرة واقتحام السفارة ونهبها كانت مخططة ومقررة سلفاً. ولم تكن خافية عن الحكومة الوطنية. ويبدو أيضاً أن الجميع باستثناء الأمريكيين كانوا على علم بتفاصيل العملية.

والغريب أيضاً هو أن أحداث الشغب جرت بعد خروج السفير الأمريكي من تيباي في إجازة إلى هونغ كونغ بفترة قصيرة. ولهذا لم يكن لدى الحكومة الأمريكية في واشنطن أية إشارة عن اقتراب حدوث تلك الأحداث المذهلة المخيفة. رغم أن السكان المحليين كانوا جميعاً مهيئين لذلك.

ناهيك عن الاستعداد والتحضير الكامل لأحد المصوّرين الصينيين الرسميين لتصوير حادثة اقتحام السفارة الأمريكية. ثم إن الذين قادوا المظاهرة واقتحموا السفارة كانوا من أعضاء البوليس السري الرسمي الذي تحت إمرة "تشينغ شينغ كيو" الابن البكر للجنرال تشينك كاي شيك. ومن المعروف أن السيد

كيو تدرب لعدة سنوات في موسكو وتزوج من فتاة روسية. وبعد عودته أصبح الرجل الثاني بعد أبيه في فورموزا. فهو رئيس البوليس السري ومدير المكتب السياسي الذي يحكم الجيش ورئيس لعدد من منظمات الشباب. كما يتقن اللغة الروسية أكثر من إتقانه للغة الفورموزية أو الإنكليزية. حتى إنه منذ سنتين فقط لم يكن يعرف اللغة الإنكليزية أو الفورموزية. فقد أعلمني أصدقائي في تيباي أن ليو كان الرجل الوحيد المسؤول في الحكومة الوطنية الذي لم يجبر على توقيع التعهد المعلن ضد الشيوعية.

وخلال بضعة أيام نشرت جميع الصحف صور رجال تشينغ شينغ كيو غير أنها اختفت جميعاً بشكل غامض.

إضافة إلى هذا الحدث السحري أسرَّ لي اثنان من المسؤولين المرموقين في وزارة الخارجية الصينية بالمعلومات الآتية المرعبة:

" لدينا كل الأسباب كي نعتقد أن ليو والجندي الأمريكي كانا متعاونين وبينهما صداقة عائلية. ولدينا قناعة قوية أن ليو والجندي الأمريكي كانا يتعاطيان التجارة في السوق السوداء وكان ليو مديناً للجندي الأمريكي بمبلغ كبير من المال. وعلمنا أن الجندي

الأمريكي كان على وشك الانتقال من فورموزا لذا كان يلح بعنف في طلب أمواله .

وقال لنا الطبيب الشرعي الذي عاين جثة ليو بأن الهراوة التي وجدت بقرب الجثة كانت صغيرة بشكل لايمكن أن تسبب أي أذى أو تهديد لأحد . وإن الرصاصة الثانية التي أطلقت على ليو دخلت في ظهره من مسافة ٣٠ قدماً تقريباً مما يدل على أن ليو أصيب أثناء هروبه من صديقه الجندي الأمريكي .

وبعد سماعي لذلك قلت لهما لماذا لم تدليا بهذه المعلومات إلى المحقق الأمريكي ؟ أجابا معاً : لقد أخفينا عمداً هذه المعلومات لأن الصين الوطنية والولايات المتحدة الأمريكية كانتا تتفاوضان حول تجديد اتفاقية وضع القوة العسكرية وسيكون من مصلحة تشينك كاي شيك أن يثبت حقيقة أن القضاء الأمريكي لم يكن منصفاً .

حاولت حكومة تشينك كاي شيك استغلال المحاكمة والمظاهرات كسلاح سياسي . إنها ليست الصورة التي أعرفها أنا وأنت عن فورموزا ولكن يوجد مئات من المسؤولين الأمريكيين في فورموزا ومن مسؤولياتهم معرفة مايجري في البلاد وارسال الأخبار إلى الولايات المتحدة الأمريكية (خبراء ومراسلين

اسوشيتت برس مثلاً) . ولكنهم لم يقوموا بذلك . لقد قام مخبر شاب من اليونايتت برس اسمه "برون" بوصف الأحداث التي قادت إلى عمليات الشغب بصدق وكانت مكافأته أنه طرد من عمله وأصبح منبوذاً من قبل المسؤولين الأمريكيين والصينيين معاً . لقد اتهموه بعدم المسؤولية وبالتحيز إلى الشيوعيين . إن الصورة المغلوطة للأحداث هي انتصار لآلة الدعاية لتشينك كاي شيك التي كانت قادرة خلال عشرين عاماً على أن تسيطر على أمريكا سيطرة تامة حتى الإذلال .

لقد كان تشينك كاي شيك يعمل بموجب مقولة هتلر التي تقول "إذا كررت نفس الشيء مرة تلو الأخرى وبصور مختلفة فإن الشعب سيتقبل ذلك في النهاية " . لقد أمطرنا الصينيون الوطنيون ومن خلال صحافتنا وحكومتنا بوابل من الأخبار حول البيانات غير المؤكدة عن الاجتياح الشيوعي ، وحول قصص مبالغ فيها بهدف تبرير هذا الاجتياح وعن ثورات داخلية داخل الصين الشيوعية . وكذلك قصص وتقارير عن المعارك الوشيكة المحتملة . لقد قام المسؤولون عن العلاقات العامة في حكومة تشينك كاي شيك بطرح القصص التي تمجد قدرة قوى الجيش وسلاح الطيران والبحرية . وهذه القصص الملفّقة تدعي

بكل ثقة أن القوى الوطنية بمفردها تستطيع التغلب على جيش الصين الشيوعي. وكل ماتحتاج إليه هو آليات ومعدات أمريكية ودعم لوجستي. ويتفاخرون بالقول بأن الصينيين الوطنيين اكتسبوا شعبية عالية في فورموزا وأن الصين الشيوعية التافهة الخادعة هي على وشك التفسخ والانهيار. لقد قدمت هذه القصص السخيفة المخادعة إلى المراسلين الصحفيين في نشرة مطبوعة. وكانت تلقى مع البيانات الموجزة على الزوار الكبار كما أنها كانت توشوش سراً من قبل مدام تشينك كاي شيك إلى مجموعات السواح الذين يزورون فورموزا.

سواء كانت البيانات والقصص غير صحيحة أم لا فإن هذا ليس هاماً. فالعنصر التراجيدي كان في قبول تلك الترهات بدون أدنى شك من أغلب رجال صحافتنا ورجال حكومتنا.

لقد عملت حكومة الصين الوطنية منا مغفلين وهذا شيء يكاد لايصدق. وبعد مدة وجيزة من سماعنا عن نظام المجمعات الشيوعية كتب صحفي أمريكي مقالاً شهيراً جداً عن الموضوع نال عليه منحة دراسية واعتمد كمعلومات موثوقة وصحيحة.

استند جزء كبير من مقالته على مقابلة مع أحد الصينيين الهاربين من مجمع شيوعي. وصدف أن كنت

شخصياً في هونغ كونغ ودققت في إدعاءات هذا الشاهد الصيني عن نظام المجمعات الشيوعية. وعرفت فور لقائي به أنني رأيته مرة في فورموزا. لقد كان موظفاً في دائرة الاستعلامات في حكومة الصين الوطنية. لقد زرع هذا العميل في "ماكاو" ليظهر على أنه لاجئ. وكانت مهمته أن يروي للسياح والصحفيين المتكلمين باللغة الإنكليزية عن الهول والبشاعة التي رآها وعاناها في المجمعات في الصين الشيوعية.

لاأنفي أن المجمعات الشيوعية تعد شيئاً مخيفاً ومجرد التفكير باحتمال نجاحها في النهاية يشعرني بالخوف والرهبة لأنه إذا أصبح سبعمائة مليون صيني يعملون بكفاءة فهذا يعني أن يبلغ الإنتاج الصيني ضعف إنتاج الولايات المتحدة الأمريكية.

يجب أن ندرس نظام هذه المجمعات ونعرف كل شيء عنها وعن الصين، كما يجب أن نحصل على هذه المعلومات من مصادرها الصحيحة. وليس عن طريق مخبر أو صحفي أجنبي يحاول أن يثبت رأياً أو يروّج عنواناً معيناً. علينا أن ندرس المجمعات الشيوعية ليس لأنها شيء غير أخلاقي أو لأنها تشعرنا بأننا الأعلى والأتقى دينياً ولكن على أساس أنها سلاح اقتصادي يشكل خطراً على أمتنا وحضارتنا.

ففي أمريكا عدد بسيط من المراسلين والمحررين الصحفيين الذين يلمّون بشؤون آسيا ويتقنون اللغة الصينية. فمن خلال تعليقاتهم وملاحظاتهم الشخصية عن الصين يمكننا أن نعرف الشيء الكثير عن هذه المجمعات. فمنذ عدة سنوات دعت الصين عدداً من هؤلاء الصحفيين لزيارتها. لهذا فإن كل مانعرفه الآن عن هذا الشعب الذي يعد الأكثر عدداً في العالم، بصورة رسمية أو غير رسمية - هو إما معلومات قديمة أو معلومات سرية. ونادراً مانشتكي من عدم كفاءة نظام جمع المعلومات لدينا.

عندما منع مستر دالاس عدداً من الصحفيين من السفر إلى الصين حاول رجال الصحافة الأمريكية جهدهم ليجبروه على تغيير قراره غير أنهم فشلوا في ذلك. وبعد عدة أسابيع من الشكوى عادوا إلى مزاولة عملهم في بيع صحفهم.

وإنني لاأذكر أي قصة هامة واحدة تخص فورموزا وصلتنا حولها معلومات هامة وصحيحة بشكل مستمر. لقد وصلتنا بيانات غير حقيقية حول جزر كيموى وماتسو قالوا لنا مثلاً:

١ - أن هذه الجزر هي مراكز استراتيجية وحيوية بالنسبة للدفاع عن فورموزا.

٢- إذا اضطر تشينك كاي شيك إلى إخلاء هذه الجزر فإن الشعور العام للصينيين في جميع أنحاء العالم بما فيها أهالي فورموزا سيصاب بالإحباط .

إنني لا أوافق على ذلك . فعندما غزت جيوش تشينك كاي شيك هذه الجزر اعتبر ذلك الإجراء ضد المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية . فقد عارض ذلك كل من وزارة الخارجية ومجلس الأركان المشترك . وفي عام ١٩٥٨ صرح الرئيس ايزونهاور في مؤتمر صحفي مايلي : " أعتقد كجندي أنه ليس من مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية أن يكون لها جيش على هذه الجزر " . وقال مساعد وزير الخارجية مستر والتر روبركسون : " لا يعقل لأي فرد لديه القليل من الذكاء والدراية في الشؤون العسكرية الظن ولو لحظة واحدة بأنه يمكن أن نختار هذه الجزر كقاعدة عسكرية لضرب أرض الصين الأم " .

وفي سبتمبر من عام ١٩٥٨ قال وزير الخارجية مستر اتشيشون : " إنَّ هدف تشينك كاي شيك توريطَ الولايات المتحدة الأمريكية مع أعدائه الشيوعيين " .

ومما يسترعي الانتباه أن الولايات المتحدة الأمريكية لديها الحق في منع الجيوش الصينية من التمركز في هذه الجزر لكنها لم تمارس ذلك (الرسائل المتبادلة بين دالس

وياه). وإن تشينك كاي شيك ببساطة تفوّق علينا بالمناورة والدهاء.

في تلك الأثناء انتشرت إشاعات مفادها أنّ الصين الشيوعية قد قدمت عرضاً للسلام مع فورموزا. والتداعيات غير المعلنة لتلك الإشاعات هي أن تشينك كاي شيك أوحى بأنه يدرس هذا العرض إذا لم تقم الولايات المتحدة الأمريكية بدعمه في موضوع جزر كيموى وماتسو. وكان ذلك بمثابة عملية ابتزاز. كانت هذه لعبته القديمة معنا. لقد استخدم الخدعة نفسها أثناء الحرب العالمية الثانية عندما اختلفت حكومة روزفلت معه إذ قام بحيلة لجعل الناس تعتقد أن اليابان قد اقترحت عليه اتفاقية سلام بشكل منفصل عن الصين. وأوهم الإعلام بأنهِ فيما إذا لم يحصل على المساعدات الأمريكية التي طلبها ستنهار معنويات شعبه وسيضطر عندئذ لقبول عرض السلام الياباني. وهكذا نجح ولبَّت أمريكا كل مطالبيه.

فعن طريق الغش والتحايل استطاع تشينك كاي شيك أن يخلق الخصام في صفوف المعارضة الداخلية فانقسموا على أنفسهم. والآن نجد أنفسنا متورطين بشكل مخيف في عملية الجزر النائية. لقد تحايل علينا تشينك كاي شيك واستخدمنا للدفاع عنها بالرغم من

أن المعاهدات التي التزمنا بها تنص فقط على الدفاع عن فورموزا والباسكادوروس ولا تدخل فيها تلك الجزر.

ولو كنا على يقين بذلك في عام ١٩٥٦ لكان بالإمكان تفادي هذا المأزق الذي وضعنا فيه تشينك كاي شيك. نحن اليوم في مركز لانحسد عليه دبلوماسياً وعسكرياً. ولكن يجب ألا ننسى أن ايزنهاور قام بذلك العمل بموافقة ومباركة الشعب الأمريكي.

فتعالوا نحلّل أوضاع جزيرة كيموى بشكل واقعي، . أولاً- إن جزر كيموي وماستو التي تبعد ثلاثة أميال فقط عن أرض الصين الشيوعية هي بدون شك ضرورية استراتيجياً من أجل حماية فورموزا والتي لاتبعد أكثر من مئة ميل عنها. بالنظر إلى الخريطة بشكل دقيق نرى أنَّ للصين الشيوعية شاطئاً ممتداً لأكثر من ٣٠٠ ميل وهو مناسب جداً للهجوم. وبالتأكيد فإن انتشار ٨٠ر٠٠٠ جندي من الصين الوطنية في تلك الجزيرتين الصغيرتين لايفيد في وقف الزحف الشيوعي. فيمكن أن تكتسحهم القوى الشيوعية بدون عناء يذكر أو إذا لزم الأمر يمكن أن تسحقهم مصادر القوة التي يملكها الشيوعيون بما فيها ٧٠٠ مليون إنسان من سكانها. بالإضافة إلى هذا فإن هؤلاء الجنود ليس

لديهم دعم لوجستي من قبل البحرية الأمريكية وبدون هذا الدعم سيعانون في جزر كيموى وماتسو من الجوع ونقص في الذخيرة والإمدادات. ويمكنني الجزم بحماس بأنه لايمكن لقوات الجيش الوطني المتواجدة في جزيرة كيموى أو فورموزا الصمود أمام الشيوعيين أكثر من شهر واحد ضد أي هجوم من قبل الجيش الأحمر. عندئذ يكون على الأسطول السابع الأمريكي أن يتصدى ويوقف محاولات الاجتياح العسكري الشيوعي.

إنَّ الصين الشيوعية لاتخاف من قوة تشينك كاي شيك لأنها تعرف تماماً أن الوحدات البرية والبحرية والمارينز والقوى الجوية الأمريكية المتواجدة في فورموزا هي التي سترد أي هجوم واعتداء وتطرد المعتدين.

لذلك فإن احتلال جزر كيموى وماتسو من قبل جيش تشينك كاي شيك ليس له أي فائدة عسكرية. وإن الجنرال تشينك كاي شيك يستخدم ذلك بكل بساطة كوسيلة ضغط سياسية لإبتزاز الولايات المتحدة الأمريكية.

وبالرغم من ذلك فإن هذه الجزر الصغيرة التي لاتبعد عن شاطئ الصين الشيوعية أكثر من ثلاثة أميال لها قيمة دعائية قوية. ولكن مع الأسف فإن أغلب

الفوائد الدعائية يستفيد منها الشيوعيون.

إن الصين الشيوعية في مركز مميز وقادتها يستغلون إلى أقصى حد نقمة الشعب الصيني. وهذا من أهم الأسلحة الدعائية التي يستخدمها الشيوعيون داخلياً. فالصين بحاجة ماسة إلى الموارد المالية. لقد حصل فشل ذريع في الإنتاج والخطط الخمسية لم تنجز أهدافها المرتقبة، ونظام المجمعات الشيوعية لم يحقق أهدافه في تحويل عقول الشعب الصيني عن الشعور بالفشل الداخلي. لهذا كان على القادة الشيوعيين أن يحركوا الجماهير ويوجهونهم نحو حالة مستمرة من القلق والخوف من الشياطين ومن الأجانب. ثم إن جزر كيموي وماتسو تعد مصدراً غنياً لهذا الخوف المطلوب. ونحن في دعم الجنرال تشينك كاي شيك في احتلالها نكون قد قدمنا إلى الشيوعيين الحجة التي يحتاجون إليها لتخويف شعبهم من الأجانب.

في عام ١٩٥٩ أجريت محاورة مع مجموعة من اللاجئين الصينيين الذين فروا من الصين الشيوعية إلى هونغ كونغ. وبدون استثناء قال هؤلاء: "إنَّ ما يحرك الشعب الصيني نحو العمل الشاق الذي يتوافق مع الطبيعة البشرية هو الكراهية الرهيبة لأمريكا. فالحكومة الصينية تقول لشعبها بأن أمريكا تستعد لغزو الصين

بالقنابل النووية. فمن أجل البقاء يجب على كل فرد في الصين أن يلبي الطلبات والمعتقدات الشيوعية ويكدح في المجمعات الشيوعية " .

في الحقيقة إن دعم الجيش الوطني لتشينك كاي شيك في احتلاله جزيرتي كيموى وماتسو اللتين تقعان على مرمى بندقية من سواحل الصين الشيوعية، قد أصاب الشعب الصيني بالجنون. إن هذا الوضع كان دعاية رائعة مجانية للشيوعيين. بالإضافة إلى أن احتلال هاتين الجزيرتين قد أفقد تشينك كاي شيك والولايات المتحدة الأمريكية التعاطف الدولي. ففي كل بلد كنت أسافر إليه سواء في آسيا أو أوروبا أو بلدان الباسيفيك كنت أشعر بأن الناس يعتقدون أن الاحتفاظ بجزيرتي كيموى وماتسو من قبل جيش فورموزا عملٌ غير عقلاني وفظيع. (وإذا رغب أي باحث في دراسة التفاصيل والوثائق يمكنه مراجعة بحث " ورطة تشينك كاي شيك والولايات المتحدة في كيموى " للمؤلف تانغ تسن (منشورات جامعة شيكاغو، المجلة الفصلية لسياسة الغرب، كانون الأول ١٩٥٩).

إن قبول الشعب الأمريكي بسهولة للأقوال التي تعبر عن نصف الحقيقة أصبح مألوفاً. بعض هذه

القصص المضحكة لها معالم الحقيقة غير أنها تحتوي على شيء من الدعاية. وهذه النتف والأجزاء لها خاصية الظهور بشكل صورة كبيرة مغلوطة.

في مارس من عام ١٩٦٠ أرسلت "يونايتت برس الدولية" صورة لتشينك كاي شيك مع زوجته سينغ لي شيك إلى الصحف. نشرت هذه الصورة في جميع أنحاء الولايات المتحدة. مع حاشية كتبت في أسفلها - " تيباي - الرئيس تشينك كاي شيك أحرز انتصاراً ساحقاً في إعادة انتخابه من قبل المجلس الوطني".

كانت هذه الحاشية صحيحة بالنسبة لأي فرد خبير في الشؤون الصينية. لكن القارئ العادي استنتج أن تشينك كاي شيك قد أعيد إلى السلطة عن طريق انتخاب شعبي. فلم يشرح للقارئ أن العملية كانت مخالفة للدستور الوطني لأن الدستور لايسمح بإعادة انتخابه لسدة الرئاسة. كما أن القارئ لم يدرك أن أعضاء المجلس الوطني الذين انتخبوه كانوا معينين من قبله ولم يكونوا منتخبين من قبل الشعب.

وباختصار فقد قرر تشينك كاي شيك خلافاً لنصوص الدستور أن يستمر كديكتاتور على فورموزا بغض النظر بما يفكر أو يعتقد به الشعب. لقد كان ذلك حديث الناس من الصينيين والفورموزيين ولا سيما أنَّ

الرأي العام في فورموزا كان ضد استمرار تشينك كاي شيك في السلطة خلافاً لأحكام الدستور. وقد ناقشت ذلك مع أحد المسؤولين الأمريكيين الكبار في السفارة وشرحت له كل ماأعرف حول المحتوى العام لهذا الفصل من الكتاب عن فورموزا فأجاب: إن ماقلته، ياصديقي يعد صحيحاً ولكن لاتنشر عنه شيئاً. فلماذا ننشر شراشفنا الوسخة أمام الناس؟. إن ذلك يسيء إلى حلفائنا ويساعد أعداءنا الشيوعيين".

طبعاً لم أوافق على هذا الطرح لأنني أؤمن بأنه إذا اطَّلع المواطنون الأمريكيون على الحقائق بغض النظر عن كونها سارة أم لا فإنهم سيتجاوبون مع الواقع ويتصرفون بصورة عقلانية، وخاصة أن حلفاءنا وأعداءنا يعرفون كل الحقائق عن فورموزا فلماذا نخفيها عن شعبنا في أمريكا. فهل الشعب الأمريكي يسمح لنفسه أن يكون مغشوشاً ومخدوعاً؟ والآن هل سياساتنا الوطنية تتطلب دعم تشينك كاي شيك والدفاع عنه وعن عائلته التي أصبحت أكثر ثراءً ونفوذاً؟

فإذا كنا نريد أن نستخدم وغداً ومحتالاً علينا أن نقوم بذلك بأعين مفتوحة وبشكل نزيه وشريف. ولكن للأسف لم يحدث ذلك مع تشينك كاي شيك ولا مع

الصينيين. ففي رأيي أن الأمة الأمريكية سمحت لنفسها أن تكون منقادة ومسيّرة بصورة خطرة لأن المواطنين الأمريكيين سمحوا لأنفسهم بأن تكون عقولهم محشوة بالأكاذيب عن قضايا الصين بل في حالات عديدة كانوا يخافون من ممارسة الجرأة والفخر والاعتزاز بالتقاليد الأمريكية التي تملي عليهم حرية التعبير عما يفكرون به. أما من كان يعترض منهم على تصرفات الولايات المتحدة ضد الصين فكان يتهم خطأ أو صواباً بأنه منحاز إلى الشيوعية.

خلال السنوات العشرين الماضية كان كل من يمانع في نشر صورة تشينك كاي شيك وعائلته المترفة يعتبر قد ارتكب خطيئة كبرى. والويل لأي شخص يفتح فمه في مناقشة هذه الصورة البهية المهيبة. كان هناك بعض الاستفسارات حول هذه الصورة وغيرها من بعض الصحفيين غير أنها لم تلق آذاناً صاغية وطغت عليها تصريحات السياسيين والمضللين والدعايات الكاذبة لجماعة العلاقات العامة من الصينيين. إن الحقيقة المؤلمة عن قضايا الصين نادراً ماكانت تعرض بشكل كاف. وإن مؤسسات الإعلام في الولايات المتحدة قد ساهمت كثيراً في عملية التشويش والتضليل حول هذه القضايا. وهذه المؤسسات تشمل الصحف

والتلفزيون والراديو وغيرها من آليات الاعلام .

يمكننا أن نستنتج من كل هذا بأن عدداً من المسؤولين سواء في الحكومة أو خارجها كانوا يجهلون القضية وأحوالها وكانوا أكثر اهتماماً في فبركة الرأي العام أو في التأثير على الإدارة الأمريكية في طرائق تزويد المواطنين بالحقائق بشكل صحيح ونزيه .

وإذا كانت الدعاية الحالية شعوذةً وخداعاً وإذا كان المواطن أخرس ويتقبل كل شيء يقال له دون تفكير فعلينا أن نتوقع مستقبلاً صعباً ورديئاً للولايات المتحدة . , إن الأمة العريقة لايمكنها أن تبقى على قيد الحياة لمدة طويلة على أساس من خداع النفس والتضليل والإعلام الكاذب .

رابعاً - مالا يعلمه الشعب الأمريكي عن كوريا

أربعة عشر عاماً مضت ونحن نعيش في جهل مطبق عن كوريا وعن عادات شعبها وحكوماته ولغته . وعن زعيمها الأوحد "سيكمان رهي" . وقد أدى هذا الجهل إلى حدوث ثورة مدنية أجبرت الزعيم "رهي" المدعوم من أمريكا على الفرار من البلاد . لقد استغلت الدعاية الشيوعية هذه الواقعة لتقول مرة أخرى إن الجماهير في كوريا أطاحت بالطاغية عميل أمريكا .

إن هذه الحقائق عن كوريا لايعرفها الكثيرون من المسؤولين المدنيين والعسكريين، كما أن الإعلام في أمريكا (والذي لم ينوّر الشعب قط) دفعنا ودفع حكوماتنا إلى دعم حكومة فاسدة وجائرة. ومن أجل أن نفهم وندرك ماذا حدث علينا أن نتعرف أكثر على الحقائق التي أخفتها صحافتنا وحكوماتنا.

عندما كنت في ذلك الشتاء الكوري أرتعش من البرد وتصطك أسناني وتؤلمني فتحات أنفي وأصابع قدمي رأيت نساء كوريات يرتدين ثياباً خفيفة وأحذية مهلهلة مثل راقصات الباليه، ويحملن سلالاً فارغة من الطعام، وبالرغم من أن كوريا كانت في حالة حرب وتقصف بالقنابل فقد كانت هؤلاء النسوة يتحركن بمرح وابتهاج وقامتهن منتصبة وخدودهن وردية، يرفضن الاعتراف بالحالة السيئة القائمة بين بلادهن وبين العالم. فالكوريون هم أقوياء الجسم ولديهم القدرة على تحمل الأضرار وقساوة الحياة دون احتجاج أو انفعال. إلى درجة تترك انطباعاً في الغرب وفي بلادنا بأن هؤلاء ليس لديهم أعصاب على الإطلاق.

كنت في سيؤول عندما قبض على لص كوري سرق بنطالاً من شاحنة عسكرية وسيق به إلى القضاء وعندما طلب منه قاضي التحقيق أن يعترف بالسرقة

أنكر ذلك وأعلن أنه بريء. فقام المحققون الواحد تلو الآخر بمحاولات شتى لجعله يعترف بالقوة فكسروا أصابع يديه ولكن دون جدوى. لقد تحمَّل الآلام المبرحة والتعذيب الجسدي بدون أي همسة احتجاج.

والكوريون مجموعة من الأشداء الشرسين، ربما تطبّعوا بذلك تحت تأثير أوضاعهم المناخية والجغرافية حيث إن أرضهم وعرة وصخرية ومناخهم قاس وبردهم شديد. وإن أربعين عاماً من الاحتلال الياباني لم تغير من طباعهم شيئاً.

والكوريون يتصفون بأنهم فنانون وخبراء في القدرة على العيش تحت هذه الظروف القاسية وهم عند الضرورة لصوص محترفون فلا تنجو الجيوب المقفولة بالأزرار ولا الدكاكين المغلقة بالأقفال الثلاثية والمحروسة جيداً من أصابعهم الرشيقة ومهاراتهم في النشل ونفسياتهم التي تقبل على المجازفة. وإن أفراد الجيش الأمريكي الذين تواجدوا هناك يشهدون على ذلك.

الكوريون شعب عنيد قاس ذو حيوية بالغة يبلغ عددهم / ٣٢/ مليون نسمة. يتحلون بالشهامة وجلودهم مثل الجلد المصبوغ الملمع أما روحهم فهي مثل برميل من البارود المتصل بفتيل قصير ولا يعرف

متى ينفجر . وهكذا هو أيضاً زعيمهم " سيكمان رهي " الرجل العجوز الذي يحلم أن تكون كوريا مستقلة وموحدة تحت زعامته ورئاسته .

عندما يتحدث عن حلمه هذا تجده ناعماً ولطيفاً ومقنعاً ويعرف أن الناس تستمع إليه بإعجاب واحترام . غير أنه عندما يعارضه أحد تنتفخ عضلات فكّيه بشكل تشنجي وينفتح فمه العريض مثل فخ من الفولاذ وتنهمر منه الشتائم والاتهامات العنيفة . إنه لايتقبل النقد .

في ٩ سبتمبر ١٩٤٥ هاج آلاف الكوريين في شوارع أغلب مدن كوريا الجنوبية يهتفون ويصرخون بفرح ويرفرفون بالأعلام ويتدافعون ويرقصون . لأنهم انتظروا أربعين سنة للوصول إلى هذه اللحظة . في ذلك اليوم حدث ماكانوا ينتظرون . فالجيش الأمريكي بقيادة الجنرال هودج وصل إلى كوريا الجنوبية بعد أن كان الجيش الروسي قد احتل مدن كوريا الشمالية منذ عدة أسابيع .

وتقبل الجنرال هودج استسلام اليابانيين وشكَّل حكومة عسكرية مؤقتة ريثما تنتهي أوزار الحرب ويتم توحيد الأمة من جديد . وريثما يتم أيضاً طرد اليابانيين من البلاد . إن كوريا التي كانت منذ ألف وثلاثمائة عام

بلداً واحداً ولغة وعرقاً واحداً وثقافة واحدة ستصبح مرة أخرى حرة ومستقلة، إنها فرحة عظيمة للكوريين.

تحلّق الكوريون الفرحون حول الأبنية الحكومية التي كان اليابانيون يعملون ويعيشون فيها والتي ستملأ قريباً بالمواطنين الكوريين. وقد راود بعض الكوريين في هذه اللحظات التعدي على المسؤولين اليابانيين غير أن وجود الجيش الياباني حال دون ذلك. بالإضافة إلى أنه كان من المعروف أن الجنرال هودج سيتعامل مع هذه الأمور بحكمة وكرامة.

عدد من القضايا المدنية المعقدة كانت تنتظر الجنرال هودج لإيجاد الحلول المناسبة لها فوراً وهو المعروف عنه بأنه قائد قدير وحيوي ومقاتل ذو كفاءة عالية. ومن هذه القضايا: المبادرة في وضع نظام لتوريد الطعام وتشكيل حكومة محلية وتشجيع تشكيل تنظيمات سياسية وطنية ووضع قوانين وأنظمة للصيد وإعادة بناء مشروعات الطاقة والمجاري الصحية ومياه الشرب وإعادة تأسيس أنظمة التعليم وافتتاح المدارس والبدء في تطبيق أنظمة الرعاية الصحية بما فيها ترحيل اليابانيين خارج كوريا وغيرها من الأعمال الضرورية للملايين من السكان.

جميعها أمور مستعجلة وتتطلب التنفيذ الفوري

وكان موسم الشتاء البارد قد بدأ وكوريا كانت غير مهيئة للشتاء البارد و للمستقبل السياسي وكانت تعاني من شلل مؤقت وفوضى إدارية واقتصادية شديدة .

بدأ عدد من قادة كوريا الجنوبية والمجموعات السياسية المحلية يراوغون ويتسابقون إلى مسك زمام السلطة . ولا يعلم أحد مايمكن أن يفعله في المستقبل . بينما في كوريا الشمالية كان الروس منهمكين في مساعدة الآلاف من الكوريين الشيوعيين والمدرَّبين جيداً في العمل على خلق الفوضى وعرقلة جهود الأمريكيين وإفشال برامجهم في جنوب البلاد .

لقد كان من الضروري تأسيس هيكل الحكومة بسرعة . غير أن أجهزة الجنرال هودتج لم يكن لديها الخبرة لاستلام مراكز السلطة . فأفرادها لايتقنون اللغة الكورية ولا يعرفون الحاجات الأساسية وأوضاع البنية الوطنية لأنه لم تكن خطة الحكومة الأمريكية إحتلال كوريا .

فلم يكن أمام الجنرال هودتج سوى عدد من اليابانيين الذين كانوا يمارسون السلطة في البلاد . وكان استخدامهم الحل الوحيد أمامه من أجل تسيير الأمور الروتينية . غير أنه بالرغم من عدم توفر عناصر كورية قادرة وموثوقة في تلك الحقبة من تاريخ كوريا فإن

استخدام المواطنين اليابانيين الذين كانوا يعملون أثناء الاحتلال الياباني لكوريا جاء أمراً مستنكراً ومكروهاً من قبل الكوريين. وعندما سمعوا بأمر الجنرال هودج في الاستمرار في استخدام الموظفين اليابانيين والذين كانوا تحت إدارتهم طار صواب الجماهير الشعبية وأعلنوا أن الأمريكان خذلوهم وخانوهم.

لقد بدأ التوتر والقلق وعدم التفاهم بين الأمريكان وبين القادة الكوريين المحليين منذ البداية. وابتعد الجنرال هودج عن النخبة من الكوريين الذين حاولوا الوصول إلى السلطة وذلك بتعليمات من الجنرال ماك آرثي.

وبعد خمسة أسابيع من احتلال الجيش الأمريكي لكوريا وصل الدكتور سيكمان رهي إلى سيؤول قادماً من أمريكا التي عاش فيها قرابة نصف قرن، وفي شعور عاطفي تنشق هواء اكتوبر المصقع وكان عمره ٧٠ عاماً. كما كان يعد من هناك ويخطط وطنياً ويحلم في اليوم الذي تتحرر فيه كوريا ويصبح رئيساً لها. الآن سنحت الفرصة له تحقيق حلمه. فقد هتفت الجماهير الحاشدة له من خارج الفندق الذي نزل به (بعد أن أعلن عن وصوله رسمياً من قبل الجيش الأمريكي) وقد منحه هذا الاستقبال الحافل الثقة بالنفس فما اعتقده وحلم به منذ

زمن بعيد كان صحيحاً، فهو الرجل الوحيد الذي يستطيع قيادة كوريا في هذه المرحلة المجيدة والصعبة.

لم يضيع رهي أي وقت فقد باشر العمل فوراً وكانت مهمته الأولى أن يحصل على دعم ومساندة أمريكا فبدأ بالاتصال مع القادة الأمريكيين وكان يتقن اللغة الإنكليزية بطلاقة إذ حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة برنستون، وكان يدعي بأنه كان زميلاً وصديقاً للمستر وودرو ويلسن.

بالطبع كان الإداريون الأمريكيون المعنيون في كوريا مسرورين بالاجتماع بشخص كوري متطبّع بطباع الغرب في هذه البلاد الغريبة. فاستمعوا إليه. وقد دعّم مركزه بالتلميح أمام الأمريكيين بأن القادة الكوريين الآخرين يميلون نحو الشيوعية. وأصبح ذلك التخويف من الشيوعيين التقنية الناجحة التي استعملها للوصول إلى السلطة وللتمسك بها خلال حياته كلها. لقد منحه الجيش الأمريكي في تلك الأثناء ميزات عديدة لم تقدم لغيره من القادة المحليين. فكان يسمح له بإذاعة خطاباته في محطة إذاعة الجيش وكان له حق استعمال الليموزين الأمريكية، كما كان يحرس من قبل الجنود الأمريكيين بصورة مستمرة ليلاً ونهاراً. إذ لم يكن بمقدوره لوحده بدون مساعدة الولايات المتحدة

وجيشها المتواجد في كوريا أن يصل إلى السلطة .

وفي عام ١٩٤٨ أصبح الدكتور سيكمان رهي أول رئيس لجمهورية كوريا الجنوبية وشكل أول حكومة من أصدقائه المخلصين . وقد ذكر المسؤول المؤقت للأمم المتحدة في كوريا أنه كانت هناك انتقادات واسعة للتشكيل الوزاري وأن الرئيس " رهي " لم ينجح في اختيار أحسن الخبرات والكفاءات المتوفرة في البلاد " ، لكنه لم يعر ذلك أي اهتمام لقد ادعى بأنه وحده الذي يعرف ماهو الأفضل بالنسبة لكوريا .

خلال أول سنتين من حكمه أخذ يعامل الأمريكيين الذين صنعوه وكانوا الداعمين والمحسنين إليه معاملة فوقية . ولم يعمل فقط على جلاء القوى العسكرية الأمريكية عن كوريا بل سبّب إحراجاً كبيراً إلى القائد الأمريكي الجنرال هودج باتهامه علانية بأنه شجَّع على تأسيس حزب شيوعي وكذلك بترديد إشاعات أخرى ملفّقة مثل قوله بأن وزارة الخارجية الأمريكية ستعمل على إحداث انتخابات منفصلة في جنوب كوريا وبذلك تكون قد تخلت عن فكرة الوحدة بين الشمال والجنوب . بينما لم يحصل ذلك ولم تصرح وزارة الخارجية الأمريكية بشيء من هذا على الاطلاق .

ويظهر أن الرئيس " رهي " بالرغم من رغبته في

الحصول على المساعدات والدعم الأمريكي اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً فإنه كان يستغل أمريكا ككبش فداء لتحقيق أغراضه الشخصية ومصالحه. ولم يحتج أي مسؤول أمريكي على ذلك. فقد قبل المسؤولون جعجعته وأقواله غير المنطقية بكل خضوع واستسلام. وهكذا أصبحت تصرفاته في التمسك والحرص الشديد على السلطة تتسم بالدكتاتورية والاستبداد. ولم تمض على ولايته أكثر من سنة حتى أخذ اهتمامه في تفاصيل الحكم في البلاد يضعف شيئاً فشيئاً.

أكد ريتشارد سي آلن في كتابه عن كوريا في عهد سيكمان رهي أنَّ غالبية أعضاء المجلس الوطني يعملون لصالح أصحاب الأراضي والمصانع والمقالع الخاصة ولا يوجد ممثل واحد يعمل لصالح كوريا بشكل عام. وفي جميع أجهزة الدولة يمارس الموظفون الممارسات القديمة في زيادة رواتبهم الضئيلة بقبول الرشاوى وعمليات ابتزاز المواطنين. وكل من يعترض أو يمانع كان يعاقب من قبل حكومة "رهي". وقد قام أحد المواطنين الكوريين، بالاعتراض على تلك الممارسات ويدعى "كيم كي" فرفع صوته مجاهراً ومندداً بتلك الأفعال عندئذ تم اغتياله وأنكر

"رهي" وجماعته أية علاقة لهم في عملية

الاغتيال. غير أن القاتل وهو ضابط صغير في الجيش ويدعى "كورهي" حكم عليه فقط بالسجن لمدة ثلاث سنوات. واعتبر المراقبون هذا الحكم أمراً غريباً بالمقارنة مع أقل محكومية سياسية التي كان حكمها أقسى بكثير وأحياناً يصل إلى درجة الإعدام.

مع مرور الزمن وقساوة الحرب الكورية ابتدع الرئيس "رهي" طريقة جهنمية لكل من يعارضه في الرأي وهي اتهامه بالشيوعية أو وصمه بالخيانة. وقد كان يشرف بنفسه على معاملة معارضيه وفقاً لذلك. كما كانت هناك اعتقالات وازعاجات بالجملة وأحياناً إعدامات. أمّا الذين يوافقونه الرأي فتجده متسامحاً معهم، لايدقق فيما يفعله أو يمارسه المقربون إليه والمحسوبين عليه.

كانت هناك قضية جيش الدفاع الوطني إذ عندما اجتاز الشيوعيين خط العرض ٣٨، اعتبر ذلك اجتياحاً لكوريا الجنوبية فأرسل الجيش الوطني إلى المعركة فقاتل بشجاعة ولكنه هزم شر هزيمة. لقد روى الناجون الذين هربوا وتوجهوا نحو الجنوب قصصاً مروعة عن تلك المعارك. فقد دخل الجيش الوطني المعركة بمعدات غير كافية ولم يزوّد بالطعام. وأظهرت نتائج التحقيقات فضائح قذرة إذ أن قائد هذا الجيش الوطني كان يختلس

الأموال المخصصة لتوريد المعدات والخدمات للجيش. وكبير المختلسين كان وزير الدفاع وهو من أقارب الرئيس "رهي". وبالرغم من افتضاح أمر الاختلاسات والسرقات والطغيان فإن سمعة الرئيس سيكمان رهي كانت تزداد وتكبر في الولايات المتحدة الأمريكية. وكان ينظر إليه على أنه المقاتل العنيد ضد الشيوعية وأي قول غير ذلك كان باطلاً. وكان يلقب في أمريكا بالرجل الكبير القديم المقاتل الشجاع نصير الحرية والدعامة القوية لأمريكا في الشرق.

وفي ربيع عام ١٩٥٢ أصبحت غالبية أعضاء المجلس الوطني الكوري من المعارضين لسياساته. وحسب نصوص الدستور فإن من مهام المجلس الوطني انتخاب الرئيس. وبما أن سيكمان رهي يرغب بالبقاء في السلطة فقد اقترح تعديلاً للدستور ليصبح انتخاب الرئيس مباشرة من قبل الشعب. والأسباب الموجبة لهذا الاقتراح كانت واضحة ومكشوفة. فالرئيس كان واثقاً من أن المنظمات والإدارات التي يحكمها يمكنها بسهولة ضبط عملية التصويت الشعبي. غير أنه كان غير قادر على ضبط المعارضين من أعضاء المجلس الوطني.

وعندما رفض أعضاء المجلس الوطني الاقتراح

بتعديل الدستور اتهمهم الرئيس بأنهم أصبحوا لعبة في أيدي الشيوعيين. لهذا قرر مضايقتهم. فاعتقل عدداً منهم (والمجلس الوطني يعادل الكونكرس في أمريكا) فيما هاجمت جماعة الأمن بيوت بعضهم ونهبتها وأحرقتها. استمر "رهي" في هذه الإجراءات حتى أنهك أعضاء المجلس وأجبرهم على الموافقة على تعديل الدستور. فجرت انتخابات في عام ١٩٥٢. وقد رشح ضده رجل وطني يدعى "تشوبونغ آم" ولكنه وجد مقتولاً قبيل عملية التصويت. فوجه الحزب الحاكم التهم والنقد اللاذع إلى الرئيس. كما أن البوليس قام بتحدي الرئيس وأزعجه بالأسئلة. ولهذا لم يستطع "رهي" أن يقوم بالدعاية الانتخابية. وقضى أسبوعين كاملين قبل التصويت مختبئاً. ورغم ذلك قام رجاله بعمليات إرهاب الناس وإجبارهم بالقوة والضغط على التصويت لصالح الرئيس في صناديق وكبائن مفتوحة مما أسفر عن فبركة نجاحه.

لم يكن هناك نهاية لعنجهية وجبروت "رهي" ففي ربيع ١٩٥٣ حاولت الولايات المتحدة الأمريكية أن تنهي الحرب الكورية. لكنه عارض ذلك بقوة لأنه لم يكن يرغب في ذلك. لقد كان يريد أن يزحف نحو الشمال ويقضي على الحكومة الشيوعية وأن يسيطر

على كل كوريا كي يحقق حلمه الماضي بأن يصبح رئيساً عليها. لهذا جرّب جميع الوسائل الممكنة لإيقاف عملية المفاوضات. كما أن الأمم المتحدة لم توافق أيضاً لأنها اعتقدت بأن مهمتها قد أنجزت بانسحاب المعتدين الشيوعيين إلى خارج حدود كوريا الجنوبية. ولم تفكر الأمم المتحدة أبداً بأن من مهماتها أن تعمل كوسيلة لتأمين سيطرة الرئيس "رهي".

إنَّ سير المفاوضات الطبيعي أثار غضب الرئيس "رهي" وامتعاضه. وعندما ظهر له بأن الاتفاق أوشك على أن يحصل ولم يبق سوى حل مشكلة تبادل السجناء والأسرى. سحب البساط من تحت أقدام الأمم المتحدة. ففي ١٨ حزيران قام بإطلاق سراح السجناء والأسرى الشيوعيين من سجون كوريا الجنوبية بدون التنسيق والتشاور مع الأمم المتحدة. وكان عدد هؤلاء السجناء ٢٦ ألف شخص وتركهم يتجولون بحرية في كافة أنحاء كوريا الجنوبية. حيث كان من المفروض أن يصار إلى دراسة أمرهم من قبل لجنة حيادية كي ترى فيما إذا كان من الضروري إعادتهم إلى كوريا الشمالية. بعد هذا الإجراء قام الشيوعيون في بامنجوم فوراً بوقف المفاوضات واستمرت الحرب التي قتل فيها الآلاف من الجنود الأمريكيين بدون طائل.

وأخيراً فقد تم التوقيع على إنهاء الحرب بالرغم من معارضة الرئيس "رهي" لها . وبدأ بعد ذلك برنامج إعادة بناء كوريا وقد وظفت ملايين من الدولارات (بلغت في النهاية ٥ر٢ مليار دولار) من أجل إنشاء مصانع ومعامل وورشات رجال الأعمال كان أغلبها يدار من قبل أصدقاء الرئيس "رهي" الحميمين والذين أغلبهم أصبحوا أغنياء جداً وأصحاب ثروات طائلة .

إنَّ الفساد انتشر في كل أرجاء كوريا وبين المواطنين الأمريكيين المتواجدين فيها . والمثل الأكثر وضوحاً كان السوق السوداء . فأضحى هذا الواقع يشكل خزياً وعاراً لكل من كوريا الجنوبية والولايات المتحدة الأمريكية . آلاف من الأمريكيين المتمركزين في كوريا كانوا على علم بذلك ولم يحاول أحد منهم أن يبذل أي مجهود في سبيل الاصلاح . ولهذا فلم يسلم أي مستودع أو أي موقع أمريكي من السرقة والاختلاس . فكانت سرقة وبيع مواد من ممتلكات الحكومة الأمريكية عملاً روتينياً يومياً مثل تناول فطور الصباح .

لقد سمعت بأن حارساً كورياً قال وهو يفرغ آلات وأدوات امريكية أرجو أن لايجلب الأمريكان قطعاً أكثر من هذا النوع إلى كوريا لأن السوق السوداء أصبحت ممتلئة بها . بعد عدة سنوات حصل الجيش

الأمريكي المتمركز في سيؤول على شحنة من سيارات الجيب الجديدة، وقد وضعت في ساحة تابعة للجيش الأمريكي وحرست جيداً من قبل جنود أمريكيين مسلحين. وبعد عدة أشهر قام البوليس الحربي الأمريكي بتدقيق روتيني على السيارات في شوارع سيؤول فوجد حوالي ٢٠ سيارة من سيارات الجيب الجديدة تم تسريبها إلى السوق. لقد تحولت هذه السيارات العسكرية إلى سيارات مدنية يقودها سائقون كوريون. والاستنتاج المنطقي أن هذه السيارات قد سرقت فقام البوليس الحربي بمصادرتها. في اليوم التالي أرسلت وزارة الخارجية الكورية ممثلين عنها لمقابلة السفير الأمريكي والاحتجاج على مصادرتها لأنَّ أغلب هذه السيارات تعود ملكيتها لمسؤولين كوريين بينهم بعض الوزراء في حكومة سيكمان رهي. وطالب المحتجون بالسيارات المحتجزة بغض النظر عن مصدرها.

بالرغم من احتجاج قادة الجيش رضخ السفير الأمريكي أمام موظفي وزارة الخارجية الكورية ومن أجل المصلحة السياسية أمر الجيش بإعادة السيارات المصادرة إلى أصحابها الذين كانوا قد سرقوها. فاليسفارة لم تكن ترغب في اغضاب " الرجل الكبير

القديم " سيكمان رهي . قال لي أحد ضباط الجيش الأمريكي : " إنَّ أي كوري لا يسرقنا يكون مجنوناً . " حتى عام ١٩٥٥ كان " سيكمان رهي " يندد في خطبه وتهديداته بالشيوعية . وبقي المسؤولون الأمريكيون يدعمونه على هذا الخط فحصل على كل ماكان يريد ؛ السوق السوداء ، النهب ، المخادعة ، واستعمال الحيل السياسية والنساء . لقد تقبّل المسؤولون الأمريكيون ذلك بصورة إيجابية . وفي شهر آب من عام ١٩٥٥ أصدر قانوناً بزيادة الضرائب على رجال الأعمال الأجانب العاملين في كوريا . وكان قانوناً قاسياً فنتج عن ذلك الكثير من الاحتجاج والصخب وحاولت السفارة الأمريكية أن تلعب دور الوسيط فغضب الرئيس " رهي " ثم مالبث أن أذعن لطلب السفير وألغى مفعول القانون . ولكنه نجح في إقناع الحكومة الأمريكية في استدعاء السفير إلى الوطن واستبداله بسفير آخر .

بالرغم من أن الصحافة الحرة كتبت عن هذا القانون غير أنه في الواقع لم ينتقده أي شخص . وعندما قامت جريدة " تياكوميل " بالهجوم على إدارة الرئيس " رهي " قام أفراد من طرفه بتحطيم بناء الجريدة بالكامل . فكلما عظمت قوة الرئيس " رهي " واشتدّ

نفوذه تكبر عنده عقدة التفوق والعظمة . فخلال انتخابات عام ١٩٥٦ وعندما بدأ عدّ الأصوات انقطع التيار الكهربائي في محطات فرز الأصوات واختفت صناديق الاقتراع بصورة غريبة . لقد انخفضت شعبية رهيكثيراً بين الجماهير لدرجة شعر بضرورة استخدام عمليات التزوير حتى ولو كان خصمه رجلاً ميتاً - لأن منافسه مات قبل بدء عملية الانتخاب - وبالرغم من ذلك فقد حصل الرجل الميت على عدد لابأس به من الأصوات . وبالرغم من جهود الرئيس "رهي" فإن غضب الرأي العام وسخطه كان قوياً لدرجة أن المرشح لمنصب نائب الرئيس السيد سونغ والذي كان من معارضي "رهي" قد فاز بأكثرية ساحقة . ولكن فوزه في الانتخابات لم ينفع كثيراً لأن الرئيس "رهي" وجماعته قد رتبوا الأمور تماماً وعملوا على إفشال ذلك . ففي سبتمبر أي بعد معرفة نتائج الانتخابات أصيب سونغ بطلقات نارية من قبل أحد رجال "رهي" وضع على أثرها في منزله تحت حراسة مشددة بحجة حمايته . وبما أن الحراس كانوا من رجال الإدارة الحكومية طرح البعض التساؤل التالي : هل كانوا هناك لمنع دخول أي إنسان أم لمنع خروجه من منزله ؟

وخلال السنوات الأربع التالية أصبح الشعب قلقاً

ومتململاً أكثر فأكثر . وشعر الرئيس رهي بعدم الرضى العام عنه . فقام بعد عدة أشهر من انتخابات عام ١٩٦٠ باتخاذ إجراءات خاصة للحد من ذلك الشعور العام الساخط فقدم إلى المجلس الوطني مجموعة جديدة من القوانين تحت عنوان " إجراءات ضد الشيوعية " . وكان أغلبها عقوبته الإعدام . وبما أن كل من يعارض الرئيس يعتبر شيوعياً فكان من الواضح أن يعد الرئيس نفسه للانتخابات القادمة . في تلك الأثناء قامت مؤسسة الحريات الأمريكية بمنح " سيكمان رهي " ميدالية الحرية التي منحت سابقاً لتشينك كاي شيك .

وعندما رفض المعارضون في المجلس هذه القوانين حملوا شخصياً إلى خارج القاعة ومنعوا من حضور الجلسة . وفي غيابهم تمت المصادقة على تلك القوانين .

إن أي مراقب عندما يطرح أسئلة عن كوريا يعرف أنه خلال عشر سنوات كان محبو الحرية من الكوريين يعانون من الأساليب الهتلرية القمعية التي يستخدمها ضدهم نظام الرئيس " رهي " . حتى في عام ١٩٥٢ كانت عملية إعادة انتخابه قد تمت بطرق غير أخلاقية . وكذلك في عام ١٩٥٨ أصبحت كوريا الجنوبية تحت حكم بوليسي جائر لدرجة أنه لم ينج أي فرد معارض

من الاعتقال السياسي والأذى الجسدي .

لقد زرت كوريا زيارة قصيرة في ذلك الوقت . وجميع الذين تحدثت معهم من أساتذة جامعيين وطلاب ومحرري صحف وأصحاب صحف أجمعوا على أن حزب الرئيس " رهى " يجب أن يخرج من الحكم وأن الشعب لم يعد يستطيع الصبر على هذا الجور والظلم والاستبداد والفساد . وأن الرئيس سيكمان " رهى " ليس إلا طاغية وكلما زادت المساعدات الأمريكية والدعم الأمريكي يزيد في طغيانه واستبداده . وفي انتخابات عام ١٩٦٠ كانت المجموعة نفسها من المحتالين الفاسدين السابقين من رجال " رهى " . ومن كان يعمل ضد إعادة انتخابه يضرب ضرباً مبرحاً . وقد وضع العاملون في الحملة الانتخابية المعارضة في السجن . وأصدرت الحكومة تهديداً للشعب بأن ممارستهم لحق التصويت ستكون تحت رقابة لجان ومنظمات شعبية مناهضة للشيوعية .

ففي يوم الانتخاب عام ١٩٦٠ عمّ العنف ولكن لم يشكل مشكلة في إعادة انتخاب الرئيس " رهي " . لقد مات المرشح المنافس أيضاً قبل إجراء عملية التصويت . وكانت المرة الثانية التي يتبارى فيها سيكمان رهي ضد رجل ميت . ولكن عندما خسر جون شانغ نائب

الرئيس الذي تحترمه الجماهير أمام الرئيس " رهي " المكروه شعبياً انفجرت الجماهير الكورية غضباً وكانت على يقين بأن عملية غش وتزوير قد حدثت أثناء فرز الأصوات. وقد تبين فيما بعد أن ذلك كان صحيحاً. لقد زج في الصناديق بطاقات مزورة بلغت نسبتها أكثر من ٤٠٪ من بطاقات التصويت.

لقد بلغ السيل الزبا وبدأت تظاهرات الشباب. وعندما وجدت جثة أحد الطلاب المشوّهة من قبل الشرطة مرمية في الخليج الصغير عمت النقمة في كل مكان واندلعت المظاهرات في جميع أنحاء كوريا الجنوبية. فألحق الرئيس "رهي" تهمة الفوضى والتظاهرات بالشيوعيين الذين قال عنهم بأنهم دبروا مكيدة الإضرابات والفوضى في البلاد. لقد حركت تظاهرات الطلاب الإحساس المكبوت بالشقاء والظلم وعقدت اجتماعات الاحتجاج وهوجمت مراكز الشرطة كما أحرقت مكاتب الحكومة في أغلب المقاطعات والمناطق الكورية. وقد استخدمت الشرطة القنابل المسيلة للدموع وفي بعض الحالات الذخيرة الحية التي أطلقت على الجماهير بشكل عشوائي. إنَّ غضب الشعب بكامله كان في النهاية ظاهراً وقائماً بالفعل.

في تلك الآونة طرد الشعب الكوري سيكمان رهي وعصابته خارج السلطة وبعد أن استطاع الشعب الكوري الأعزل الإطاحة بالطاغية ألقت أمريكا اللوم في النهاية على الرئيس رهي. وقد جاء اجراء أمريكا متأخراً عشر سنوات على الأقل. لقد وضعت أمريكا سيكمان رهي في السلطة ومنحته كل مايحتاج إليه من الدعم ليبقى فيها. وكان الكوريون خلال ثلاثة عشر عاماً يرزحون تحت وطأة الاضطهاد والظلم. لقد حرر الشباب الأعزل الشعب وقاموا بعملية التطهير، وبالرغم من أنه قُتل عدد لابأس به منهم في العملية وجرح الكثيرون إلا أنهم نجحوا في النهاية. هذه الحمية الوطنية استحقت كل احترام وتقدير. أما هذه السذاجة والجبن المستديم في طمس الأخبار عن كوريا وحجبها عن الشعب الأمريكي من قبل وزارة لاخارجية فلم نستوعب أسبابه بعد. لقد قدمت الأعذار من قبل بعض الدبلوماسيين الأمريكيين بحجة عدم رغبة أمريكا في التدخل في شؤون كوريا الداخلية. ويعتبر ذلك هراء يراد به إرضاء الجماهير ويعوزه الكثير من المصداقية.

لقد دعمت أمريكا سيكمان رهي بدماء الجنود وبالذهب والمال الذي خرج من خزائننا ولهذا لنا كل الحق في التدخل. ولأن سيكمان رهي يعد أكبر عدو

للشيوعية (وهو أحد القلائل من الرؤساء المتعاونين مع أمريكا) خضعنا لطلباته وابتزازاته ولبّيناها بالكامل. أما حججه المغلوطة الكاذبة وطباعه العنيفة جعلت مسؤولينا يعتقدون أنه الرجل العظيم الذي يجب أن نسانده.

إن التصريحات الرسمية للولايات المتحدة وكَيل المدائح لسيكمان رهي من قبل محرري الصحف الأمريكية قد شوّه الحقيقة وقلب الصورة رأساً على عقب لهذا الرجل الكبير.

لقد بيَّن التاريخ بأن سيكمان رهي كان سياسياً عملياً وعندما كان يضغط عليه بقوة كان يلين. لقد كنا الداعمين الوحيدين له. فلماذا - وعلى افتراض أننا نحتاج إليه - لم نمارس عليه ضغوطاً كافية تجبره على تنظيم بيته باتباع الأسلوب الديمقراطي الذي كان يقترحه هو بالذات؟ لقد فشلت أمريكا في ذلك فشلاً ذريعاً.

إنّ كل ماكنا نحتاج إليه هو الحقيقة والشجاعة والحس العام السليم والمنطق ولم يكن لدينا أي منها. لم نكن نعرف ماكان يحدث هناك كما لم نكن نعرف تماماً ماكان يجري في أماكن أخرى فشلنا فيها مثل لاووس والصين وتركيا وكوبا والتشيلي وبوليفيا وأندونيسيا وفيتنام وإيران والعراق.

خامساً - الأذى المرتد على أمريكا من برنامج الطلاب الأجانب

إذا كان كبار السن يمكن أن يكونوا دبلوماسيين محنكين فإن الشباب يمكن أن يغيروا العالم. فالطلاب هم الذين أنقذوا كوريا من الطاغية سيكمان رهي. وفي كوبا الفاسدة والمنهوبة شكّل الشباب نواة الثورة التي أطاحت بالدكتاتور باتستا. ورجال سفارتنا لم يكونوا على علم بوجودهم. وعندما قوبل الرئيس نيكسون بالحجارة والبصاق في أمريكا الجنوبية كان ذلك من أيدي ومن أفواه شباب الجامعات الغاضبين.

وقد حارب الطلاب في اليابان من أجل ماعتقدوه بأنه الديمقراطية وتظاهروا وثاروا مما حال دون زيارة الرئيس ايزنهاور إلى طوكيو. كما أزاح المراهقون رئيس وزراء تركيا الفاسد والمدعوم مادياً وسياسياً من قبل أمريكا. وكان التمرد الناجح في أندونيسيا بقيادة الشباب الذين لم يمض وقت طويل على تخرجهم من الجامعات.

في الحقيقة إن من أهم أسباب جميع النكسات السياسية الحديثة لأمريكا تقريباً في كل أنحاء العالم كان

غضب الطلاب وحماستهم. وهذا يعطينا نتيجة حتمية بأن قادة الولايات المتحدة الأمريكية يهتمون كثيراً في الوضع الراهن بكبار السن من رؤوساء الدول الأجنبية ولا يبالون بالأجيال الشابة وليس لديهم المعلومات الصحيحة عما تقوم به أو تحلم به. وهنا أيضاً يظهر واضحًا أنَّ نقص المعرفة وليس نقص المال أو الإرادة يسبب لنا الإحباط والهزيمة.

الشيوعيون هم أكثر واقعية منا. لقد درسوا تطلعات وإمكانيات الحركات الشعبية ومنظمات الشبيبة واستغلوا ذلك إلى أقصى حد ممكن. ففي كولومبيا ولاووس وفيتنام وبورما وتايلند وأندونيسيا كان الشيوعيون المتعصبون ينشطون لسنوات عديدة في هذه البلدان ويزورون القرى الصغيرة ويتحدثون مع الشعب. ومع مرور الأيام كوّنوا صداقات مع رؤساء المجالس المحلية. ومن خلالهم تمكنوا من تحديد أنشط الشباب وألمعهم في المنطقة. وقد كان هؤلاء الشبان الريفيون أميين. فقام الشيوعيون بمنحهم بعثات للدراسة في الصين وروسيا. ففي تايلند تحدثت مع تلميذين من هؤلاء الشباب، درسا في إحدى كليات مقاطعة يونان وقد ذكرا لي أنه في البداية كان يسمح بتسجيل مرشح واحد للدراسة من كل منطقة ثم توسع

ذلك وصار بالإمكان تسجيل مرشح من كل ناحية صغيرة ومن كل قرية. وكان الهدف أن يكون لكل مجموعة سكنية تتألف من خمسين عائلة على الأقل فرد واحد يدرس في الكليات الشعبية الشيوعية. والطلاب من بلد واحد يسكنون سوية. وتلقى عليهم تعليمات ومحاضرات بلغتهم الأصلية ويمارسون طقوسهم الدينية وعاداتهم حسب رغبتهم. كما كان رجال الدين في كل مجموعة من جنسية تلك المجموعة. ومدة الدراسة في الكليات الشعبية / ١٨/ شهراً يستطيع فيها الطالب أن يدرس الموضوعات التي تهمه أكثر من غيرها. ويتخلل الدراسة محاضرات ومناقشات قصيرة في الأمور السياسية. وبعد انتهاء مدة الدراسة تتكون من هؤلاء الشباب وحدات الدعاة للشيوعية.

لقد أخبرني التلميذان أيضاً أن ٣٨٠٠٠ شاباً وشابة تابعوا الدراسة في هذه الكليات الشعبية في مقاطعة يونان. وكان تكتيك الشيوعيين أن يختاروا أبناء وأقرباء وجهاء القرى ليسجلوهم في هذه الكليات. والهدف من وراء ذلك أن يصبح هؤلاء الشباب في المستقبل أعضاء في الحزب الشيوعي ومن الدعاة النشيطين للشيوعية داخل مجتمعاتهم. من المهم أن نلاحظ أن

الصينيين والروس لم يقوموا مباشرة بحملات الدعاية للأفكار الشيوعية فقد قام بذلك أبناء البلاد المحليين . وكانت مهمة الروس والصينيين العمل على تدريب طاقم صغير العدد مؤلف من الشباب بقدر الإمكان . كان أسلوب العمل لتحقيق ذلك من خلال الاتصالات المباشرة بوجهاء ورؤساء القرى وأولادهم وأقاربهم ناجحاً جداً ومثمراً جداً .

ففي أيار (مايو) من عام ١٩٦٠ فاز الشيوعيون في انتخابات منطقة جاوا في أندونيسيا بأكثر من سبعة ملايين ونصف صوت .

وحسب مانشرته "نيويورك تايمز" روى شاب أندونيسي يدعى بونغ كاسمين ويعمل خادماً في فندق صغير في منطقة جزيرة جاوا بأنه سأل شيخ القرية لمن يعطي صوته فقال له الشيخ أعطي صوتك إلى الشيوعيين . على الرغم من أن بونغ كاسمين لايعرف من هو خروتشوف ولا يعرف أحداً من المرشحين الشيوعيين فقد صوّت لهم لأن شيخ القرية بالنسبة له يعدّ الرئيس السياسي لكل آسيا .

لقد كان الطلاب الذين تخرجوا من الكليات الشعبية الشيوعية من أبناء وبنات وأقارب شيخ القرية ووجهائها . وسيصبح منهم في المستقبل القائد والشيخ

وربما الوزراء والرؤساء .

إن برنامج الشيوعيين للطلبة الأجانب يختلف تماماً عن برنامج الطلبة الأجانب في أمريكا . وإذا لم يكن في مقدور الأمريكيين الوصول إلى الشبيبة في الأراضي الأجنبية كما عمل الشيوعيون - على كل حال لم تحاول أمريكا ذلك ولم تفكر به قط - فإن العدد البسيط من الطلاب الذين أتوا إلى الولايات المتحدة للدراسة يتألفون عادة من أولاد وأقارب النخبة وينحدرون من عائلات تسكن المدن والتي تكون عادة من العائلات الثرية وأحياناً المترفة ولها دور في الحكومة والجيش . وهؤلاء لايمثلون إلا نسبة بسيطة من السكان . ثم إن شرط إتقان اللغة الإنكليزية هو أساسي جداً والذي بموجبه يتم اختيار الطلاب وقبولهم في الجامعات الأمريكية .

منذ عدة سنوات دعاني رئيس الفيلبين " ماكسيسى " إلى تناول فطور الصباح معه . أثناء الطعام قدّم له أحد مساعديه لائحة بأسماء طلاب فيلبينيين رشحوا لبعثات دراسية على نفقة الولايات المتحدة الأمريكية وقد تضمنت القائمة ٤٠٠ مرشح . أخذ الرئيس يقلب الصفحات واحدة بعد الأخرى ويحذف منها أسماء عديدة حتى حذف نصفها تقريباً .

وقال لي وهو يضحك : " إن هؤلاء الطلاب أغبياء وكذابون فهم جميعاً من أقارب المسؤولين والوزراء ولديهم المال الكافي للذهاب على نفقتهم الخاصة للدراسة إذا شاؤوا وعلى كل حال إن الكثير منهم لايستطيع أن يجتاز أبسط امتحان للقبول . إنهم دائماً يريدون كل شيء لأنفسهم ويسببون لي التعب والمشاكل . وأضاف متسائلاً لماذا لايرشحون طلاباً من أولاد القرى الذين يشكلون العمود الفقري للبلاد؟

إننا في الولايات المتحدة غالباً مانفشل في انتقاء الطلاب المناسبين للبعثات وفوق كل ذلك نملك موهبة غريبة في إهانة من نستضيفهم . ومن المخيف حقاً أننا نجعل العدد الكبير من الطلاب الأجانب الذين يدرسون في جامعاتنا في حالة من الحيرة كما نشعرهم بالعداء والنفور . ونادراً مانجد من يعرفنا منهم على حقيقتنا . ومن المقلق والمحزن أيضاً والذي يدل على فشلنا في برنامج الطلاب الأجانب وجود عدد من قادة البلدان مثل اليابان والصين وألمانيا يعملون ضد الولايات المتحدة بشدة رغم أننا منحناهم بعثات دراسية للدراسة في جامعاتنا .

في أوائل الستينيات استضافت الولايات المتحدة ٣٥ لإفريقياً وآسيوياً في برنامج " المنح للقادة " .

وكانت الغاية من هذا البرنامج دعوة بعض الشباب الذين يحتمل أن يصبحوا في المستقبل أعضاء في السلطة المدنية التنفيذية في بلادهم ليشاهدوا أمريكا ويتعرفوا عليها. وكانت فكرة جيدة. وفي طريقهم إلى الولايات المتحدة توقفوا وفق برنامج الزيارة في هونولولو وزاروا جامعة هاواي. لقد تسنى لي أن أقضي بعض الوقت مع هؤلاء الشباب.

غير أن مالفت انتباهي الغضب الظاهر على ملامحهم. لقد قال لي (أحدهم) بأنها المرة الثالثة التي يكون فيها مدعواً لهذه الرحلة الترفيهية. وقد كان أيضاً من ضمن المجموعة فتاتان من الصين الوطنية تم اختيارهما بشكل غريب. فالأولى كاتبة ورحّالة محترفة من فورموزا قضت أغلب أوقاتها خارج بلادها في الولايات المتحدة. أما الثانية فهي ابنة حاكم صيني. لم يكن أحد من المجموعة يعرف شيئاً عن وطنه. من هاواي انتقلوا إلى أرض الولايات المتحدة الأم. وفي رسائلهم إلى أهلهم قالوا إنهم قضوا وقتاً طيباً في هاواي. وكانت تعليقاتهم تدور حول الاندماج العرقي والفرصة التي سنحت لهم في الاجتماع بالشعب العادي هناك. وأضافوا أيضاً بأنهم أصيبوا بخيبة أمل من رحلتهم إلى الولايات المتحدة الأم وكانوا بصورة

خاصة غير مرتاحين لزيارة العاصمة واشنطن .

قال لي أحدهم : إن المسؤولين في واشنطن كانوا يعاملوننا كمغفلين . لقد ألقوا علينا محاضرات في موضوعات قرأنا عنها في صحفنا المحلية منذ سنين وشهور خلت . لقد أخذنا انطباعاً بأنه يبدو ليس لديهم الوقت الكافي ليقضوه في استقبالنا وكأنهم أجبروا على مهمة شاقة غير مريحة . وأنَّه عليهم أن يأخذوا حذرهم في كلماتهم مخافة أن يفشوا سراً من أسرار الدولة لأناس غرباء وربما أعداء . وعند مقابلتنا للسيناتور هيرمان فونغ ، وهو سيناتور عن هاواي ومن أصل صيني . شعرنا بضيق شديد . وكنا نأمل أن نجري معه نقاشاً صريحاً عن المشكلات الأفروآسيوية . غير أننا عندما دخلنا غرفته أخذ جهاز الهاتف واتصل بمؤسسة الاستخبارات الرسمية لإرسال مصور ليأخذ لنا صوراً ونحن نصافحه . لقد اكتشفنا أنه كان حريصاً على هذه الصور ليستخدمها في حملته الانتخابية القادمة ليثبت بأن له أصدقاء من آسيا وإفريقيا . وبعد ذلك ألقى علينا محاضرة قصيرة تافهة تدل على أنه لايعرف شيئاً عن آسيا ولا عن إفريقيا . وأنهى محاضرته بتوجيه التوبيخ واللوم علينا ونصحنا بأن نتوقف عن ملاحقة الأقليات واضطهادهم ولا سيما المواطنون الذين من أصل

صيني . لقد تحدث معنا كأنه سيناتور عن الصين وليس عن هاواي " .

ومن الوقائع الأخرى أنه منذ فترة قصيرة احتاجت وزارة الدفاع الأمريكية إلى ترجمة عدد بسيط من التعابير من اللغة الكمبودية إلى الانكليزية فلم تجد لديها أي موظف أمريكي يتقن اللغة الكمبودية . فطلبت مساعدة من جامعة كاليفورنيا التي وجدت بعد التفتيش في ملفاتها عن الخبراء في الشرق الأقصى أحد عشر شخصاً يمكنهم القيام بتلك المهمة . وكلهم كانوا من الكمبوديين ، عشرة منهم كانوا في نيويورك وفي واشنطن العاصمة ، أما الحادي عشر فكان طالباً في كلية صغيرة قرب سانتياغو . وهذا الطالب الكمبودي البالغ من العمر عشرين عاماً دعي إلى سان فرانسيسكو لينفذ مشروع الترجمة . أقام في منزل الأستاذ يوجين بوردينك من جامعة كاليفورنيا (وهو زميلي الذي شاركني في تحرير كتاب الأمريكي القبيح) .

وعندما وصل الشاب الكمبودي إلى بيت الأستاذ بوردينك ، كان لأول وهلة خجولاً يتحاشى الكلام . ولكن بعد ساعتين قفز أطفال الأستاذ بوردينك إلى أحضانه وتعلقوا به فتغيرت نفسيته تماماً . فأخذ يداعبهم بسرور حتى إنه غير لهم " الحفاض " . وكان يقول

ضاحكاً مستهجناً ذلك الحفاض: إن الأسلوب الكمبودي في لباس الأطفال ليس فيه هذه المؤخرة المضحكة فيكفي أن ينزع السروال عن الطفل ويغسل وينظف ويلبس الطفل غيره مثله مثل الكبار. كما أنه دخل المطبخ وشارك في غسل الأطباق وتبرع في تحضير وجبة كمبودية للعائلة كلها. وخلال مدة وجوده كان يناقش بطلاقة مشكلات كمبوديا وعلاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية. وقد علمنا بأنه كان يسكن في غرفة صغيرة لوحده خلال السنة الماضية التي قضاها تلميذاً في مدرسة ثانوية قرب سانتياغو. وأوضح لنا أنه خلال سنة كاملة لم يدع إلى زيارة بيت أمريكي كما لم يشارك في أي نشاط اجتماعي في المدرسة. فكان يقضي يومه من الصباح بالذهاب إلى المدرسة والعودة إلى غرفته الموحشة وكأنه في سجن منفرد. وبهذا عاش بدون أصدقاء والسبب يعود إلى أنه غريب ويتكلم بلكنة أجنبية. فكان خجولاً جداً في بناء علاقة صداقة مع أي كان. وردد على مسامعنا قائلاً: " لديكم في أمريكا مدارس تعد أحسن بكثير من المدارس الفرنسية مثلاً، ولكن هناك مئات من الطلاب الكمبوديين يدرسون في فرنسا أما هنا في الولايات المتحدة الأمريكية فإنهم قلائل ويعدون على الأصابع

فالكمبودي هنا يشعر بالغربة ويعامَل معاملة الأجنبي ، بل ينظر إليه كأنه وباء ينقل عدوى الأمراض إذا اقترب من الأمريكان . بينما الطلاب الكمبوديون في فرنسا يدعون إلى منازل الفرنسيين ويعامَلون بالتساوي مع الأجانب الآخرين كبشر وضيوف محترمين . وهناك أسباب أخرى اقتصادية في قلة عدد الطلاب الكمبوديين في الولايات المتحدة الأمريكية ومنها أنه من السهل علينا تصريف عملتنا الكمبودية في فرنسا وتحويلها إلى فرنكات فرنسية بينما تعترضنا مشاكل كثيرة في حالة تصريف عملتنا هنا وتحويلها إلى دولارات .

ثم إذا كنت غنياً وكان لديك قريب في الحكومة الكمبودية يصبح أمر خروجك للدراسة في الخارج من الأمور السهلة والبسيطة أما إذا كنت من الطبقة الوسطى وليس لك أي سند فيصبح الأمر غير ممكن ومستحيل تقريباً . أما إذا كنت كمبودياً وترغب في الذهاب إلى الولايات المتحدة الأمريكية في بعثة على نفقة الحكومة الأمريكية فيجب عليك أن تتقن اللغة الإنكليزية قبل أن تصبح مؤهلاً للترشيح . ويمكنني القول بأنه لايوجد أكثر من ٥٠٠ شخص في جميع كمبوديا يتقن الإنكليزية . وأيضاً ، ومن أجل أن يقبل ترشيحك يجب

أن تكون منحدراً من عائلة غنية ومعروفة من قبل السفارة الأمريكية في "بنومبنه" . ويعني هذا أن تصرخ مع عائلتك بأعلى صوت ممكن بأنك ضد الشيوعية . ولهذا يمكن لعدد بسيط من الطلاب أن يتدبروا أمورهم للحضور إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

أعتقد أن الحكومة الأمريكية مخطئة في ذلك فآسيا تعيش الآن إرهاصات الثورة وقريباً لابدّ من الإطاحة بالحكام المستبدين ليحل محلهم رجال من عامة الشعب . لقد أدرك الشيوعيون هذه الحقيقة وإذا كان الكمبودي نبيهاً وذكياً ومناضلاً فسوف يعمل الشيوعيون رغم فقره على استقطابه وضمه إلى المدارس الشعبية في الصين أو في روسيا .

التقيت مرة في سنغافورة بطلاب من الهند وصلوا حديثاً من الولايات المتحدة الأمريكية قالوا : " لقد كنا سعداء بأن سنحت لنا الفرصة في السفر والدراسة في أمريكا . ولكن خلال كل الوقت كنا تحت تأثير ضغط نفسي وتوتر عصبي ولم نشعر أبداً أن وجودنا مقبول ومرحب به في أمريكا " .

كما ذكر لي أحدهم أنه ذهب مرة إلى مطعم في وسط فيرجينيا فرفض صاحب المطعم أن يقدم له الطعام بحجة أنه لايقبل السود الملونين في نفس الأماكن التي

يؤمها البيض . وقال ثان إن بعضنا رغب في دراسة زراعة القطن فطلب إلينا أنّ نذهب إلى جامعة زراعية في الجنوب . فذهبنا إلى هناك ولكن في البداية كانت الحياة لاتطاق . وعندما عرف الناس أننا من الهند ولسنا من إفريقيا قدموا إلينا بعض المساعدات . ولكن لم يدعنا أحد للخروج معه إلا نادراً . لقد كان لدينا الشعور في أن بعضهم كان يشعر بالعار إذا شاهده أحد السكان معنا . ولكن بعد أن انتقلنا جميعنا إلى جامعات في الولايات الشمالية كانت الظروف أحسن بكثير . لقد أعطونا انطباعاً في البداية أنه فور وصولنا إلى الولايات المتحدة الأمريكية وتسجيلنا في الجامعات تنتهي مسؤولية الحكومة الأمريكية ونصبح لوحدنا وعلى مسؤوليتنا . ثم أردف آخر قائلاً : " لقد تخيلنا أن الشعب الأمريكي شعب مضياف وفعّال ولو كنت أعرف هذا الشعب على حقيقته قبل مغادرتي ربما كنت بقيت في بلدي " .

وهكذا يظهر بسبب الجهل من ناحيتنا أنّ برنامج الطلاب الأجانب لايسير في الواقع بالشكل المطلوب والمرغوب . وفي حالات عديدة يعطي عكس النتائج المرجوة منه ويقال لنا رسمياً بأنه برنامج ناجح .

الفصل الثاني



المجــــــرمــون

سادساً — حكومة تدار بمعلومات مغلوطة

إن جهل حكومتنا الأمريكية بأحوال العالم الخارجي وافتراضنا أن الموقف ضد الشيوعية مطلوب من رئيس أي دولة كي يكون مؤهلاً للحصول على دعمنا هي أغلاط تراكمت بسرعة وخدمت أعداءنا جيداً.

إن ماحصل حديثاً في كوبا وكوريا وتركيا والعراق وشمال فيتنام لقننا درساً قاسياً. ومع ذلك فإن حكومتنا وبتأثير ضمني من الإعلام تعتبر الشيوعية المسؤولة عن الثورات في العالم. إذ بعد فترة من كل هزيمة على النطاق الدولي نستمر في اتباع السياسة نفسها في توفير الظروف التي تصبح فيها الثورة في بلد ما أمراً لامفر منه.

منذ زمن طويل عندما كان الناس وخاصة الشباب منهم يناضلون من أجل الحرية في أصقاع البلاد التي يقال عنها متخلفة (في مرحلة الثورة ضد طغيان لم يسبق له مثيل منذ القرن الثامن عشر) كانت حكومة الولايات المتحدة تؤكد لنا دائماً باطمئنان، أن دعمها لحكم الفرد المستبد في جنوب فيتنام ولاووس وأندونيسيا وفورموزا وغواتيمالا والأردن وايران ونيكاراغوا مبرر وبنّاء وناجح. ومع ذلك ففي كل بلد

من هذه البلدان التي اندلعت فيها الثورة وقفت الولايات المتحدة الأمريكية حائلاً بين الشعب وبين الإطاحة بالأنظمة الفاسدة الدكتاتورية كما حدث في كوبا والعراق وشمال فيتنام وتركيا وكوريا تحت حجة أن زلزال الثورة يأخذ طابعاً شيوعياً أو صديقاً للشيوعيين. وكأن ذلك يحصل بتحريض ودعوة منا نحن الأمريكيون بسبب السياسة الخارجية التي تنتهجها حكومتنا.

لماذا؟ وعلى من يقع اللوم؟ أجيب على هذا السؤال فأقول إنَّ اللوم يقع على هذا الجهل المنتشر في الدوائر البيروقراطية وفي الكونكرس وفي الصحافة وبين أفراد الشعب الأمريكي أيضاً. وتوجد عدة أجوبة على من يقع اللوم. أولاً- يقع على السلطة التنفيذية للحكومة الفيدرالية وثانياً -يقع على أساليب صناعة القرار. لنفترض أن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية جالس في مكتبه في البيت الأبيض يستعد لاتخاذ قرار حاسم، سوف يتساءل بينه وبين نفسه ماذا سيحدث لو كان قراره خاطئاً. ويمكن أن يفكر في حالة الرئيس السابق وهو يجابه مثل هذا الموقف تجاه أمر يتعلق بمصير الولايات المتحدة الأمريكية.

ومع تقدم التكنولوجيا وفي مقدمتها الأسلحة

النووية فإن قرار الرئيس المصيري سوف يؤثر على الولايات المتحدة الأمريكية وعلى الإنسانية جمعاء.
بعد كبسة زر واحدة من قبل الرئيس يأتي مساعده فيطلب الرئيس منه معرفة رأي الجهاز العسكري حول موضوع معين. وخلال ساعة تتحرك عجلة الإدارة التنفيذية ويجتمع رؤساء الأركان في البنتاغون لأن القضية مستعجلة، فالرئيس يطلب معلومات وتعليقات ونصائح. يخرج ويدخل عدد من الجنرالات والأدميرالات من ذوي النجمتين إلى قاعة الاجتماعات المحروسة جيداً وهم يحملون أوراقاً وملفات وكأنهم سعاة بريد لرؤسائهم من ذوي النجوم الأربعة. كما يحضرون أيضاً مذكرات ورسائل وبرقيات من كل أنحاء العالم. وأغلب هذه الوثائق والملفات ممهورة بكلمة " سري" أو " سري جداً " .

وفي مبنى وزارة الخارجية يتحرك أيضاً الموظفون المدنيون لتلبية طلبات الرئيس. وربما يتحلقون حول الطاولة لاستخلاص مقترحات يقدمونها إلى رئيسهم والتي أغلبها يكون مبنياً على معلومات وأخبار تلقوها من السفارات الأمريكية المنتشرة في أنحاء العالم. وتتراكم الملفات السرية والسرية جداً على الطاولة. كما تجتمع لجنة الأمن القومي وكذلك هيئة الاستخبارات

المركزية. إن خيرة عقول أمريكا ورجالاتها السياسيين والدبلوماسيين والاستراتيجيين يعملون من أجل التوصل إلى تصور للعالم قبل أن يتقدموا بأي مقترحات أو توصيات إلى الرئيس. ومراجعهم معلومات جمعت عن طريق أقنية الاستخبارات الأمريكية الواسعة الانتشار في كل أرجاء العالم.

وهكذا فإن القرار الذي يتخذه الرئيس (مثله مثل القرارات التي تتخذ في مستويات أدنى) سوف يستند على ملاحظات وتقديرات وتوصيات مرفوعة إليه من الممثلين الأمريكيين الذين يحتلون مراكز هامة في الخارج. فمن هم هؤلاء ياترى؟

إنهم بدون شك السفراء والجنرالات والادميرالات ورجال الاستخبارات المركزية والأمن القومي في السفارات والجيش والبحرية والقوى الجوية. ومهمتهم جميعاً معرفة مايجري في البلاد الأجنبية. غير أن اللقب الذي يحملونه يمكن أن يوحي بشيء آخر. كما يمكن أن يكون لهم مسؤوليات أخرى. ولكنهم مكلفون بالبحث والتدقيق للوصول إلى الحقائق وإرسالها عبر التسلسل بالقنوات الرسمية مرفقة بالتعليقات والمقترحات لرؤسائهم الأعلى.

لنترك الآن جانباً افتراض اتخاذ القرار من قبل

الرئيس ولنقم بتحليل واقعي لمصادر تلك المعلومات المتاحة والمرسلة من بلاد ماوراء البحار إلى الحكومة في واشنطن دي. سي. وهذه المصادر عديدة ولكن أكثرها أهمية والمستعمل منها :

١ - الموظفون المحليون الموثوقون.

٢- الصحف الأجنبية التي تصدر محلياً والمجلات والكتب ومحطات البث الإذاعي ... .

٣- المخبرون المحليون المأجورون.

٤ - الملاحظات الشخصية عن الدولة والشعب التي يقدمها ممثلوا الولايات المتحدة الأمريكية وتكون هذه الملاحظات مبنية على معرفة وثيقة بالشعب وثقافته ولغته وأنماط انفعالاته ...

٥ - الصحفيون والمراسلون من أصحاب الجنسية الأمريكية.

والسؤال هنا : هل مصادر هذه المعلومات كافية وتفي بالغرض؟. وهل يمكن الوثوق بها والاعتماد عليها لوضع سياسة أمريكا الخارجية ؟

للإجابة على ذلك نرى من المفيد أن نتفحص هذه المصادر لنتعرف على مدى مصداقيتها.

١ - المصدر الأول : الموظفون المحليون الموثوقون :

إن رجالات السفارات الأمريكية في الخارج من سفراء وجنرالات وأدميرالات يتأثرون في آرائهم وتقديراتهم بالمعلومات التي يحصلون عليها من الموظفين المحليين أكثر من أي مصدر آخر. ومن أكثر الموظفين المحليين نجاحاً جنرال صيني مشهور عند المسؤولين الأمريكيين ويعرف في فورموزا تحت اسم " أونوتش العظيم " وهذا أمر واقع وليس خيالاً مبتدعاً. وأونوتش رجل ضخم ووسيم تخرج من جامعة أمريكية يتقن اللهجة الأمريكية بشكل ممتاز ويعرف التقاليد الأمريكية جيداً. يحمل عدة ألقاب عالية سياسية وعسكرية. ومع ذلك فإن مهمته الرئيسية التأثير على الشخصيات الأمريكية الهامة في السفارة (وبالتالي تضليل الرأي العام والسياسات الأمريكية). ومعروف عنه أنه خبير في تحليل نفسيات الأشخاص الذين يتعامل معهم. فيدخل في بحث الموضوعات التي يحبون أن يتحدثوا عنها ويتعرف على نقاط الضعف في كل واحد فيهم مثل: النساء، الطعام الجيد، الكحول، الرياضة، الإطراء. ويقوم بسرعة فائقة بتقديم مايرغب به أو يحتاج إليه المسؤول الأمريكي الذي يتعامل معه. فإذا كان هذا الأمريكي أو ذاك قد أنجز شيئاً في حياته: نشر كتاباً مثلاً، أو حصل على ميدالية أو ربح في اليانصيب مبلغاً

كبيراً من المال، يقوم أونوتش العظيم في زجها من وقت إلى آخر ضمن المحادثة مع إبداء التقدير والإعجاب بها.

وقد صدف أن أدميرالاً أمريكياً كان يحب الأطفال فكلما زار هذا الأدميرال "تيباي" يهرع أونوتش العظيم لاستقباله على سلم الطائرة ويصطحب معه مجموعة من الأطفال الجذابين وهم يحملون باقات الورد ليقدمونها إلى الأدميرال.

وتكنيك آخر كان يستعمله أونوتش العظيم يتمثل في الرشاوى المتخفية بصورة هدايا بريئة، مثلاً: كان أونوتش يدعو المسؤول الأمريكي الذي يحب صيد السمك إلى الأماكن التي تكثر فيها الأسماك التي يحبها كما يقدم له أدوات صيد متطورة ليمارس بها هوايته. أو يقدم أول طبعة من أحدث كتاب مجلد بشكل أنيق إلى من يحب الكتب. أو بارودة صيد إلى من يحب الصيد البري. كما يدعو كل مهتم بالفكر إلى حضور ندوات لأبرز أكاديمي البلاد شهرة. وخلال هذه الممارسات يقع المسؤولون الأمريكيون في شباك أونوتش العظيم ويطوق عنقهم بمهارته وحنكته. ولم يهمل أونوتش العظيم زوجات هؤلاء المسؤولين إذ كان يدعوهن لتناول الشاي بشكل مخصوص مع مدام

تشينك كاي شيك. أو يقدم لهن قطعاً من القماش الحريري المحاك يدوياً أو حليةً مرصعة بأحجار الجاد أو لوحة فنية. إنَّ كل زوجة لهؤلاء المسؤولين الأمريكيين كانت تتلقى شيئاً ما من أونوتش العظيم إنه لايهمل أحداً.

وكما هو معروف جيداً فإن كل مسؤول أمريكي عمل في تايوان تلقى طقم سفرة مطلي بالفضة ومطعم بالأحجار الكريمة أو ميدالية ثمينة أو كليهما معاً. ويكون عادة في داخل العلبة قطعة من القماش المزخرف (طوماز) منقوش عليها عبارات التقدير. هذا إذا كان الأمر لمصلحة حكومة أونوتش العظيم. أما إذا كان المسؤول الأمريكي فضولياً ومن المحاربين المحبين للحرب ومشاكساً يسأل كثيراً ويقوم بعمله على أتم وجه لمصلحة بلاده ولا يحاول أن يرضي الأجانب عندئذ لايقدم أونوتش العظيم له شيئاً ولا يتعامل معه. فيقترح بشكل سري على تشينك كاي شيك أن تقوم حكومة تايوان بطلب سحبه بحجة أنه لايفهم طبيعة الصينيين والتعامل معهم. ويترجم طلب حكومة تايوان من قبل وزارة الخارجية في واشنطن دي. سي. بأن المسؤول الأمريكي قد فشل في مهمته ويكون ذلك سبباً في عدم ترفيعه في المستقبل.

إن الأمثلة المذكورة أعلاه ليست خاصة بالصين الشعبية. إن الرشوة والفساد وما شابه ذلك متفشية بين الأمريكيين العاملين في أغلب البلدان الأجنبية. وبالنتيجة فإن الأمريكي الساذج ينتهي به المطاف إلى تكوين صداقات حميمة مع الوزراء ورؤساء الدول. وكثيراً مايثق الامريكيون بهم ويعتقدون بأن المجموعة الصغيرة من الأجانب يحتلون مراكز متقابلة مع مراكزهم. ومن هذه المجموعة الصغيرة يستقون المعلومات الهامة. تلك التي تمهر بكلمة سري وسري جداً. ويشعر المسؤولون في واشنطن دي. سي أحياناً بضرورة استكمال المعلومات السرية الواردة من بلدان ماوراء البحار من خلال السفر إلى هناك ليتأكدوا ويشاهدوا بأم أعينهم الأمور عن كثب. كما يرغبون في معرفة شعور أهل البلد. ولكن ما يحدث أحياناً يشكل إساءة للعقل السليم وسلامة الحس والشعور العام. إنهم يحصلون على ماهو معروف بالأعمال "بيزنس". فكل وزير خارجية وكل مؤسسة حكومية تصر أن يكون لها الشرف في استضافة الزوار المرموقين. ويقوم السفراء والجنرالات المعينون في بلدان ماوراء البحار بإسداء النصح إلى زوار الشرف الأمريكيين في تلبية دعوات الكوكتيل والعشاء التي

يدعون إليها من قبل المسؤولين بهدف تعزيز الثقة بأمريكا . وهكذا تمر الأيام القليلة للزيارة المخططة لإجراء التدقيق والبحث وتقصي الحقائق ويمضي أغلب الوقت في الدعوات وفي تلقي تقارير مختصرة كما يتخلل وقت الزيارة برنامجاً للتسوق وزيارة الأماكن الأثرية الجميلة .

وعند نهاية الزيارة يغادر الزوار في حالة من التعب والجهل ، ولكن مع ذكريات محببة وسعيدة عن اللقاءات والحفلات والأسواق والهدايا مثل علبة سكاير مصنوعة من الفضة ممهورة بالحروف الأولى لرئيس الوزراء أو لوحة فنية محلية ... الخ . أو الإقامة في جناح مريح ومترف في فندق فخم يقضي الزائر الهام أكثر وقته فيه وينعم بغرفه الفسيحة ولكنه لايرى شيئاً ولا يتعرف على سير الأمور في فورموزا ، ولا يسمع إلا ماتريد جماعة السفارة الأمريكية أو جماعة المسؤولين الوطنيين في البلد أن يطلعوه عليه . وغالباً ماتكون المعلومات هي نفسها التي يتلقوها من الجميع . وأحياناً يحضر أعضاء رفيعي المستوى لنذكر منهم : السيناتور مانشفيلد وعضو الكونكرس بورتر وليندسي فيقومان بأعمال بحث وتدقيق حقيقية ويزوران مناطق متعددة ، ولكن هذه الحالات نادرة وغير مألوفة .

ففي كوريا مثلاً توجد مجموعة صغيرة من المسؤولين الكوريين المقربين جداً من الرئيس " سيكمان رهي " يتصلون يومياً ويعقدون صفقات تجارية مع أعضاء من الحكومة الأمريكية . وعندما يزور هؤلاء المسؤولون الأمريكيون كوريا يصطحبونهم إلى حفلات الكوكتيل ودعوات العشاء وإلى حلبات الرياضة ويجلسون معهم في الاجتماعات والمؤتمرات . ويصبح هؤلاء القلة من الكوريين الأذكياء العين الرسمية والأذن الصاغية للحكومة الأمريكية في كوريا نظراً لصلاتهم الشخصية مع رجالات الحكومة الأمريكية . ويحرص هؤلاء الكوريون بأن لايكون للمسؤولين الاميركيين أي مصدر آخر للمعلومات . وخاصة أن رجالنا من المسؤولين لايتكلمون اللغة الكورية .

عندما اندلعت الثورة في كوريا عام ١٩٦٠ وخلع الرئيس سيكمان رهي من منصبه ووضع رجاله وحاشيته في السجن عرفنا ولأول مرة بأن عدداً كبيراً منهم كانوا يستغلون مناصبهم لجمع الثروات الخاصة . والأدلة على ذلك موجودة وكافية لإدانتهم . كما تبين لنا أن المسؤولين الرسميين الذين كنا نثق بهم كانوا يغشوننا ويضللوننا لمدة ثلاثة عشر عاماً . لقد تخلينا عنهم بعد أن سجنوا وانفضح أمرهم وبدأنا نفتش عن

مجموعة غيرهم . وهذا النسق كان معروفاً وشائعاً في علاقاتنا مع الأجانب . ففي شانغ كينغ عام ١٩٤٠ كان لنا عدد من المراقبين العسكريين الممتازين ومن المسؤولين في السفارة الأمريكية يزورون المواقع بأنفسهم ويقومون بالمراقبة والتدقيق والبحث في المناطق الشيوعية . ويخبرونا بأن الشيوعيين كانوا منظمين بشكل جيد ولديهم آلية عسكرية متطورة . غير أن السفير الأمريكي باتريك هورلي الذي جمع معلوماته من تشنكغ وهونغ وسونغ ومن موظفيه المتفقين معه دائماً بقول نعم على كل سؤال نصح الحكومة في واشنطن بأن لاتأخذ ملاحظات هؤلاء المراقبين وتقاريرهم على محمل الجد لأنهم حسب رأيه لايعرفون عن ماذا يتكلمون . كما أوضح بأنه لامجال للتخوف من الشيوعيين لأنه جمع معلوماته من مصادر موثوقة جداً . ولكن مع الأسف سببت نصائح السفير هورلي التي قبلتها حكومتنا تعثر سياستنا الخارجية وفشلها تجاه الصين .

وفي وقت آخر تلقى السفير هورلي من أحد موظفي السلك الخارجي الذي يعمل تحت إمرته تقريراً سرياً عن نقاط الضعف في الصين الشعبية . ومن أجل التصديق على هذه المعلومات قبل إرسالها إلى واشنطن

طلب السفير من أحد أقارب مدام تشينك كاي شيك ويدعى أش. أش هونغ أن يقرأ التقرير بعناية ويبيِّن رأيه فيه.

طبعاً إن السيد هونغ شكّك بالمعلومات التي احتواها التقرير موضحاً أنها معلومات مغلوطة. وبالنتيجة لم يرسل السفير التقرير الذي يحتوي على حقائق هامة إلى واشنطن.

٢- المصدر الثاني للمعلومات: الصحف الأجنبية: إنّ هذه الصحف والمجلات والكتب ومحطات البث الإذاعي تحتوي كلها على الكثير من المعلومات المفيدة. هذا إذا كانت صحافة حرة وإعلام حر. غير أنها في الواقع ليست كذلك في فورموزا والصين وأندونيسيا وكمبوديا والجزائر ومصر وغانا والعراق وجنوب إفريقيا وفيتنام وفي عدد كبير من بلدان أمريكا اللاتينية وغيرها. ومع ذلك يستطيع أي محلل سياسي موهوب أن يستفيد كثيراً من وسائل الاعلام الوطنية إذا كان يتقن اللغة المحلية، فيقرأ في ماوراء الأخبار المكتوبة. وهذه هي حالة نادرة بالنسبة إلى الأمريكيين فالغالبية العظمى من أعضاء السفارات الأمريكية والقنصليات في جميع أنحاء العالم (بما فيهم المنظمات الأمريكية الحكومية) لايعرفون لغة البلد التي يعملون فيها. ويعتمدون في

ترجمة الصحف المحلية على مترجمين يستخدمونهم من السكان المحليين بتوصيات من المسؤولين من معارفهم في الحكومة. ونحن في أمريكا الأمة الأغنى والأكثر ثقافة على وجه الأرض عاجزون على القيام بتفسير النصوص الأجنبية وترجمتها.

إن الأخطاء لاتسببها فقط الترجمات المحرفة ولا التفسيرات المنحازة ولكن يسببها تراكم الأخطاء البسيطة في سفاراتنا في كل أنحاء المعمورة والتي تتجمع في أوراق وتقارير وزارة الخارجية في واشنطن وتتحول إلى عوامل تضعف فعّالية الأمة الأمريكية.

ففي عام ١٩٥٦ عندما كنت في بانكوك اطلعت على الترجمات التي تمت في السفارة الأمريكية لمقالات من جريدة " ذاى " وقارنتها مع الترجمات التي كنت قد حصلت عليها من ثلاثة مصادر مستقلة فوجدت أن إحدى المقالات الافتتاحية (حسب ترجمة السفارة) تثمن عالياً جهود السفير الأمريكي في تعامله مع المسائل الشيوعية. والصورة الرسمية تقول أن السفير درس نشاط الشيوعيين بصبر وجد واجتهاد. أما الترجمات الثلاثة الأخرى فكل واحدة منها تقدم صورة متناقضة مع ماورد في ترجمات السفارة. والحقيقة أن السفير قضى معظم وقته يفتش عن شيوعي تحت كل

كرسي أو طاولة ويقصد بذلك تماماً بأنه كان رجلاً مغفلاً. وإن ماأرسله إلى وزارة الخارجية في واشنطن كان تقريراً بعيداً عن الحقيقة. وقد ذكر لي أحد موظفي مكتب الاستخبارات الأمريكية في أندونيسيا أن الترجمان الأندونيسي المعتمد في السفارة الأمريكية كان يغيّر من معاني الأخبار المنشورة في الصحف المحلية لسنوات عديدة بصورة تجعل الأمريكيون يعتقدون بأن كل شيء يسير على خير مايرام. بينما تظهر النصوص الأصلية بوضوح عمليات تغلغل الأفكار الشيوعية في كافة أنحاء البلاد.

كما ذكر لي عالم مختص في الشؤون السياسية من كوريا بأنه كتب سلسلة من المقالات يصف ويحلل فيها الأحوال السياسية الكورية. ولكن بعد قراءة الترجمات التي تمت عن كتاباته وقدمت بشكل خاص للمسؤولين الأمريكيين كانت دهشته كبيرة لأنه وجد بأن هذه الترجمات قد قلبت استنتاجاته رأساً على عقب.

٣- المصدر الثالث : المخبرون المأجورون من الأجانب: ليس لدي إثباتات كافية عن هؤلاء المخبرين الأجانب بأنهم يشوّهون الحقائق. ولا يمكنني سوى الحكم استناداً لما هو متاح لي من معلومات ومقارنات. ويبدو من المنطقي أن أشك بأنه إذا تلقى ممثلوا الولايات

المتحدة باستمرار معلومات سيئة من المسؤولين الأجانب الذين يتقنون اللغة الإنكليزية والذين هم في الواقع أصدقاء حميمين لهم يكونون قد تلقوا معلومات لاتقل مصداقية عن تلك التي تأتي عن طريق التجسس التجاري الأجنبي . وعلى هذا فإنها مصادر لايركن إليها بالنسبة لمصالح أمريكا .

٤- المصدر الرابع : ملاحظات المسؤولين الأمريكيين عن البلاد الأجنبية : إنَّ الكثير من المعلومات تؤخذ على أنها حقائق استناداً إلى قول المسؤول "بأنه كان هناك" . غير أن المعروف عن مسؤولينا في جميع أنحاء العالم بأنهم غير دقيقين في ملاحظاتهم الشخصية حتى "ولو كانوا هناك" . إنهم يستحقون هذه السمعة بجدارة ولعل أهم دليل يظهر جهلنا وحماقتنا أن العالم في حالة ثورة وتغيير ونحن نائمون لانحاول أن نستفيد من ذلك . فالشعوب في كل أنحاء العالم تثور بسبب الاستبداد وترغب بالاستقلال وأن كلمة الاستعمار أصبحت مرفوضة ومكروهة . ونحن الشعب الأمريكي نقاسمها هذا الشعور . لكن أمريكا بدلاً من أن تساعد على إزالة الاستعمار نجدها تعمل على دعم الحكومات القائمة التي لاترضى عنها شعوبها . ونرى أن الشعوب تطيح

بهـــذه الحكومــات الواحـــدة تلو الأخـــرى ويدعي الشيوعيون بأن لهم الفضل في ذلك . إنها حقاً مأساة كبـرى . إن السـوفـيـيت في الأسـاس هم الطغـاة والمستعمرون ومع ذلك وبسبب معلوماتنا المضللة والقاصرة تصبح سياساتنا عمياء وحمقاء ويكسب الشيوعيون السمعة بأنهم يساعدون الشعوب المضطهدة رغم أنهم لايستحقون أن تطوق رؤوسهم بهذه الهالة من النور . غـيـر أنه في الواقع نراها تلمع فـوق رؤوسهم . فإذا كان ممثلوا أمريكا في الخارج صادقين في ملاحظاتهم لكانوا قد لاحظوا أن الثورة في كوبا على وشك الاندلاع والانفـجـار . ولكننا اسـتـمـرينا رسمياً في دعم الدكتاتور باتستا إلى آخر يوم من حكمه قبل طرده من البلاد . والنتيجة أننا أصبحنا مكروهين من قبل الشعب الكوبي وأصبح الشيوعيون الذين لم يفعلوا شيئاً أبطالاً وأنصار التحرر فربحوا السمعة الطيبة وصار لهم موطئ قدم في كوبا . ويبدو أنه لم تكن لدى سفارتنا في كوبا معلومات كافية وصحيحة عما كان يجري هناك . كما أنَّ المواطنين الأمريكيين لم يكونوا يعلمون شيئاً عن ذلك .

وأخيراً قامت وزارة الخارجية في إرسال بعثة إلى إفريقيا زودتها بأموال طائلة وخطط لبرنامج مساعدات

واسع اعتبر أكبر برنامج مساعدات في العالم بما فيها آسيا . لماذا تأخرنا إلى هذا الوقت؟ إذ أن الشعور الوطني كان يغلي في افريقيا منذ عشرة أعوام على الأقل ولكننا لم نقم بأي إجراء . حتى بدأت المظاهرات والاضطرابات والحروب الأهلية تعم القارة . وكان التغلغل الشيوعي قد حصل فأيقظنا من سبات عميق . لقد تواجدت في إفريقيا مجموعات من الروس والصينيين الذين يتقنون اللهجات الإفريقية المحلية منذ سنوات لأنهم كانوا يدركون تماماً الأهمية الصاعدة لإفريقيا ولديهم معلومات صادقة وصحيحة عن مجرى الأمور . فلماذا يحصل الموظفون الروس والصينيون على معلومات صحيحة أفضل من موظفينا بكثير؟ ولماذا يكون الاعلام الروسي أفضل وأصدق من إعلامنا ؟ .

٥ - المصدر الخامس : محررو الصحف الأمريكية :

إنَّ كثيراً من المعلومات يمكن أن تأتي من تقارير المراسلين والخبراء الأمريكيين في الخارج . ومع ذلك فقد جرت العادة أن يصار إلى تصديق هذه التقارير من قبل السفراء ومسؤولي المخابرات المركزية وهيئة المعلومات الأمريكية أو المسؤول العسكري في السفارة قبل إرسالها إلى أمريكا . فعلى سبيل المثال كتب

ارنست ك . لينلدي تقريراً إلى مجلة نيوزويك يقول فيه بأن مساعدات هيئة المخابرات الأمريكية والمساعدات العسكرية إلى لاووس كانت ناجحة وأنها أنقذت لاووس من براثن الشيوعية وحفظتها للمعسكر الغربي . لقد تم توزيع التقرير بشكل واسع من قبل وزارة الخارجية كما لو كان دليلاً على كفاءة سياستها ونجاحها في لاووس . غير أن خروج لاووس من المعسكر الغربي إلى معسكر الحياد بعد ذلك نشر التقرير بفترة قصيرة يظهر مدى عدم مصداقيته لأنه كان تقريراً مضللاً .

والحقيقة أن البيروقراطيين هنا وهناك يريدون أن يسمعوا مايحبون . فإذا كتب صحفي ما بأن أمريكا تقوم بعمل عظيم في بلد ما يصبح هذا الصحفي مدللاً ومرموقاً ويصبح على قائمة المدعويين إلى الحفلات والولائم الرسمية . أما إذا كان ناقداً ودقيقاً في تحليلاته وكتاباته فيوصم بأنه شخص " غير مسؤول " وأحياناً يوصم بأنه يكتب ضد مصالح بلده أمريكا . منذ عدة سنوات كتب مراسل نيويورك تايمز سلسلة من المقالات عن تايلند . قال فيها إنَّ حكومة " تاهي " فاسدة بشكل مخيف لدرجة أنها في خطر وأنَّ الإطاحة بها من قبل الشعب متوقعة . لقد نفت السفارة الأمريكية في تايلند

بصـورة علنيـة ذلك . ولكـن الصـحـفي كـان على حق والسفير كـان مخطئاً لأنه لم يمض وقت طويل حتى تمت الإطاحة بنظام حكومة تاهى لأن الشعب ضاق ذرعاً بها ولاقى الأمرين من مفاسدها .

ومثال آخر على ذلك فقد كتب روبرت كولكروف مراسل جريدة " سكريبز هوارد " مقالاً مشهوراً عن الفساد والرشاوى في فيتنام الجنوبية . فجندت وزارة الخارجية وأجهزة المخابرات العامة حملة شعواء لتشويه سمعة هذا المراسل كما عرض الموضوع على الكونكرس للتحقيق وتمت كافة محاولات التشكيك في الحقائق التي تضمنها المقال وأيضاً في طبائع المراسل نفسه وولائه لبلده . لقد حاول شهود من وزارة الخارجية تدمير مقال كولكروف لأنه يركز على الأمور التافهة ويتغاضى عن الأمور الهامة المفيدة . ومع ذلك فإن أحداث ١٩٦٠ أثبتت أن ماذكره كولكروف كان صحيحاً وأن وزارة الخارجية كانت مجبرة على الاعتراف بالحقيقة في الكثير من الاتهامات التي وردت في مقال . ولكن بعد فوات الأوان إذ أنها كانت قد صبت جام غضبها الخاطئ على تقديم التقارير والأخبار التي تحط من قدر الوزارة وتزدري نشاطاتها .

كما جرت عدة مناقشات وتحقيقات في الكونكرس

حول برامج المساعدات الأمريكية الخارجية بما فيها بعض بلدان الهند الصينية وأظهرت تلك المناقشات أموراً أكثر فظاعة مما ذكره كولكروف. ورغم ذلك فقد عوقب كولكروف لأن ماكتبه في جريدة " سكريبز هوارد " قد قرئ من قبل الملايين من الشعب الأمريكي وكان لذلك تأثير كبير على الرأي العام. ولكن مع الأسف فإن الأمريكيين لايقرؤون تقارير لجان الكونكرس كما أن الصحافة تهملها ولا تكتب عنها شيئاً.

في إحدى الأمسيات حضرتُ مع مجموعة من الخبراء في السياسة الدولية في جامعة هارفرد مناقشات حول العاملين في بلدان ماوراء البحار في جمع المعلومات. كما حضر شخصان كان قد خدما في السلك الخارجي الأمريكي. وقد قالا بأن مستوى التمثيل الأمريكي في البلدان والعواصم الكبيرة في أوروبا يعتبر مقبولاً ولا غبار عليه مثل إنكلترا وفرنسا وألمانيا أما في بقية الدول الصغيرة وخاصة في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية فإن أداءنا الدبلوماسي وتمثيلنا ضعيف جداً. إن المسؤولين الدبلوماسيين ورجال الاستخبارات والمواطنين الأمريكيين في هذه الدول الصغيرة لايعرفون ماذا يحدث فيها. إننا نخدع هناك

دائماً. كما أضافا في حديثهما بأن المسؤولين الأمريكيين أذكياء ويحبون بلدهم غير أن أسلوب النظام يحول دون تنفيذ مهماتهم بشكل فعّال. وقاما بشرح ذلك كما يلي: إنَّ من تقاليد الحكومة الأمريكية ألا يكون الإنسان المسؤول متخصصاً فأعضاء لجنة الانتقاء والترفيع يقومون بترفيع الموظف من ذوي الخبرات المتعددة. والذي يتحلّى بشخصية محببة أكثر من الموظف الذي يمتلك المعرفة التخصصية ويتمتع بشخصية جدية وصلبة، ففي جميع أجهزة الدولة فإن الموظف الجيد لايكافأ. كذلك الموظف المتخصص لايرفّع حتى ولو كان مخلصاً في القول وجاداً في النصح وصريحاً خاصة إذا كان يعمل في بلد صغير منعزل وبعيد مثل لاووس أو كوريا. واستمر الرجلان بالقول بأن أغلب الموظفين المدنيين يفضلون أن يكونوا في وظائف في بلدان مريحة وممتعة مثل بلدان أوروبا حيث يوجد الطعام الجيد والمناخ الملائم وأماكن المتعة كالمسارح ودور السينما والمتاحف وغيرها.

وعلى العكس فإن الحياة في أماكن بعيدة مثل "فنونبنه" أو "فيانتيان" مضجرة وغير مريحة حيث تتصف بعوامل متعبة وشروط مزعجة بما فيها تفشي الملاريا والديدان المعوية والأفاعي السامة والمناخ

القاسي وقلة أماكن التسلية وانعدام الكماليات التي اعتدنا عليها .

إذاً على المرء الذي اختار السلك الخارجي أن يصبح متخصصاً في منطقة ما فهذا يمنحه الميزات والمركز الوظيفي والترفيع والراحة الجسدية . كما قالا أيضاً بأن هناك عامل مهم آخر يخفف من فعالية الموظف الأمريكي في الخارج فالأمم الأخرى لاترغب بوجود أمريكيين من ذوي المقدرة والمعرفة والنشاط على أراضيها . إن خبيراً يتحلّى بهذه الصفات يدرك اللعبة والوسائل والمكائد والدسائس التي يستعملها أهل البلاد التي تنطلي على الأجانب السذج .

أثناء الحرب العالمية الثانية عندما تم انشاء مركز قيادي أمريكي في فورموزا قال أحد المسؤولين الصينيين هناك إلى القائد العام الأمريكي مايلي : بما أن الصين الوطنية)فورموزا) قد حققت استقلالها فليس من الحكمة السكوت عن الإهانات والمس بالكرامة التي كان يعاني منها الشعب في السابق في أرض الصين الأم أو تحت الاحتلال الياباني . لهذا اقترح ذلك المسؤول أن تعين أمريكا في هذا المركز شخصاً أمريكياً يكون صيني الأصل ولا يشترط أن تكون لديه خبرات سابقة أو معرفة عن المنطقة . وأعتقد أن القائد الأعلى الأمريكي

أخذ بهذه النصيحة فلم يعيّن في الصين أي شخص خبير في شؤونها وبدلاً عن ذلك عيّن عدداً من الأشخاص يجهلون تماماً كل شيء عن الصين والشرق الأدنى وقد شكل منهم فريق العمل تحت إدارته. وخصص لكل فرد منهم ترجماناً من سكان فورموزا. وليس مصادفة أن يكون هؤلاء المترجمون أعضاء في سلك البوليس السري لحكومة تشينك كاي شيك ومتدربين جيداً على أعمال التجسس. ومرة أخرى نجد أن نشاطات الولايات المتحدة الأمريكية لعدد كبير من الموظفين وأفراد وحدات الجيش الأمريكي وكذلك بلايين من الدولارات التي صرفت للحصول على معلومات كانت كلها مغشوشة ومغلوطة. لأنها أتت عن طريق هؤلاء المترجمين. واليوم نجد الصين الأم تحكمها الأفكار الشيوعية وليس لدينا أي علاقة دبلوماسية معها رغم أنها أكثر أمة في عدد السكان في العالم.

إن علاقاتنا الخارجية والتجارية تدار إذاً على أساس حقائق غير موثوقة وغير مؤكدة. فنحن نشبه فريقاً من الصبية المبتدئين الذين يلعبون بدون تدريب في مباراة دولية. ولا غرابة في أن عدداً كبيراً من قادتنا كانوا خجولين في اتخاذ القرارات الصعبة. ولا غرابة

أيضاً في أنهم كانوا يماطلون ويأملون بأن سمعة أمريكا التاريخية الجيدة يمكن بشكل أو بآخر أن تنقذنا من الكوارث. لأنه لم يكن لديهم معلومات صحيحة ودقيقة يعتمدون عليها في اتخاذ القرارات. وغالباً ماكانت لديهم الإشاعات المتداولة بين الناس والتي تستند إلى الدعايات والافتراضات المسوقة من قبل هواة جهلة مغرر بهم.

سابعاً: السرية في ملفات الحكومة:

إن عبارة سري وسري جداً تنمو باستمرار في ملفات وأعمال السلطة التنفيذية في الولايات المتحدة الأمريكية. وإن أغلب الأمثلة على هذا الموضوع جمعت ونشرت من قبل رابطة "سيكما دلتا تشاي" التي شكلت لجنة من صحفيين محترفين سمتها لجنة "تعزيز حرية المعلومات" في حملتها المشهورة من أجل إزالة كلمة سري وسري جداً غير الضرورية في ملفات وأعمال الحكومة. لقد أصبحت تطبق السرية بشكل روتيني بموجب الشهادات التي أدلى بها الشهود أمام اللجنة الفرعية للحكومة حول سرية المعلومات. لدرجة أن أكثر من مليون موظف فيدرالي استخدموا السرية في تصنيف المعلومات (أيّ أنَّ واحداً من كل ١٨٠ موظف أمريكي يضع كلمة "سري" على

الأوراق والمصنفات). وهكذا فإن آلية الحماية أصبحت ضخمة لدرجة لم تعد فعّالة. بل تحولت إلى وحش يبتلع المعلومات التي يجب أن تكون متاحة للجمهور.

إن ملفات الأثاث الفاخر داخل طائرات النقل العسكرية المطلوبة من قبل النائب "دانيال جي فلود" ختمت بكلة "سري" حتى إن الرسالة العادية بطلب هذا الأثاث التي ذهبت عن طريق ديوان الكونكرس ختمت أيضاً بكلمة "سري". قال النائب فلود: "ظهر لي أن هذا التصنيف مصمم لحماية البيروقراطيين من الإحراج وليس من أجل حماية الأسرار العسكرية لمنعها من التسرب إلى الأعداء المحتملين لهذا البلد".

بالطبع إن من الضروري أن تبقى المعلومات الجوهرية عن الدفاع الوطني والشؤون الخارجية بعيدة عن متناول الأعداء. ولا يجادل في ذلك أحد لأن المحافظة على سرية المعلومات الوطنية ضروري ولكن له مخاطره أيضاً. فمن بين هذه المخاطر خروج تلك المعلومات عن نطاق السيطرة وانتشارها بشكل واسع ففي هذه الحالة يمكن أن تضر الأمة كثيراً.

لقد نشرت جريدة اليوم في شيكاغو في ٢ تموز ١٩٥٧ تقريراً عن الأرباح الفاحشة للموردين الأجانب للخدمات العسكرية إلى الولايات المتحدة وإدارة

التعاون الدولي . وكان التقرير مصنفاً تحت عبارة "سري" . حيث من المفروض أن لايفرج عنه من حسب قول الجريدة . وقد شدّد الحظر على هذه الفضيحة للحيلولة دون إفشائها أثناء نقاش الكونكرس لميزانية المخصصات المالية للدفاع والمساعدات الخارجية .

وغالباً ماتصبح الأدراج المقفلة بثلاثة أقفال في مكاتب المسؤولين الأماكن المناسبة لإخفاء المشاكل العامة التي يخشى المسؤول من إثارتها أو يرغب في تأخير الإعلان عنها . لقد ازداد استخدام هذا الأسلوب بالسماح فقط بالاعلان عن المعلومات التي يرغب المسؤول أن تعرف لأنها تنسجم مع أهوائه . وعلى الرغم من أن المعلومات التي تجمعها هيئة الاستخبارات المركزية ضقش تعد هامة جداً وتصنف بدرجة عالية من السرية . فقد أدلى رئيس هذه الهيئة في ١٩ نوفمبر ١٩٥٦ بشهادته أمام لجنة الكونكرس حول فعالية نشاطاتها ، فسربت الهيئة معلومات إلى بعض الصحف المفضلة لديها بأن رئيس الهيئة أعلم الرئيس في البيت الأبيض قبل ٢٤ ساعة من بدء هجوم الإنكليز والفرنسيين وإسرائيل على مصر في عام ١٩٥٦ . وبأن الهيئة قد قدرت بشكل ذكي الآثار والتداعيات وكانت

بالتأكيد مصنفة تحت عبارة " سري جداً " ولا يجوز ذكرها لأحد.

إن طابع السرية بدأ مع تطور القنبلة الذرية. وطالما أن أمريكا تملك وتحتكر أسرار هذا السلاح يمكنها أن تتحكم وتضبط العالم. فطلباتنا الدبلوماسية تكون علنية وبسيطة لأن تفوق أمريكا العلمي والتكنولوجي جعل علاقاتنا الدولية أكثر سهولة. كما أن إضفاء السرية التامة حول القنبلة الذرية يضمن لأمريكا استمرار هذه الوضعية المريحة.

وبعد ذلك أتت الصدمة المخيفة وسمعنا بأن الروس لديهم أيضاً قنبلة ذرية. فمن ياترى أفشى سرنا؟ وانتهك حرمة السرية؟. لقد تتالت بعد ذلك النكبات الفظيعة الواحدة بعد الأخرى. فكشف آيكور كروزنكو (عامل الشيفرة الروسية) عن حلقة تجسس هائلة للروس في أمريكا وكندا. وهذه الحلقة تضم امركيين وكنديين. وصدمنا أيضاً بمحاكمة " ألجير هيس " وشهادات نينتلي وشامبرز والأحكام التي صدرت بحق " ألن مي وكلوس فوتشز ". وكذلك صدمنا بحرب كوريا وبالنجاح الذي أحرزه الروس في إطلاق مركبة الفضاء " سبوتنك ".

ويبدو أن الجواسيس والخونة ومسربوا الأخبار

ومحركوا الفتن والمفسدون العاملون ضد الحكومة كانوا يزحفون ويدبون من تحت السجاد أو يخرجون من المكاتب الخشبية مما أصاب البيروقراطية الأمريكية بهستيريا من الذعر والهلع. من أين أتت كل هذه الاختراقات للأمن والأمان بالرغم من كل الإجراءات الفعّالة لتأمين السرية. ففي كل سفارة ووحدة عسكرية ومؤسسة للمعلومات كانت الاستخبارات المتواجدة في البلاد توظف أفراداً محليين في وظائف السنترال الهاتفي والاستقبال والخدمة وقيادة السيارات وفي وظائف أخرى خاصة وسرية لكن هؤلاء كانوا يسترقون السمع إلى جميع المحادثات الرسمية للمسؤولين في السفارة سواء مع المسؤولين المحليين أو مع رؤسائهم في واشنطن. كما أن الفراشيين الذين ينقلون الأوراق والوثائق كانوا يشاهدون كل شيء في كل يوم ويراقبون كل شاردة وواردة من الزوار والمسافرين الداخلين والخارجين إلى السفارة. فيصبح ماكنا نختم عليه بـ "سري للغاية" معروفاً ومكشوفاً لهؤلاء الموظفين والعمال المحليين.

لقد رفضت إدارة البحرية الأمريكية السماح للكابتن المتقاعد جورج دبل يو كامبل بنشر قصته عن غرق الغواصة إنديانا بوليس أثناء الحرب العالمية الثانية

في جريدة " ساتردى ايفنينك بوست " بحجة أنها تعيق التعيينات في البحرية . وعندما حصلت الجريدة على الإذن بنشرها من وزير البحرية أرسلت دائرة البحرية رسالة خاصة إلى الكابتن كامبل ممهورة بكلمة " اتصالات سرية خاصة " .

إن انتشار جنون السرية وصل إلى حد أصبح معه البيروقراطيون يخفون عن المواطنين أية معلومات تتعلق بأعمال الحكومة والتي يجب أن يكون هدفها الأساسي وغايتها الوحيدة خدمة المواطنين دافعي الضرائب . لقد أصبح البيروقراطيون يشكلون نموذجاً خاصاً في انتحال صفة السرية كي يتحكموا بالمواطن العادي ويمنعوه من معرفة ماذا يفعلون ويعملون . لقد حجبت مصلحة البريد عن جريدة " إنديانا بوليس نيوز " أسماء الأشخاص الذين كانت تستأجر منهم الدولة بنايات ومكاتب للبريد في ولاية إنديانا وعن مبلغ الآجار ومدته .

والمهم الآن هو إلى أي مدى يمكن للمواطنين أن يتخلوا عن حقوقهم في معرفة أعمال الدولة دون أن تقترب الإدارة من الحكم الفردي؟ فإذا اختار الشعب الأمريكي بمحض إرادته تخفيض مستوى حقوقه في المعرفة لأسباب تتطلبها الحالات الطارئة فإن ذلك يعد

مؤشراً على أنهم أعضاء في مجتمع حر. ولكن هذا لم يحدث قط. لأن الشعب الأمريكي اليوم يرغب في الحصول على المعلومات المحجوبة عنه باسم السرية.

إن قوانين وتعليمات وزارة الدفاع تنص على أن أصحاب العلاقة هم وحدهم المسموح لهم معرفة أماكن القواعد العسكرية لبيع المشروبات الروحية. وكذلك كل المعلومات الخاصة بأسماء باعة الخمور بالجملة. وتمنع اعطاء أية معلومات لأي عضو في الاتحاد النسائي على أساس فقدان المصلحة في ذلك.

وفي نيسان من عام ١٩٥٩ نشر السناتور "ت. س. هانينغ جونيور" في مجلة "بروكرس مكازين" مايلي:

" يمكن أن يكون أشهر مثال على التكتم الكامل للمعلومات في السنوات الأخيرة هو رفض الإدارة الأمريكية السماح بنشر ماسمي بتقرير "كيذر" أو حتى اطلاع الكونكرس عليه. وهذا التقرير كان قد قدم للرئيس من قبل مجموعة من المواطنين المخلصين بعد دراسة مستفيضة لمتطلبات الأمن القومي. لقد كرر التقرير التحذير بأن الولايات المتحدة ستتعرض لأكبر خطر في تاريخها. بالرغم من أهمية ذلك بالنسبة لمجموع الشعب فقد رفضت الإدارة الأمريكية الإعلان

عن محتويات هذا التقرير للكونكرس ولعامة الناس .
ويظهر أن السبب كان لما يمكن أن يسببه ذلك التقرير من إحراج سياسي كبير وهياج شعبي عارم . لقد حصل الكثير من النقاش حول تقرير " كيدز " وأعتقد عدد من المسؤولين ضرورة حجبه عن الكونكرس والشعب على أساس أنه تقرير وضع بناء على توجيهات من الرئيس وبناءً على طلبه وليس للكونكرس أو للشعب أية علاقة أو مصلحة به . ومع ذلك عندما انتشرت الإشاعات بأن اللجنة اكتشفت بأن الأمة الأمريكية ستكون في خطر جسيم اعتقد عدد من المشرعين ورجال الإعلام أنه من المنطقي والطبيعي أن يعلم الكونكرس بذلك . ولكن هذا لم يحصل أبداً " .

حاول صاحب دار نشر ولعدة شهور الحصول على جدول بخمسين اسماً من كبار المسؤولين في البنتاغون الذين حصلوا على "إجازة مدفوعة" أي كانوا يحصلون على رواتبهم العادية من وزارة الدفاع بالإضافة إلى رواتب أخرى من أرباب الأعمال المدنية حيث كانوا يعملون فيها . لقد رُفض طلبه ولم يحصل على القائمة المطلوبة لأنها من الأسرار التي لاتسمح بالاطلاع عليها . إن نظرية " الميزة التنفيذية " التي وضعت من قبل جورج واشنطن من أجل المحافظة على

خصوصية خطط البيت الأبيض ومناقشاته ومراسلاته . كانت ضرورية لحماية رئيس السلطة التنفيذية . غير أن هذه النظرية الآن في عام ١٩٦٠ أصبحت مطبقة بتوجيه رئاسي وقرار من المدعي العام لتشمل جميع نشاطات وأجهزة الإدارة التنفيذية . وبالطبع تشمل وزارة الخارجية والدفاع وهيئة الاستخبارات المركزية ضقش ولذلك فإن أغلب أقسام الإدارات الأخرى كانت تدير أعمالها في سرية تامة . (حيث توجد ٢٠٠٠ وكالة نشطة ومصالح لأكثر من ٥٠٠٠ مكتب استشاري) . ومما يسترعي الانتباه أن هذه المكاتب الاستشارية لاتدون محاضر اجتماعاتها كي لاتكون عرضة للتدقيق من قبل المواطنين دافعي الضرائب . إن عدداً من موظفي وزارة الخارجية وهيئة الاستخبارات المركزية ضقش يوفدون إلى البلدان الأجنبية من وقت لآخر لتقييم برامج المساعدات الأمريكية ولكن تحجب تقاريرهم عن الكونكرس وفق نظرية " الميزة التنفيذية " . فكيف يمكن للشعب الأمريكي أن يعرف ماذا يجري خارج أمريكا؟ , هل يجب أن يذهب أعضاء الكونكرس إلى بلدان ماوراء البحار؟ . أم يجب على الشعب أن ينتظر حتى يحدث انفجار دولي قبل أن يسبقنا الغير ويقطعوا الطريق علينا .

إن تطبيق مبدأ " المعلومات المميزة " تكتيك آخر استخدمته الحكومة من أجل الاحتفاظ بما هو غالباً ملكية عامة للشعب. وفي عدد من المناسبات يستعمل ختم "معلومات مميزة" لحجب الأمر المريب عن الشعب. فمن الصعب جداً بل من المستحيل الحصول على قائمة بأسماء رجال الكونكرس الذين قاموا برحلات تفتيشية رسمية حول العالم واصطحبوا معهم زوجاتهم وأولادهم وأنفقوا أموالاً طائلة كانوا يسحبونها بلا حدود من السفارات في الخارج لأن هذه القائمة تعتبر فقط " من أجل الاستخدام الرسمي " . وخوفاً من نقمة الشعب في أن يضع حداً للفساد فإن رحلات جميع المسؤولين الرسميين وزوجاتهم تصنف على أنها سرية. إن تخوف المسؤولين مبني على أسس متينة. فإذا علم أفراد الشعب عن هذه الرحلات والزيارات يمكن للرأي العام أن يضع حداً لها. ففي العام الماضي سجلت ألف رحلة لكبار الشخصيات إلى هونغ كونغ وحدها تحت صفة رحلات تفتيش رسمية. مع أنَّ هونغ كونغ تتطلب قليلاً من التفتيش ولكنها تعتبر مكاناً ممتازاً من أجل التسوق والنزهة.

إن مجالات وحدود حجب الحقائق وكتمانها لانهاية لها. لقد رفضت وزارة الزراعة طلب المدققة

الآنسة " امبردين " بجداول لأسماء المزارعين الذين نالوا تعويضات مالية من أجل عدم زراعة القطن في أراضيهم . كما يوجد الكثير من الأسرار الفيدرالية . فجداول المصروفات الفيدرالية لايسمح بتفتيشها ولا يسمح للمواطنين بالاطلاع عليها . وكذلك جميع وثائق المدن والمناطق وحكومات الولايات في جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية . لهذا لم تتمكن جريدة " ديتون هيرولد جورنال " من الحصول رسمياً على الحسابات المالية المصروفة على الاستعراض الجوي الوطني بالرغم من أن تكاليف القوى الجوية وقيمة مفروشات الطائرات وأجور الطيارين تصرف من الخزينة العامة أي من جيوب دافعي الضرائب .

إنَّ حوالي ٨٠ مليار دولار أنفقت على المساعدات الخارجية . لكننا نعرف الرقم بشكل إجمالي ولانعرف المبالغ التي خصصت لكل دولة على حده . لأن هذا الأمر مصنف تحت عبارة " سري " فكيف يمكن للشعب أمام هذه السرية أن يتحقق من أن الأموال الضخمة التي تصرف من الضرائب تنفق بشكل نزيه وفي محلها . خاصة أن سجل هذه المساعدات المالية في الماضي تفوح منه رائحة الفساد ويعرف بعدم الكفاءة والفاعلية .

لقد أوضح " وليام اتش فيتز باتريك " مساعد

محرر "وول ستريت جورنال" بأنه " إذا أصرت الحكومة على الصفة السرية لأعمالها لن يستطيع المواطنون أن يجتمعوا ليتبادلوا الآراء حول أحوال الأمة أو أن يطلبوا من الحكومة حماية حياتهم وأموالهم. وإن الشعب الذي لاتعطى له المعلومات سيتحول في النهاية إلى شعب مضلل والشعب المضلل عندما يقال له بأن حياته أكثر أمناً وأكثر سعادة لايكون شعباً حراً " .

ثامناً :حكومة تدار بالدعاية

عند خارج الباب المغلق يقف حارس ليمنع الأشخاص غير المسموح لهم من الدخول. وفي الداخل تبدأ لجنة التحقيق التي عينها الكونكرس في العمل. فيقرأ الأعضاء وثيقة ممهورة بكلمة "سري" وهم ينفثون الدخان من الغليون أو السكاير. ويقف في وسطهم خبير العلاقات العامة يشرح ببطء وحرص ماتحتويه الوثيقة السرية. من التعليمات المناسبة بإمكانية الحصول على دعاية أكبر للتحقيقات التي تقوم بها اللجنة. لقد أوضح الخبير إلى أعضاء اللجنة كيف تنتهي كل جلسة من الجلسات اليومية بالحصول على قدر أعلى من الأخبار. وحجز أوسع مساحة ممكنة في الصحف من أجل نشر بيان صحفي عن أعمال اللجنة. ونشر أقوال الشهود بشكل لايؤثر على مساحات

الدعاية والإعلان التي تحاول اللجنة أن تستغلها لذلك اليوم (وكانت هذه البنود في الورقة السرية مأخوذة من كتاب لوكلاس كاتر المعنون " الفرع الرابع للحكومة ").

إن الرغبة في الدعاية أمر مألوف في دوائر الحكومة وإن كل مسؤول تقريباً ابتداءً من الرئيس وما دونه متهم بالتلاعب والتصرف في الأخبار في صراع قوي من أجل الحصول على الصدارة والمانشيتات العريضة في الصفحات الأولى. فيوجد لدى المسؤولين في واشنطن مساعدون كثيرون في إدارة " الحكومة بالدعاية " كما يوجد عدد من موظفي العلاقات العامة. وكل ذلك للتأثير على أصواتنا وعلى رأينا. وغالباً ماينسى أعضاء الكونكرس ومعهم أغلب المسؤولين العاملين في الخدمات العامة بأن أحد أهم بنود عملهم ومهماتهم إعلام الشعب وإخباره عن حالات الأمة ومشكلاتها وشرح أهم القضايا لكي يفهموها ويعطوها حق قدرها. من أجل هذا المطلب أحدثت وظيفة تحت اسم موظف للمعلومات العامة أو الشؤون العامة أو ملحق إعلامي.

ومع ذلك فإن موظفو المعلومات العامة أصبحوا غير شرفاء مع أنهم يتكلمون باسم دوائر الدولة. لقد

توقفوا عن خدمة المواطنين وتحولوا إلى عملاء مأجورين لرجال الإعلام والصحافة يبذلون كل جهودهم ونشاطاتهم ومهاراتهم من أجل البقاء في السلطة فيحصلوا على مخصصات ليجعلوا المكتب يظهر دائماً في مظهر جيد ولو كان ذلك على حساب المكاتب الأخرى. باختصار فإن كثيراً من جهود حكومتنا وأموال الخزينة تبدد في سبيل الحصول على رأي عام مخطط له سلفاً. ويحاول المسؤولون عن طريق إصدار بيانات صحفية مكتوبة بعناية ليجعلونا نقبل مايدور بذهنهم كما لو أنهم يخشون القرارات التي يمكن أن نتخذها بمحض إرادتنا فيما لو توفرت لنا الحقيقة بكاملها.

يبدو أن أعضاء الكونكرس ومجلس الشيوخ يميلون إلى الدعاية عن أنفسهم بأكبر قوة ومهارة من المسؤولين غيرهم. لأن قاعة مجلس الشيوخ وقاعة الكونكرس ومناقشاتهما تشكل مركزاً للاهتمام الشعبي وتكون الأضواء مسلطة عليها.

بالرغم من أن السيناتور جوزيف ماك كارثي قد مات وأصبح طي النسيان إلا أنه كان أستاذاً خبيراً في التلاعب بالرأي العام من أجل تحقيق أهدافه في التوصل إلى القوة والسلطة الشخصية. لقد استخدم

بكفاءة عالية العناوين الرئيسة في الصحف لبث الذعر والخوف في قلوب أفراد الشعب الأمريكي وفي إزالة أي شخص يحاول أن يكون حجر عثرة في طريقه .

لقد نجح ماك كارثي لأنه اكتشف الصحافة الأمريكية التقليدية . إن أغلب رجال الصحافة يقدمون القصص والأخبار للناس بالإسلوب الملائم وهذا يعني أنه إذا قال أحد الأشخاص من المسؤولين المرموقين أو غيرهم شيئاً مثيراً، وقد لايكون صحيحاً، فإن رجال الصحافة ينشرونه على علاته . ولا يكون للقول ومحتواه مجال للشك أو النقاش كما لايعطى القارئ أي فرصة للمناقشة، لأن رجال الصحافة يعملون ببساطة مثل المرآة . وبهذا فإن ثرثرة فارغة غير منطقية لمعتوه تأخذ حقها من الدعاية والإشهار مثلها مثل أي موضوع مدروس لمواطن عبقري . وبقدر مايكون الخطاب عنيفاً وغير معقول بقدر مايحظى بالمنشيتات العريضة ويحتل مساحة أكبر على الصفحات الأولى من الجرائد .

إذا قام أحد من أعضاء الكونكرس مثل ماك كارثي وانفجر كلامياً أمام الجمهور فإن الصحافة تلتقط كلامه كما هو بدون تغيير أو تعليق . فأي معلومات ذات علاقة بما قيل لاتدخل في الحسبان فالأمر يترك إلى

القـارئ الذي لايستطيع أن يطرح أسئلة أو يتـحـدى أقوالاً مزعومةليفرق مابين الحقيقة والكذب . يقول أصحاب الصحف إن اكتشاف الحقيقة من مسؤولية القـارئ؟ لكننا لسنا مـؤهلين بأن نتـحـمل مـثل هذه المسؤوليـة لوحـدنا . ويظهـر أن السـادة رجال الاعـلام تناسوا أننا نعتمد عليهم في تزويدنا بالمعلومات الكاملة والحقيقية عن الأحداث .

لذلك عندما وقف ماك كارثي في مجلس الشيوخ وصـرخ أن لديه قـائمـة بـ/ ٢٠٥/ بطاقـة تحـمل لقب شيوعي يعمل في وزارة الخارجية لم يكن لدينا شك من أنه فعـلاً يملك هذه القـائمة . وقـد قيل هكذا أيضاً في الصحف ورددہ المحررون . وإذا طلب أحد الصحفيين من مـاك كـارثي أن يسـمح له بإلقـاء نظرة على تلك القائمة ورفض طلبه سنقول بأن الصحافة تريد أن تظهر الكاذب الدجال في عناوين صفحاتها الأولى . ولكن شيـئاً من هذا لم يحدث لأن مـاك كـارثي قـال بشكل مـأسـاوي مـحـزن بأن لديه أسـمـاء هؤلاء الشـيـوعـيين مكتوبة على ورقة لم يظهرها فقدمت لنا الصحافة هذا الكلام كـمـا هو بدون تعليق أو تدقـيق وبهـذا زادت الصحافة في تضليلنا .

لقـد كـان مـاك كـارثي المحنك يعـرف بأن هذا

ماسيحدث لأن الصحافة والجمهور يثقون به، وقد استغل هذه الثقة حتى النهاية مما مكّنه من أن يدلي بهذه الترهات لعدة سنوات. وكان دائماً يلقى دعاية واسعة لاتهاماته وهذيانه وكلامه الذي يكون خارجاً عن الأصول والمعقول. إن خطبه كانت أخباراً وقد حولتها الصحافة إلى نظرية بارزة دعتها " الماك كارثيه" .

لقد تأثرنا كثيراً لأنه عندما يتكرر خبرٌ معين في جميع الجرائد يوماً بعد يوم. فإن ذلك يشكل ظاهرة خطيرة. لأن استمرار نشر خبر معين وفي عدة جرائد في آن واحد يقنع الحكومة بشكل لاشعوري بأنه صحيح وأنه يمثل الرأي العام. وكذلك ينظر إلى أن مايظهر على شاشات التلفزيون ويسمع بأجهزة الراديو ويقرأ في الصحافة يشكل الرأي العام وهذا أيضاً ليس صحيحاً. بالإضافة إلى التعظيم الشخصي الذي يكون أحياناً هدف التحقيقات التي يجريها الكونكرس. والذي يشكل نموذج السيرك الذي يقام على مسرح الكونكرس قبل أن يعلن على شاشات التلفزيون ومحطات الإذاعات وصفحات الجرائد. وبذلك سمحنا لأعضاء الكونكرس أن يحتلوا الساحة كلها.
لقد أظهر الصحفي دوكلاس كارتر في كتابه الشهير " الفرع الرابع للحكومة " أن عدة تحقيقات قام بها

الكونكرس كانت ببساطة تكتيكاً ووسيلة من أجل وضع الأخبار ومراقبتها.

فالتحقيقات في بعض الأحيان تكون تسلية مثيرة ومذهلة ابتدعت من أجل جذب انتباه الشعب. إنها وسيلة لتكوين رأي عام وطني أو لخلق شهرة وسمعة للمحققين.

وقد ذكر كارتر في كتابه أيضاً: " نادراً ماتحدد لجنة التحقيق التي يؤلفها الكونكرس الموضوعات التي تحقق فيها. وغالباً تنطلق من أفكار مسبقة إلى نتائج مقررة سلفاً من قبل رئيس اللجنة. إن الأعداد الكبيرة من الموظفين الذين يوضعوا تحت تصرف رئيس اللجنة تحول دون بذل أي مجهود لتحويل سير أعمال اللجنة المقررة سلفاً - أياً كان موضوع التحقيق الذي تجريه اللجنة - . وقبل جلسة المحكمة العلنية يكون الحكم آخر فصل من فصول هذه الدراما التي تهدف لجذب اهتمام الشعب ولتنبيه الرأي العام أو لتهدئته أو لتنويره وفي بعض الأحيان لتضليله ".

كما تحدث السيد كارتر في إحدى التحقيقات المثيرة للاهتمام حيث أن المعلومات التي كشفت عنها اللجنة لم تكن ذات أهمية قانونية لهذا طلب رئيس اللجنة تخطي الشكليات الرسمية للتقرير برمته. فكل رئيس

لجنة يظن بأن الشعب لديه كل الحقائق ويستطيع تكوين رأيه بنفسه. وأردف متسائلاً: إن محرري الجرائد والمجلات الذين أمضوا عدداً لا يحصى من الساعات في دراسة هذه التحقيقات ومراقبتها هل يتكرمون بإعلامنا في مدى صعوبة أن يتغلب القارئ العادي على تفوق الدعاية وخداعها وعلى انحياز اللجنة وانحرافها عن جادة الصواب؟ ".

ولكن توجد بعض اللجان النزيهة مثل لجنة "إدارة البيت الأبيض لنشاطات الحكومة" التي تكون تحقيقاتها مبنية على العلم والمعرفة والتي تتبع طريقة هادئة في الكشف عن عدد هائل من المعلومات الهامة لأمريكا مما يمكن أن يؤثر على سياسات الولايات المتحدة الخارجية والتشريعية. إنَّ تقارير هذه اللجنة تصاغ بشكل واضح وبلغة إنكليزية رفيعة وغير مصنفة بالسرية لكنها لا تجد طريقها إلى الصحافة ولا يطلع الشعب على إنجازاتها العظيمة.

فهل جهلنا ناتج عن تقاعس الصحافة في نشر نتائج أعمال لجنة الكونكرس على صفحاتها الأولى؟. أم ناتج عن أغلاط أعضاء الكونكرس لأنهم نزيهون ومنصفون وعلمانيون ولا يريدون عرض نتائج تحقيقاتهم بشكل مزخرف ومنمق؟. وهل أننا نظهر

اهتماماً بالاستعراضات السياسية فقط فيما أعضاء الكونكرس يحققون النجاح عن طريق الدعاية . إنَّ دوائر أغلب النشاطات الحكومية تحاول غسل دماغ أفراد الشعب الأمريكي لإقناعهم بوجهة نظرها .

خلال زياراتي القليلة إلى واشنطن اجتمعت مع عدد من موظفي المعلومات العامة بعضهم كان من أصدقائي القدامى . وقد سألت كل واحد منهم السؤال نفسه : " ماهو المشروع الذي تعمل به الآن؟ كانت خلاصة أجوبتهم تعبر عما يلي : في القوى الجوية : " إن إدارة الصواريخ يجب أن تتبع القوى الجوية وهي الآن تحت إدارة القوى البحرية ونعمل على وضعها تحت إدارة القوى الجوية " . وفي القوى البحرية : " يجب أن نعمل لإيقاف القوى الجوية من تضليل الرأي العام حول برنامج الإنذار المبكر الذي لاتزيد مدته عن دقيقة واحدة في الولايات المتحدة الأمريكية " . وفي وزارة الخارجية : " نحن في حالة استراحة واسترخاء بانتظار ماقد يحصل عندما يتسلم كنيدي السلطة " . وفي الجيش : " القوى الجوية استحوذت على كامل الاعتمادات المالية والجيش يعاني من قلة المخصصات إننا نريد بعض هذه المخصصات التي يصرفها الطيارون يميناً ويساراً " .

إنَّ المهمات التي يحاول رجال العلاقات العامة الرسمية إنجازها يمكن أن تكون مهمات مشروعة. غير أنهم يستخدمون حيلاً نفسية لإجبارنا على قبول آراء محددة سلفاً. إن الفكرة التي يحاولون فرضها علينا تصاغ في بيانات صحفية مشوهة وخطب مصاغة بمهارة. يتم نشرها في الجرائد والمجلات وبثها في محطات التلفزيون بشكل يكيل المديح ويغيظ الخصوم. إن كل ذلك لايعد دعاية صادقة ونزيهة أبداً. إنهم يعاملوننا كزبائن غير مرغوب فيهم. زبائن يشترون مزيلاً للرائحة أو سيارة خاصة وليس كمواطنين لهم آراؤهم المستقلة التي تحدد مصير الديمقراطية في بلدنا.

لايوجد لدينا أي دليل قاطع على صحة المعلومات العامة التي تأتي من واشنطن دي. سي. فمن وقت لآخر يستخدم بعض المسؤولين الصحافة والشعب معاً لتحقيق أغراض معينة. وقد استخدم وزير الخارجية جون فوستر دالاس ذلك مرات عدة بهدف جس النبض حول سياسة معينة. لقد كان للوزير عدد من المحررين الصحفيين المفضلين وبالاتفاق معهم لاينسبون إليه كل مايقوله لهم. فهو لايسمح بذكر اسمه كمرجع لما ينشر. وتكون النتيجة بأن تذكر الجريدة عن المصدر أن "مسؤولاً كبيراً في واشنطن"

صرح بكذا وكذا " ...

في إحدى المناسبات صرح الوزير دالاس - ولم ينسب ذلك إليه شخصياً - أن الولايات المتحدة الأمريكية قد تدافع عن جزيرتي كيموى وماتسو دعماً لتشينك كاي شيك. وبعد أن نشر الخبر وعرفت ردود فعل الرأي العام أصدر البيت الأبيض بياناً صحفياً ينفي فيه القيام بأي إجراء من هذا النوع. وإذا كان اسم جون فوستر دالاس لم يكن مذكوراً في البيان فمن هو الذي سمح بنشر الخبر وإصدار البيان؟

إن عملية التحايل على الأخبار تسمح بمعرفة ردود الفعل لدى الرأي العام ولكن ذلك يسبب تشويشاً وحيرة لدى أفراد الشعب.

كتب ارثر ام. شليسنكر " في مجلة ريبورتر يشكك فيما إذا كان رجال الصحافة في واشنطن اليوم يثقون بوزير الخارجية لأنهم لايعرفون إذا كان يتحدث إليهم على أنهم محررون صحفيون أو أنه يرمي إلى استغلالهم كوسائل في الحرب النفسية. فما هي مسؤولية رجال الصحافة عندما يكتشفون أن بعض الإشاعات عن السياسة تكون في الواقع حيلاً ووسائل في الحرب النفسية؟. وهل يجب أن ينشروا الحقيقة مع المخاطرة في إمكانية تعطيل خطط وزير الخارجية

وإفشالها؟ أم عليهم أن يكتموا الحقيقة فيخدعوا أنفسهم ويضللوا الشعب الأمريكي؟

إن مثل هذا الأسلوب يستخدمه المسؤولون في واشنطن للتأثير على الشعب من خلال التسريب الخفي للإخبار إلى محرر معين. فقلما يمر يوم لانقرأ فيه خبراً يحتوي على جملة " استناداً إلى مصدر

مطلع جداً " . وهذا يعني أن أحدهم قد سرب الخبر ولايرغب رسمياً أن ينشر بأنه صدر عنه أو صرح به . ويمكن أن يكون هذا الخبر غير منسجم مع سياسات الإدارة الأمريكية أو أنه مصنف تحت عبارة " سري " أو أن يكون انحرافاً صارخاً يخجل المسؤول أن يكون له صلة به . أو أن يكون الخبر مجرد إشاعة مثيرة التقطها مخبر صحفي من قاعة اجتماعات أو أثناء لقاء عام ولم يكن لديه الوقت الكافي ليدقق في صحته . إن التفسيرات الغامضة لجملة " استناداً إلى مصدر مطلع جداً " تشبه إرسال رسالة إلى الشعب دون ذكر المرسل .

لقد مارست الحكومة بدون خجل ولا تزال تمارس حيلاً لجذب انتباه الشعب لحدث معين . وبهذه الصورة يتكون الرأي العام حول هذا الحدث . وغالباً مايقع الشعب في شباك آراء مفروضة عليه سلفاً من قبل

الأشخاص أنفسهم الذين انتخبهم ودعمهم للوصول إلى مراكز المسؤولية . والذين يفترض عليهم أن يعملوا جاهدين في خدمة الشعب وفي تحقيق رغباته وإرادته .

لقد وجهت قيادة القوى الجوية موظفي العلاقات العامة لديها -حسب ماارواه الصحفي مستر دوغلاس كارتر -إلى ضرورة إغراق الشعب بالحقائق والوقائع لأن ذلك مفيد جداً . غير أن ذكر الحقائق الكثيرة يصبح غير مفيد إذا لم يسفر عن نتائج منطقية . فالحقائق يجب أن تكون مقنعة ومدعمة بالأدلة ومثبتة بالبراهين وتعود على عارضها بفوائد عملية .

فهذا هو النوع الوحيد من الحقائق الذي يشكل الرأي العام ويقوي حيوية التفكير الشعبي . لأن القضايا الحاسمة تؤدي في النهاية إلى إجراء تعديل في السياسة العسكرية والتي هي جزء من الأمور الحربية . إنَّ ذلك يجعل من الرأي العام وسيلة قوية تعد أقوى من الحرب نفسها .

لقد عملت القوى الجوية بجد من أجل تحقيق ماكانت تبشر به . فقد نجحت عن طريق الدعاية الماهرة في التأثير على المشرعين لصالحها . فخلال السنة الأولى من الحرب الكورية كانت القوى الجوية الأقل كفاءة وفعالية من جميع أقسام القوى المسلحة

الأمريكية . غير أنها نجحت في الحصول على أنجح دعاية لها في أجهزة الإعلام والصحافة . ومع ذلك كان للدعاية أسلوب واحد يقوم على طمس الأخبار ومراقبة الرأي العام خلال أزمة الشرق الأوسط في عام ١٩٥٨, حتى إن أمريكا لم تقم بأي نقاش حول السياسات الوطنية داخل الكونكرس أو داخل أوساط الشعب . وهذا ماكانت تهدف إليه الإدارة الأمريكية . فمن يتكلم بخلاف ماتريده الإدارة يوجه إليه اللوم من قبل رئيس مجلس الشيوخ ومن قبل الرئيس ايزنهاور نفسه . ويأتي هذا اللوم مع مفهوم ضمني بأن من يطرح أسئلة أو يخالف الرأي الرسمي يقترب من تهمة الخيانة .

ماهي النتيجة لكل هذا ؟ . كلنا سنكون سجناء للدعاية التي تصنعها حكومتنا إلى حد لانعرف فيه حقيقة مايجري . ولكي نعرف يجب أن نستعمل الشعلة المضيئة .

تاسعاً :الصحافة :

من دواعي الأسف أن نقرن الصحافة مع هؤلاء الذين يعملون على تضليل الرأي العام في الولايات المتحدة . ومع أنه من واجب المراسلين الأجانب والمحررين المحليين أن يعترفوا على الملأ بحدوث

المخالفات للقانون وللنظام العام. كما عليهم واجب البحث والنقاش حول مايمكن عمله لتصحيح هذه المخالفات رغم أن أصحاب الجرائد والمجلات وأصحاب دور النشر ينكرون وجود أخطاء في صحافتنا الحرة. ولكن في الواقع يوجد الكثير من الأخطاء وإن أفضل طريقة لتوضيح ذلك عرض بعض الأمثلة :

منذ عدة سنوات خلال أيام حرب الهند الصينية رغب اثنان من المصورين الصحفيين المشهورين في أمريكا تصوير فيلم عن الفيتناميين بهدف مناقشة أوضاع الشيوعية، وقد تعاقدا مع مترجم من السكان المحليين وسافرا إلى منطقة ريفية في شمال سايغون. وأجريا هناك عدة مقابلات ثم قاما بتصوير الفيلم بين عدد من رجال القرية وقادتها المحليين. كانت نتائج الفيلم مؤثرة جداً ومقنعة في طول البلاد وعرضها عندما عرض في التلفزيون الأمريكي.

بدأ الفيلم بمشهد لأحد المصورين الأمريكيين وهو جالسٌ تحت خيمة مع المترجم الفيتنامي ورئيس القرية. فيوجه المصور الأمريكي الأسئلة مثلاً عن أحوال الموسم الزراعي ويقوم المترجم بترديد السؤال في اللغة الفيتنامية في حين ينظر شيخ القرية إلى الأعلى لبضعة

دقائق ثم يجيب بهدوء. فيقوم المترجم بنقلها إلى اللغة الإنكليزية ويكون الجواب كالآتي: إن المحصول في هذا الموسم كان رديئاً جداً والشعب هنا يتذمر ".

وهناك أسئلة أخرى حول مواضيع سياسية وحول شعور الشعب. وفي كل مرة يردد المترجم السؤال ببطء في اللغة الفيتنامية فيما يقوم شيخ القرية بهز رأسه بشكل دائري ويفكر قليلاً ثم يجيب متردداً بما يظهر بأنه لم يتعود على المقابلات مع الصحفيين. ويقول المترجم باللغة الانكليزية مباشرة وبلغة رشيقة إن شيخ القبيلة يقول بأن الأمور في القرية سيئة للغاية والحالة قاسية وهذا يجعل المنطقة بكاملها أرضاً خصبة للدعاية الشيوعية.

كان المترجم ماهراً في توضيح هذا المعنى الحساس. ولهذا عندما عرض الفيلم في واشنطن علّق عدد من المسؤولين في وزارة الخارجية بأن سفارات أمريكا في الخارج محظوظة جداً لتوفر رجال محليين مثقفين يتمتعون بطلاقة اللسان ويتقنون اللغة الإنكليزية مثل هذا المترجم الفيتنامي البارع. لقد استخدم هذا الفيلم الوثائقي لتثقيف الأمريكيين المعينين للعمل في السفارة الأمريكية أو الذين سيوفدون بمهمات إلى فيتنام. وكذلك لإعطاء مثل على كيفية استخدام

مترجم جيد.

بعد عدة أشهر وعن طريق الصدفة شاهد زائر فيتنامي هذا الفيلم وكان متأثراً جداً. فعند نهاية العرض أعلم الحضور أن هذا الفيلم مزور. وأنَّ المترجم لم يقم بترجمة أجوبة شيخ القرية إلى اللغة الإنكليزية بشكل نزيه. فغالباً ماكان يعكس المعنى الذي كان يقصده شيخ القرية. حتى إنه لم يقم في بعض الأحيان في ترجمة نص السؤال إلى شيخ القرية كما قاله الصحفي. بل كان هذا المترجم يهدد باللغة الفيتنامية شيخ القرية بقوله: الآن قل بما أقوله لك أيها الرجل العجوز وإلا ستتعرض للمشاكل، أريدك أن تنظر إلى فوق وتبدو وكأنك تفكر ومن ثم عد إلى العشرة بهدوء فهذا ماهو مطلوب منك. وبعدها قام المترجم بفبركة الإجابة مركزاً على أن الحالة في المنطقة فظيعة لدرجة لاتطاق وأن الشعب في فيتنام أصبح مهيئاً لتقبل الشيوعية.

والسؤال هنا: ماذا ربحنا من ذلك الفيلم في النهاية؟ أولاً ضاع وقت مصورين من خيرة العاملين في الصحافة وأنزههم وأمهرهم لأنهما قاما في تصوير فيلم وثائقي يعرض معلومات كاذبة ومغلوطة وتجشما مشقة السفر عدا عن المصاريف الباهظة التي صرفت للقيام بذلك. لقد عرض هذا الفيلم أمام أعداد كبيرة من

المشاهدين في أمريكا . واعتقد الجميع بما فيهم الخبراء الرسميين بأنه يعكس الحقيقة في فيتنام . وهذا انطباع خاطئ .

إن المعلومات المغلوطة التي أعطيت إلى الأميركيين تم اكتشافها كما ذكرنا عن طريق الصدفة . ولكن إذا افترضنا أن محررين صحفيين ذهبوا إلى فيتنام وقاموا بتسجيل الحدث كتابة بدلاً من تسجيله على شريط سينمائي ناطق وأرسلوا كتاباتهم إلى صحفهم في أمريكا واستخدموا المترجم نفسه ، عندئذ سيقوم رؤساء التحرير بتدبيج المقالات مع المانشيتات العريضة حول الخطوط التالية : "من قرية باهاهو جنوب فيتنام في ١٤ اكتوبر . الفلاحون في هذه القرية الغنية بمزارع الأرز جاهزون ليصبحوا شيوعيين . خلال جولتنا في القرية تحدثنا مع عدد من رجالاتها وقادتها . إنهم يعيشون في هذه الوديان الخضراء التي تشكل مواقع استراتيجية هامة وسمعنا قصصهم ولمسنا عدم الرضى والتذمر في أقوالهم وشاهدنا الفقر الذي يعيشون فيه وسمعنا تهديداتهم وإذا لم يحصل أي تحسن في أحوالهم المعيشية سيطلبون المساعدة من الشيوعيين في الشمال" .

ومن مثل هذه الأخبار تتكون القصة وتقبل

لأنها أتت من شاهد عيان . عندئذ كيف نستطيع أن نعرف الحقيقة . فنحن لانعرف أبداً أن المقابلات مع رجالات القرية كانت تتم من خلال ذلك المترجم . ونحن لانعرف شيئاً عن نزاهة المترجم وطلاقته في الكلام . وسنفترض أن الصحفيين الأمريكيين قد أخذوا كامل الاحتياطات اللازمة من أجل إثبات صحة القصة . ولسوء الحظ ستكون ثقتنا العمياء في الصحافة قد وضعت في غير محلها . صحيح أنه لدينا في أمريكا بعض المراسلين الممتازين المحترفين أمثال "آبي روزنشتال" و "كيس بيتش" و "بيير مارتن" و "روبرت اس . اليكانت" و " ثيلمان دوردن" و "روبرت ترومبول" وجميع هؤلاء حجة في الصحافة وسند لها . إنهم من المختصين الأوائل الذين نثق بهم وبعملهم فجهودهم ، هي التي أوقفت المحررين الأمريكيين من كتابة الأخبار نثق بهم وبعملهم إن جهودهم هي التي أوقفت المحررين الأمريكيين من كتابة الأخبار والتقارير استناداً إلى معلومات غير موثوقة . ومع ذلك وفي كثير من الحالات لايعرف مراسلونا في الخارج ثقافات وتاريخ ولغات وعادات البلدان التي يكتبون عنها . كما لايملكون الوقت لكشف أساليب الدعاية الكاذبة أو للبحث عن خلفية

الأحداث التي يكتبون عنها . فعندما تصل تقاريرهم إلى صحفنا في أمريكا يقوم المحررون في الجريدة بوضع المانشيتات العريضة وفي المحصلة فلا أنا ولا أنت نملك في أمريكا أية وسيلة لندقق على مانقرؤه ولا يمكننا الاعتماد على الحكومة لمساعدتنا في ذلك .

لقد عرضت قصة الفيلم الوثائقي عن فيتنام على مستر جون بروكر أحد مسؤولي وزارة الدفاع في واشنطن . مع شرح ماجرى تماماً من تزوير للحقيقة من قبل المترجم الفيتنامي . فقام بعرضه مع شرح للقصة الحقيقية التي تكشف مايجري من استغلال لجهل الموظفين والصحفيين بلغة البلد الأجنبي الذي يكتبون عنه . كما تم عرض القصة الحقيقية للفيلم على عدد من ضباط الجيش في القوى المسلحة الجوية والبحرية والبرية الذين يعملون في أنحاء مختلفة من بلدان آسيا -والفيلم لم يكن مصنفاً تحت بند " سري " . لذلك حرصت على أن يطلع عليه جميع العاملين في السلك الخارجي لأمريكا في العالم وأن يناقشوه في اجتماعاتهم .

وفي بعض الأحيان يلقي رجال الصحافة اللوم على المسؤولين الحكومين ويتهمونهم بأنهم يحجبون عنهم المعلومات الضرورية لعملهم . وغالباً ماتكون

هذه الاتهامات في محلها .

كنت أعمل لعدة سنوات مساعداً خاصاً للقائد العام في الباسيفيك . وقد عاصرت ثلاثة من كبار الأدميرالات الديناميكيين وهم على التوالي الأدميرال رافورد وفليكس ب ستونب وفيليت . والقائد العام للباسيفيك هو رئيس جميع العمليات العسكرية الأمريكية في الساحل الغربي لشمال وجنوب أمريكا إلى الباسيفيك وآسيا حتى باكستان . إنّ هذه القيادة مسؤولة عن أمم يشكل سكانها نصف مجموع سكان العالم . وإن كثيراً من الأخبار الهامة لأمريكا تأتي من هذه المنطقة لأنها تشمل بلاداً مثل الصين الشيوعية وفورموزا والفيلبين وكوريا واليابان ولاووس وكمبوديا وجنوب فيتنام وأندونيسيا . ولهذا فأغلب رجال الصحافة الذين يزورون هذه البلدان ، يسافرون عن طريق هاواي ويزورون القائد العام الذي يتخذ من برل هاربر مقراً رئيسياً له . وقبل لقائهم مع الأدميرال كانوا يمرون على مكتبي لأقدم لهم النصح والمشورة حول أخبار الجرائد المحلية ومقالات المجلات والكتب الصادرة في تلك المنطقة . وهذه المواد كانت تزودهم بالمعلومات الأساسية عن الأحداث التي تحصل في الشرق الأدنى . ومع ذلك فإن ٨٠٪ منهم تقريباً

يغـادرون برل هاربر بدون أن يطلعـوا أو يقـرؤوا المواد الإعلامية التي قدمت إليهم. ولهذا لايملكون المعرفة الكافية ليوجهوا إلى الأدميرال أسئلة ذكية ذات معنى مفيد. فهم يطرحون استفسارات عامة مثل "سيدي الأدميرال متى برأيك يقوم الشيوعيون بغزو فورموزا؟ سيدي إنني أرغب في كتابة شيء جديد غير مألوف هل يمكنكم إعطائي بعض النوادر أو القصص الطريفة عن هذه المنطقة خلال مدة قيادتكم؟. هل سنستخدم القنبلة الهيدروجينية ضد الصين إذا هوجمت قواعدنا في الباسيفيك من قبل الشيوعيين؟.

وقد كان الأدميرال عندما يسمع مثل هذه الأسئلة السخيفة ينهي المقابلة بأسرع مايمكن. حتى ولو رغب في الإجابة عليها فإنه كان يدرك أن النقاش حولها بأسلوب ذكي مع أفراد غير مطلعين أمر صعب ولا يجدي نفعاً.

أما الباقي منهم (٢٠٪ تقريباً) أمثال "ترنبولز" وبتشنر " و "دوردنز" ومارتن وغيرهم من الذين يقرؤون المواد التي تقدم إليهم كانوا عندما يقابلون الأدميرال يقولون له بين الحين والآخر أموراً لايعرفها. وبعد خمس أو عشر دقائق يدرك الأدميرال أنه أمام أشخاص يستطيع أن يجري محادثة عقلانية معهم

بشكل منطقي ومفيد دون أن يخشى أن ينسب إليه مايقول. وبالنتيجة يمنحهم ساعة أو ساعتين من وقته وهو يناقشهم بعقلانية وموضوعية وغالباً ماينهي المقابلة بدعوتهم لتناول الغذاء أو العشاء معه.

لقد رأيت هذا النمط من الصحفيين في جميع أنحاء العالم. والذين يمثلون الخبراء القادرين على أن يتعاملوا بجدية مع المعلومات الهامة عندما تتوفر لهم. ولكن هؤلاء قلائل جداً. ولم يكن صدفة أن يكون كييس بيتش المراسل الوحيد لجريدة "ديلي نيوز" في شيكاغو الذي نبهنا على احتمال الثورة في كوريا. لقد قام بعمله كمراسل صحفي بجد ونزاهة وبذل جهداً كبيراً في قراءة العديد من الجرائد الكورية، ودقق وحلل محتوياتها ومعانيها وذهب إلى سيؤول وأجرى مقابلات صحفية مع عدد كبير من الكوريين فتعرّف على الواقع السياسي جيداً واستطاع أن يعطي آراء وتقديرات وتوقعات صحيحة.

كما لم يكن بمحض المصادفة أن يكون بوب اليكانت مراسل نيوزويك لشؤون الشرق الأدنى أول من أتى بخبر عن قصة المجمعات الشيوعية في الصين. لقد قضى سنوات يتعلم اللغة الصينية حتى أتقنها قراءة وكتابة وأمضى شهوراً عديدة يقرأ الجرائد والمجلات

الصينية ويستمع إلى المهاجرين من الصين. وعندما تلقى إشارات مهمة عرف كيف يضع القطع الصغيرة مع بعضها البعض ليستخرج الصورة الصحيحة. ولكن ماذا عن المئات من المراسلين الآخرين الأقل أهمية الذين يزودون الملفات يومياً بالأخبار من مختلف أنحاء العالم؟. إننا نتلقى عن طريقهم خليطاً غير منظم من الآراء والأخبار والنشرات المشوشة والمكتوبة بأسلوب رديء.

أليس من المستغرب أن تكون الأخبار عن الأوضاع الخارجية أقل المواد التي تقرأ في الجرائد الامريكية؟. إن الجريدة العادية تخصص عادة من ٤ إلى ٥ ٪ من مساحتها فقط لأخبار الشؤون الخارجية. وهذا يدل بأن القراء يخصصون ثلاث دقائق تقريباً لتصفح الأحداث العالمية. ومع ذلك توجد مناسبات شتى تفشل فيها الحكومة بشكل مخجل في مساعدة الصحافة. وبذلك تساهم في إعطائنا الصورة المغلوطة عن الأحداث.

في خلال عام ١٩٥٥ نشرت الجرائد قصة مثيرة عن مهاجمة الصين الشيوعية لجزيرة ماتسو. وإن أسطولاً من السفن الشراعية الحربية حاولت الاستيلاء على الجزيرة. وخلال ليلة كاملة من القتال استطاع المدافعون الوطنيون أن يطردوا الأعداء ويردوهم على أعقابهم.

فخسر الشيوعيون المهاجمون في تلك المعارك عدداً كبيراً من السفن والرجال .

في تلك الأثناء تقريباً سافرت إلى " تيباي " وعند وصولي التقيت بحشد من المراسلين الصحفيين الأمريكيين الغاضبين وقد كنت وقتها في سلاح البحرية . قالوا لي إنهم تلقوا قصة المعركة البحرية من وزارة الدفاع في الصين الوطنية (فورموزا) في مؤتمر صحفي . رغم أن الحدث كان هاماً فلم تسمح السلطات الوطنية للمراسلين الأجانب بالذهاب إلى جزيرة ماتسو ليشاهدوا بأم أعينهم المعارك هناك . كما ذكروا لي أن مسؤول العلاقات العامة في وزارة الدفاع أخبرهم أن الوزارة ستعلم رجال الصحافة بشكل مستمر عما يجري هناك .

لقد طلب مني هؤلاء الصحفيون أن أقنع الأدميرال في التوسط لدى سلطات الصين الوطنية للسماح لهم بزيارة جزيرة ماتسو . فقلت لهم إنَّ هذا ليس من اختصاصات الأدميرال لأن المسؤول الأعلى في هذا الشأن هو السفير الأمريكي في فورموزا . فقال أحدهم : " إننا لانستطيع أن نحصل على أي شيء من هذا الرجل السيء " . وقد علمت أنهم راجعوا السفارة وطلبوا من السفير مساعدتهم في الحصول على إذن

السلطات الوطنية في زيارة الجزيرة كما استفسروا عما إذا كانت قصة المعركة صحيحة أم لا ولكن بدون جدوى. لأن السفارة أجابت بكلمة واحدة "بدون تعليق". كما أنها صرحت للصحافة أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لاتتدخل في الشؤون الداخلية لدولة مستقلة. وإن حكومة الصين الوطنية لها الحق بأن تصدر البيانات الصحفية حول أي موضوع ترغب فيه.

لقد كان المراسلون الصحفيون الأمريكيون في موقف صعب جداً. فإذا كانت قصة جزيرة ماتسو والتصريحات الرسمية صحيحة ومعتمدة فعليهم أن يخبروا جرائدهم لكي لايفقدوا قصة هامة يحاسبون عليها. ولهذا -وبدون أي توثيق -أرسلوا تقاريراً عن المعركة إلى ٢٠٠٠ جريدة أمريكية. وضمنوا النص عبارة "استناداً إلى ناطق رسمي وطني... اندلعت المعركة بين الصين الشيوعية والصين الوطنية". وعندما نشرت الجرائد الأمريكية الخبر وقرأه الملايين من الشعب لم يلاحظوا عبارة "استناداً إلى ناطق رسمي وطني" لأن المنشيتات والعناوين الصارخة أخذت كامل انتباههم. كما أن الجرائد لم تشر إلى أن الخبر لم يكن موثقاً وأنه لم يسمح للمراسلين الصحفيين بالذهاب

إلى أرض المعركة أن السفارة الأمريكية وحكومة فورموزا رفضتا تقديم العون إليهم.

لقد رافقني الحظ واستطعت الذهاب إلى جزيرة ماتسو، وأنا هناك سألت عدداً من المراقبين في الجيش الأمريكي عن محاولة الاجتياح الشيوعي للجزيرة. وشعرت بأنهم لم يسمعوا بذلك قط. وأخيراً تذكر أحدهم بأنه حدث منذ عدة أيام أن تاه أحد الصيادين من الصين الشيوعية ليلاً في البحر وبالصدفة دخل مركبه (سمبوكه) منطقة عسكرية. فعندما رآه أحد الحرس أطلق عدة طلقات نارية تحذيرية من عيار ٢٠ ميليمتراً على مقدمة المركب. فجذف الصياد مركبه هارباً في البحر الواسع المفتوح. هذا كل شيء حول تلك المعركة البحرية الكبيرة. التي قرأنا عنها في الجرائد الامريكية. ثمة أسئلة تطرح نفسها: هل تتحمل الحكومة أية مسؤولية في عملية تنوير الشعب الأمريكي حول قصة اجتياح جزيرة ماتسو؟ هل حكومة الولايات المتحدة ملتزمة ومخلصة إلى دولة أجنبية أم إلى المواطنين الأمريكيين؟ هل تملك حكومتنا حق تضليلنا باسم البروتوكول الدولي؟ وهل لدى الصحافة التزام في بذل الجهد من أجل التأثير على القارئ من خلال الأخبار المبنية على معلومات غير موثوقة ومغلوطة

أحياناً وتقديمها على أنها حقائق ثابتة؟ . وهل الصحافة مجبرة على وضع مانشيتات عريضة توهم القارئ بأنها قصة حقيقية معتمدة؟ .

إن مثل هذه التقارير غير الموثوقة وتلك الممارسات الضعيفة حصلت مراراً في فورموزا وكوريا ولاووس . ومن الممكن جداً أن تحصل بشكل مماثل في أنحاء أخرى من الكرة الأرضية .

لقد وصلت إلى اسوشيتت برس عشية هروب باتستا من هافانا أخبار من مراسليها تقول إن الثوار الذين يهددون العاصمة تفرقوا واختفوا تحت وابل من رصاص قوات الحرس الحكومي . وإن القوات العسكرية الحكومية تلاحق فلول الثوار المنسحبين من حول سانتا كلارا باتجاه الشرق نحو مقاطعة لاان فيللس . وفي الواقع كان باتستا يستعد للهرب لشعوره بالنهاية وليقينه أن كاسترو قد انتصر عليه .

ليس من المستغرب أن ترتكب اسوشيتت برس هذه الغلطة . لأن الروح العامة للأخبار عن كوبا خلال السنوات الست الماضية كانت قليلة ولا تفي بالغرض . ولهذا كان أفراد الشعب الأمريكي ، والحكومة الأمريكية أيضاً يعيشون في جهل مطبق ولا يعرفون حقيقة دكتاتورية باتستا وظلمه ولا معاناة الشعب

الكوبي من وحشية نظامه الاستبدادي وقساوته. وإني على يقين بأنه لو كان الشعب والحكومة يعلمون بذلك لكان الرأي العام الغاضب قد طالب بإيقاف المساعدات الأمريكية المادية والمعنوية التي تذهب في السر وفي العلن إلى باتستا وتدعم نظامه.

والتفسير الوحيد الذي يمكنني تقديمه لحالة التضليل التي عشناها عن طريق الصحافة القاصرة هو أن جميع وسائل الإعلام في كوبا كانت تدار من قبل حكومة باتستا وتحت إمرته لذلك كانوا يبررون أعماله وممارساته ويكيلون له المديح ويزوّرون الأخبار، في حين كان مراسلونا ينقلون عنهم ويسممون أفكارنا بأخبار ملفقة وكاذبة، فهي بالنسبة إليهم المصادر التي يعتمدون عليها. واليوم نسمع عن الفساد والرشاوى والممارسات الدكتاتورية والاستبدادية التي عاشها الشعب الكوبي في عهد باتستا وبدعم من حكومتنا. كما نسمع ذلك من مصادر أخرى من دول أمريكا اللاتينية ومن غيرها من دول البحر الكاريبي أن الشيوعيين استغلوا هذه الظروف البشعة التي لم تتكون بين عشية وضحاها. بل تكونت وتراكمت خلال سنوات حكم باتستا ونحن في غفلة عنها. فلماذا لم نسمع عن ذلك قبل وقوع الكارثة؟.

وفي كثير من الأحيان يلحق بالجرائد الأمريكية الفساد من قبل حكومة أجنبية مثلاً . فقد تلقت " ريدرز دايجست " مقالاً عن فورموزا من مراسل مشهور جداً كانت قد أرسلته المجلة على حسابها إلى فورموزا . فأرسل المقال إلي للتدقيق . فوجدته مليئاً بالأخطاء والدجل . ولم أفهم كيف يمكن لصحفي مشهور من ذوي الخبرة الواسعة أن يرتكب مثل هذه الحماقات الواضحة . وأكثر من ذلك لقد استغربت أن تقوم مجلة رزينة مثل " ريدرز دايجست " بإرسال هذا المراسل إلى فورموزا . لأنه لم يكن لديه أي خلفية أو خبرة عن تلك المنطقة من العالم . ومن باب الفضول قمت بالبحث لأعرف كيف ارتكب هذا المحرر هذه الأخطاء وقدم تقريراً بعيداً عن الحقيقة والواقع . فاكتشفت مايلي :

إن أحد رجال العلاقات العامة في حكومة تشينك كاي شيك أوفد إلى نيويورك للبحث عن محرر صحفي مشهور يتمكن من الحصول على عقد من إحدى المجلات للكتابة عن فورموزا . فاتصل بذاك المحرر وعرض عليه أن يدفع له مبلغاً من المال يغطي كامل مصاريف رحلته وإقامته شريطة على أن يتعاون معه في كتابة المقال . وكان أن حصل ذلك المحرر " المشهور " على عقد مع مجلة ريدرز دايجست .

فذهب على الفور إلى "تيباي" واستقبل هناك من قبل صاحبه فيما كانت وزارة الإعلام تمده بالمعلومات والوثائق والمترجمين وتغمره بالكرم وتضع تحت تصرفه جميع التسهيلات. ولقد جهز هذا المحرر مقاله عن فورموزا حسب رغبة حكومة تشينك كاي شيك وإرادتها.

إن ذلك يدل أيضاً على أن المساعدات المالية الأمريكية المقدمة إلى الصين الوطنية وحكومة تشينك كاي شيك باسم مساعدات للدفاع عن الجزيرة كان يصرف قسم منها على الدعاية. وإن هذا المحرر "المشهور" كونه تلقى بما يعادل عدة آلاف من الدولارات من حكومة أجنبية يجب أن يعامل في واشنطن على أنه عميل لدولة أجنبية وليس كمحرر صحفي. ومن حسن الحظ كانت إدارة مجلة ريدرز دايجست حريصة بما فيه الكفاية لترسل لي القصة للتدقيق. وكانت النتيجة عدم نشر المقال.

ولكن ماذا عن مراسلين صحفيين أمريكيين آخرين قاموا في أوقات أخرى وحصلوا على أموال من حكومة الصين الوطنية لقاء كتابة قصص ومقالات مشابهة أرسلوها لصحف ومجلات أمريكية ولم يكتشف أمرهم؟

والصين الوطنية لم تكن الدولة الوحيدة التي قدمت رشاوى لكتاب وصحفيين أمريكيين. كان ذلك معروفاً. إذ أن رحلات الصحفيين على نفقة الغير كانت تستخدم عند الحاجة للدعاية والإعلان. مثلاً: نظمت الحكومة البلجيكية منذ بضع سنوات رحلة إلى الكونغو لعدد من الكتاب والصحفيين. وقد كانت النتيجة سيلاً من المقالات في مديح بلجيكا لعملها على تدريب الإدارة وتطويرها في الكونغو. كيف تنسجم هذه الروايات مع الأحداث التي جرت في الكونغو في عام ١٩٦٠؟. هناك عدد قليل من الدول الأجنبية لا تقدم رحلات مجانية للصحفيين من أجل الحصول على الدعاية المناسبة. إن أغلبية محررينا وكتابنا رجال نزيهون وشرفاء ولكن عندما تنقلهم دولة أو مؤسسة أجنبية بالطائرة وتعاملهم ككبار الزوار تكون النتيجة بأن بعض الدعاية تظهر على صفحات الصحف الأمريكية. ولا سيما إذا كانوا من الأشخاص البسطاء الذين لايستطيعون تحمل مصاريف رحلة ترفيهية مكلفة. ولهذه الأسباب لاتشجع دور النشر الممتازة موظفيها وكتابها في قبول رحلات مجانية على نفقة الغير. وإذا كانت أخبار منطقة ما هامة فإنَّ شركات الطيران تعد رحلات منتظمة تكون تغطية مصاريفها من

قبل دور النشر وحدها .

أحياناً وبدافع من الشعور الوطني لاتخبرنا وسائل الإعلام عما يجري . ففي بداية الحرب الكورية كانت القوات الأمريكية العسكرية في متاهات من التشويش . وكانت ممارسات فرق الجيش وطائرات القوى الجوية خلال الأشهر الأولى من الحرب محجوبة عن النقاش . فبعد عملية برل هاربر قدم قادة الجيش وقادة القوى الجوية إلى محكمة عسكرية لأنهم لم يكونوا يقظين ولم يأخذوا الاحتياطات اللازمة ضد أي هجوم مفاجئ . وبما أن قوات الجيش والطيارين كانوا على قدر عال من التدريب والجاهزية فقد قاموا بواجبهم بمهارة وكفاءة بعد تلك الضربة . وفي كوريا لم تكن قوات الجيش الأمريكي مدربة بشكل جيد لهذا كان أداؤهم ضعيفاً وعتادهم في حالة سيئة لدرجة كانت تستوجب برأيي إحالة الجنرالات إلى المحكمة العسكرية .

كلنا يعلم بأن القوى العسكرية لاتصرح من تلقاء نفسها عن حدوث مثل هذه الفضائح . ومع ذلك فإن الصحفيين الأمريكيين الذين شاهدوا كل شيء لم يخبرونا بشيء البتة . وفي تقديرهم أن الحالة ستكون سيئة بالنسبة للولايات المتحدة فيما إذا انفضح أمر ضعف التدريب، ونقص الأسلحة وفقدان الدعم الجوي

للجيش على الأرض والفوضى المتفشية في المؤسسات المدنية. لقد كان النقاش محتدماً حول ما إذا كان يحق للصحافة أن تحجب المعلومات التي لم تكن خافية على أعدائنا من الشيوعيين.

لقد كان عيبنا أننا كنا مصابين في شلل معلوماتي خلال الجزء الأول من الحرب الكورية، حتى إن الجنرال ماك آرثي لم يكن لديه رجال مخابرات كافية. والأمثلة على ذلك كثيرة منها: في إحدى المرات حاولت المخابرات البحرية أن تخبر الجنرال ماك آرثي بأن الصينيين سيهاجمون القوات الأمريكيةمن شمال "بالو" وأن الجيوش الشيوعية في حالة استنفار في تلك المنطقة. لكن أعضاء أركانه لم يصدقوا ذلك حتى وقعت الكارثة. ففي ٢٦ اكتوبر أكدت الفرقة السادسة الكورية الأخبار بأن الجيوش الصينية الشيوعية تهاجم من جهة نهر بالو. فلم تصدق قيادة ماك آرثي هذه الأخبار. وفي ٢٧ و ٢٨ اكتوبر هاجم الصينيون أربع فرق كورية أخرى ثم انقضوا على الجيش الأمريكي المتواجد هناك. ولم يعرف ماك آرثي أن الصين قد دخلت الحرب لصالح الشيوعيين إلا بعد مضي أسبوعين تقريباً. كان الشعب في الصين وروسيا يعرفون أولاً بأول ماكان يجري في المنطقة. أما الشعب

الأمريكي فكان لايعرف عنها شيئاً. لقد حُرم من المعلومات عن المعارك من قبل الحكومة والصحافة الذين كلاهما كانا على علم بالحقيقة.

ماذا جرى للسلطة الرابعة؟. هل علينا أن نقبل تصريحات رئيس مصلحة الاتصالات السلكية بأنه بسبب أن المشتركين لديه لايرغبون في سماع الأخبار الأجنبية فإن مصلحته لاتقوم بتغطيتها إعلامياً وإعطاء التقارير عنها؟. وهل إننا مجبرون على أن نوافق رئيس تحرير الجريدة في قوله بأنه لايخصص مساحات في جريدته للأخبار الأجنبية لأن القراء يفضلون الأخبار الهزلية المسليّة؟

والسؤال الهام الذي يطرح نفسه بعدما تقدم هل أصبح أساس مفهوم الصحافة عندنا مهنة أم صناعة؟

الفصل الثالث

ما العمـــــل؟

عاشراً — على المستوى الوطني:

إن فشلنا الكبير على نطاق الوطن عامة يعود إلى عدم توفر المعلومات الصحيحة لدى المسؤولين الرسميين بما فيهم الرئيس ووزيري الخارجية والدفاع وأعضاء الكونكرس فهم جميعاً يتخذون قراراتهم من وقت لآخر بناءً على معلومات خاطئة. حتى صار المواطنون يتأثرون بالإشاعات والدعايات التي تكون غالباً ممزوجة بأوحال التصريحات الرسمية وما تنشره الصحافة.

ويتطلب هذا الواقع السيء مايلي :

١ - اقتراحات محددة لمساعدة المسؤولين والمواطنين ليصبحوا أكثر علماً حول نضال العالم من أجل البقاء.

٢- اتخاذ بعض الأساليب والطرق لتحسين عملية تدفق الأخبار الصحيحة سواء كانت حسنة أم سيئة وذلك كي يطلع الرأي العام في أمريكا على الحقائق الواضحة وليس على الدعاية والإشاعات والكلام الفارغ.

٣- إعداد خطة عمل لتحرك المواطنين في المستقبل الذين يرغبون في المساهمة في التحكم في إدارة بلادهم

سـواء من داخل منازلهـم ومكاتبـهم أو من مـعـاملهم وحقولهم .

إن أهم إجـراء خـاص يقـوم به رئيس الولايات المتحدة المبادرة إلى وضع برنامج يؤمن جميع المعلومات الدقيقة والصحيحة عن البلدان الأجنبية وجعلها في متناول عـامة الشعب . في الآونة الأخيـرة شكك عدد كـبـيـر من أعـضـاء الكونكرس وبشكل علني في المعلومـات التي تصل إليـهم من وزارة الخـارجـيـة الأمريكية ومن هيئة الاستخبارات المركزية ضقش ومن وزارة الدفـاع . كـمـا أن سـجـلات الكونكرس مليـئة بعبارات الشك في المعلومات التي تصل إليه من السلطة التنفيذية .

ويبدو وجود تخوف وحرص من قبل جميع فروع الأجـهـزة التنفيـذية في عـمليـة إعطاء المعلومـات لأي إنسان ماعدا تقارير النجاحات التي تدعي أنها تحققت . فـهـذه هي فلسـفـة نشـر المعلومـات التي يمكـن أن تكون الأفضل والتي عبر عنها الأدميرال " ارنست كينغ " في تصريح نسب إليه خلال الحرب العـالمية الثانيـة عندما سـئل عن حـدود التـفـاصـيل التي يمكن أن توضـع في تقـارير عن المعـارك لاطلاع عامة الشعب عليها قال : " لاتذكروا لهم أي شيء . عندما تنتهي المعركة قولوا فقط

بأننا انتصرنا " .

وعلى سبيل المثال، فقد جرت العادة أن ترسل الولايات المتحدة فريقاً لبلدان ماوراء البحار لتقييم عملية تطبيق السياسة الخارجية والمساعدات الأمريكية . فإذا وجد الفريق أن هناك فشلاً وتقصيراً يذكر في تقريره الأسباب التي أدت إلى ذلك .

ومع ذلك فإن تقارير التقييم تصنف "سرية" ولا يستطيع حتى الكونكرس الاطلاع عليها خاصة إذا تضمنت معلومات عن إخفاقات وأخطار وحالات فشل .

في الواقع يجب بشكل أو بآخر أن تكون هذه التقارير في متناول الكونكرس وإلا كيف يمكن للكونكرس أن يسن قوانين واعية ويقرر تخصيص الأموال للعمليات الخارجية إذا حجبت عنه المعلومات ذات الصلة بالموضوع من قبل السلطة التنفيذية ؟ .

لقد أعلن الرئيس كيندي بأنه سيصدر كل عام عدداً من التقارير تبين حال الأمة للمواطنين وقد كان من المفيد بأن ينفذ ماأعلن عنه ويضمن هذه التقارير بصراحة الأخبار الحسنة والسيئة معاً . لأن المواطنين لايستطيعون المشاركة الشعبية إذا كانوا يجهلون مشاكل

الأمة الوطنية. وعلى الرئيس أن يثق بأن رعايا الأمة يتحلون بالحكمة والنظرة العملية والروح الوطنية ويجب أن لايشعر بالحرج أو الخجل من ذكر الحقائق حول العثرات والاخفاقات والخسائر وسيجد تجاوباً وتعاطفاً بقوة وذكاء وفهماً وطنياً عميقاً.

آ- فريق من الخبراء الدوليين الدائمين:

من المشاكل الهامة الأخرى التي تواجه الرئيس هي تبديل مسؤولي الحكومة الهواة بمسؤولين محترفين. لأن المعلومات الصحيحة والقرارات الدقيقة يجب أن تصدر عن موظفين مدربين جيداً. فيجب أن تزود الولايات المتحدة سفاراتها في كل بلد في العالم بالمختصين الدوليين شريطة أن يكونوا ملمين بثقافات ولغات ذلك البلد وبأحواله الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية أيضاً. وأن يكونوا على معرفة كافية بكل المجموعات الإثنية والقبلية كما يجب أن يكونوا قادرين على التنبؤ بردود فعل وتجاوب هذه المجموعات تجاه مختلف أنواع الضغوط المادية والفكرية والسياسية. بالإضافة إلى معرفتهم أنماط الشعور والتفكير لكل طبقة من طبقات المجتمع وأن تكون لديهم المهارة والقدرة على التفاوض بثقة ونجاح سواء في الخيمة أو في الغابة أو في القصور العالية.

في الواقع لايوجد لدى الولايات المتحدة الأمريكية الآن عدداً كبيراً من هؤلاء المحترفين. لهذا يجب أن نعمل على تدريب الموظفين وتأهيلهم لهذه المهمات. وبعد تدريبهم سوف يشكلون نواة قوية للسلاح الأساسي في حرب الدعاية السياسية والاقتصادية. ويجب علينا تكوين هذا السلاح من العدم تقريباً، بنفس القوة التي أوجدنا فيها أول قنبلة ذرية في العالم. يجب أن نبدأ بالشباب والشابات الذين يتحلون بالقوة والعزم والمرونة والشجاعة.

لدينا في هذه اللحظة الحاسمة من تاريخنا خططاً فعّالة من أجل الحصول على مستويات عليا من الموظفين ولكن في القوى العسكرية. وفي القوى البحرية فقط لأن كليهما لديه برنامج ناجح جداً للحصول على الضباط وبرنامج يتكفل بجزء من مصاريف التعليم الجامعي لعدد من الشباب المؤهلين. بالمقابل يوافق هؤلاء الشباب أن يشمل برنامج تعليمهم الجامعي حداً أدنى من المقررات المخصصة لتدريبهم على الخدمات البحرية. كما يتعهدون بالالتحاق بالقوى البحرية بعد تخرجهم من الجامعة وبالخدمة فيها لمدة ثلاث سنوات على الأقل. وبعد هذه المدة يكون لهم حق الخيار في البقاء في القوى البحرية بصفة دائمة

أو العودة إلى الحياة المدنية .

ويمكن أن يطبق نظام مـــشـــابه من أجل تطوير المختصين في السلك الخارجي . على أن يتم انتقاء المرشحين لهذا البرنامج من طلاب المرحلة النهائية من الدراسة الثانوية الذين يتميزون باستعداد طبيعي وقابلية جسدية وذهنية عالية . على أن يكون سجلهم المدرسي مناسباً ويفي بالمتطلبات الخاصة في البرنامج - (إن هذا البرنامج له جاذبية قوية وفوائد علمية لدى النخبة من الشباب لما سيحصلون عليه من مكاسب) . بعد عملية الانتقاء تتعهد الحكومة الفيدرالية بتسديد تكاليف دراسة المرشح لمدة سنتين في الجامعة . ويطلب من هؤلاء المرشحين أن يضيفوا إلى برنامجهم الدراسي عدداً من المقررات الخاصة التي تتعلق بعملهم الحكومي في المستقبل . كما يسمح للطالب أن يختار الدولة التي يرغب في العمل بها . والجامعة أيضاً ولكن ضمن حدود معينة على أن تتضمن برامج الدراسة معلومات عن أحوال البلدان التي سيلتحق الطالب للعمل فيها بعد التخرج . وخلال العطلة الصيفية يرسل الطالب برحلة إلى الدولة التي اختارها لمدة ستة أسابيع للتعرف على أهلها ومناخها وعاداتها . وتكون رتبته وتعويضاته أثناء تلك الزيارة متساوية مع رتبة مرشح أول بحري في

الأكاديمية البحرية. وبعد التخرج يتبع المتخصصون لمدة ستة أشهر أخرى دورة تدريبية عملية مكثفة في خارج الولايات المتحدة الأمريكية لتقوية معرفتهم بلغة الدولة التي سيعملون فيها وعاداتها ومستوى الحياة فيها. وبعد أن يكتمل التدريب يعين كل منهم في سفارة الولايات المتحدة تلك الدولة التي اختص بها أثناء الدراسة والتدريب ويلتزم بأن يخدم فيها لمدة ثلاث سنوات على الأقل. ويكون المتخصص تحت تصرف السفير فيعمل مترجماً أو مراقباً لتنفيذ لمشروع تموله الحكومة الأمريكية أو أي عمل من جملة الأعمال الكثيرة التي تحتاجها السفارة في تلك الدولة. ويمكن أن تعد مدة السنوات الثلاث التي يقضيها المتخصص في جولته التدريبية بمثابة خدمة عسكرية.

وبعد انتهاء الثلاث سنوات يمكن للمتخصص أن يستقيل ويعود إلى الوطن. (بالطبع يرغب بأن يكون عضواً في الجيش الاحتياطي الأمريكي لما وراء البحار أو أينما يكون هذا الجيش). ومع الزمن يمكن أن يستدعى عند الضرورة للخدمة كما هو الحال في استدعاء القوات الاحتياطية.

كما يمكن من وقت لآخر وبناءً على رغبة المتخصص المستقيل أن يسافر إلى بلدان ماوراء البحار

لمدة شهر على نفقة الحكومة مرة كل سنتين وذلك كي يحتفظ بقدراته ومهاراته اللغوية ويجدد معرفته بأحوال تلك البلدان . كما يمكنه أن يجعل من الوظيفة الحكومية مهنته ومسلكه المعاشي . ويمنح بالإضافة إلى رواتبه علاوة خاصة لقاء مهاراته الاضافية في اللغة الأجنبية وفي الشؤون الخارجية . فإذا وافق ١٠٪ من هؤلاء الشباب على ذلك ستحصل حكومة الولايات المتحدة قبل مرور عدة سنوات على متخصصين مؤهلين في جميع أقسام الحكومة بما يساهم في إعداد خبراء في الشؤون الخارجية .

أما ٩٠٪ من الذين يتركون الخدمة العسكرية ويعودون إلى الحياة المدنية فلا يشكلون خسارة للوطن . لأن الأموال التي صرفت على تدريبهم قد وظفت في مكانها الصحيح . ولأن معرفتهم في الشؤون الدولية ستحسن من أداء أعمال الولايات المتحدة الامريكية لأن هؤلاء الشباب سينخرطون في العمل في الصناعة والتجارة والصحافة والجامعات . وستصبح أعمالنا الدولية أو مراسلينا في الخارج ومدارسنا بصورة تدريجية أكثر كفاءة ومعرفة وبذلك سيتحسن المستوى العام لأداء الولايات المتحدة الأمريكيةفي الخارج .

ب- استخدام القوى البشرية والمهارات الضائعة :

إن عدداً كبيراً من الشباب الذين يستدعون للخدمة العسكرية الإلزامية يُرفضون على أساس عدم اللياقة الجسدية. وهكذا تصبح مهمة الدفاع عن الولايات المتحدة ملقاة على عاتق الأقلية الذين يتمتعون بصحة جيدة. وأحياناً تصل نسبة الذين لايقبلون في الخدمة إلى ٧٠٪ وهي نسبة مرتفعة في أقوى الأمم على وجه الأرض كما نقول عن أنفسنا نحن الأمريكيون، ونظراً لأننا تحت خطر التعرض إلى حرب غير قتالية - الحرب الباردة - والتي لاتقل ضراوة وخطورة عن المعارك فإنه يمكن أن يستخدم فيها المرفوضون جسدياً بشكل مجدي ونافع.

توجد مئات من المهمات والأعمال في سفارات الولايات المتحدة في جميع أنحاء العالم بعضها ينفذ بشكل سيء وبعضها لاينفذ أبداً. ويقوم ببعض هذه الأعمال حالياً مستخدمون بالتعاقد. (مصدر دائم للفساد والابتزاز) وبعضها الآخر ينفذ من قبل موظفين مدنيين مدللين ومن ذوي الأجور العالية والطلبات الكثيرة من سيارات ومخازن للتموين وكافتيريات ومراكز بريد وبنوك ووسائط نقل من الدرجة الأولى ومستوى حياة اجتماعية أعلى بكثير من تلك التي يتمتعون بها في مراكز عملهم العادية. إن أعمالاً كثيرة

لاحصر لها يقوم بها أجانب أغلبهم يحتلون مراكز حساسة يصعب حمايتها من المخاطر .

إنَّ المبررات التي تعطى بشكل عام لاستخدام الأجانب في السفارات الأمريكية في الخارج أو استخدام موظفين مدنيين أمريكيين مدللين أو التعاقد مع أشخاص استغلاليين لشن الحرب الباردة هي حجة : " ماذا بإمكاننا أن نفعل غير ذلك " ؟ . فإذا لم نستخدم مثل هذه الطرق لايمكننا أن تنجز أي عمل على الإطلاق .

لقد وافق الكونكرس على طلب جامعة كولورادو بدراسة مشكلة هدر القوة البشرية للشباب . في الوقت الحاضر إن ماسنذكره هو اقتراحات حول بعض الأمور التي يجب أن نبذل جهودنا لإيجاد حلول لها . ويمكننا الاعتماد في ذلك على الملايين من الشباب الذين يستدعون للخدمة العسكرية الإلزامية بما فيهم الذين لم ينجحوا في فحوص اللياقة الجسدية . إن الذين لايصلحون للقتال في المعارك هم مدينون للأمة بالتضحية نفسها التي يقدمها سليمو الأجسام الأشداء . تعالوا ننتخب من المجموع الكلي للشباب الذين تناسب مؤهلاتهم الطبيعية مع الحاجات التي يمكن أن نطلق عليها اسم " جيش الخدمات الاستراتيجية للولايات

المتحدة الأمريكية " . وهذه الخدمات مساوية للخدمة العسكرية من حيث التدريب والأنظمة والقوانين والمعاشات والتعويضات ومدة الخدمة . والفرق الرئيسي بينهما يكمن في تحديد المهمات والمسؤوليات . فالذين يؤدون الخدمة العسكرية يتدربون على الاستعداد للقتال في المعارك بينما الذين يعملون في الخدمات الاستراتيجية يساهمون في القتال بشكل آخر في كل يوم في معارك الحرب الباردة . وبهذا تستطيع الولايات المتحدة أن توفر أموالاً طائلة . إن القدرة على الاختيار من المجموع الكلي للشباب لمن سيعمل في الخدمات الاستراتيجية الخارجية ستحسن من أداء الولايات المتحدة وتبني رصيداً من المعرفة المفقودة حالياً . ولنقدم فيما يلي فكرة عن كيفية تنفيذ هذا الاقتراح عن طريق تلخيص الملاحظات حول ماجرى بجزيرة اوكيناوا عام ١٩٥٧ .

في تلك الأثناء كانت اوكيناوا بالنسبة للقوى العسكرية الأمريكية البرية والجوية (عدا المارينز) محطة ترفيهية مريحة حيث يجلسون في مكاتب فخمة ويسمح لهم باستقدام عائلاتهم من أمريكا . ويتوفر لهم الخدم بأجور رخيصة كما تتوفر لهم الخدمات الترفيهية وأماكن النزهات العديدة والجميلة . لذلك كانت شعبية

هذه الجزيرة عالية . والدليل على ذلك الطلبات العديدة للالتحاق بها خاصة من الذين خدموا فيها في السابق . لأنهم يفضلونها عن أي موقع آخر في العالم . أما المارينز فلم يكن يسمح لهم باستقدام عائلاتهم لأنهم كانوا يعتبرون دائماً في حالة استنفار واستعداد دائم لدخول المعركة في أي مكان في آسيا . لقد كان جنود المارينز يعيشون في براكات عسكرية لاتتوفر فيها متطلبات الرفاهية مثل الذين يعيشون في الجزيرة . كما كانت برامج تدريباتهم أقسى بكثير من برامج أي قسم آخر في القوات المتواجدة على الجزيرة . لهذا فإن كلفة وجودهم في اوكيناوا أقل بكثير من غيرهم من الوحدات العسكرية أو المدنية . ومع هذا كان مستوى أدائهم عالياً .

إن ماكان يطبق على وحدات المارينز يجب أن يطبق على أفراد جيش الخدمات الاستراتيجية . ولنذكر جيداً أن تنظيم وأداء فيلق البناء البحري المشهور في الحرب العالمية الثانية تحت اسم " نحل البحار " ربما ينطبق أكثر على مانريد قوله . لأن ذلك الفيلق كان يتألف في أغلب الحالات من العناصر الذين لم يكونوا متمتعين باللياقة الجسدية الكاملة للخدمة العسكرية . ومع هذا كانت مساهماتهم كبيرة في النصر الذي أحرزناه .

إن مهمات جيش الخدمات الاستراتيجية للولايات المتحدة التي يمكن أن تنفذ في سائر أنحاء العالم كبيرة ولا حصر لها. فيمكن لهذا الجيش مثلاً بناء البيوت في كوريا وبناء الطرق في تايلاند ومد خطوط الكهرباء في الفيلبين وتشغيل آلاف الصيدليات الضرورية في كافة أنحاء آسيا وإفريقيا.

وفي أغلب الحالات يمكن أن يعمل أفراد جيش الخدمات الاستراتيجية المتخصصين مكان الأجانب المستخدمين في البعثات الدبلوماسية للولايات المتحدة الأمريكية ومنظماتها في الخارج. وفي وظائف متنوعة (قيادة السيارات والشاحنات، الترجمة، الاتصالات، الخدمات العامة وغيرها..). عندئذ يمكن الاستغناء عن استخدام الأجانب نظراً للشك في ولائهم للولايات المتحدة الأمريكيةوالذين يمكن أن يكونوا عيوناً للتجسس علينا لصالح أعدائنا.

وإذا كان شبابنا الأمريكيون غير مؤهلين مبدئياً للقيام بمثل هذه الأعمال يجب أن نعمل على تدريبهم مثلما ندرب الملتحقين بالخدمة العسكرية الإلزامية. إن تشكيل هذا الفيلق من العمال على مستوى أدنى للعمل في بعثات الولايات المتحدة في الخارج يقدم للوطن خدمات بأقل التكاليف. لأن الأجانب ولا سيما في

بلدان آسيا وإفريقيا يعتقدون أن الاميركيين العاملين في السفارات يعيشون حياة رغيدة مرفهة ومترفة. يجب العمل على تغيير هذه النظرة. إن جميع المهمات الخدمية البسيطة تقريباً في السفارات الأمريكية يقوم بها المستخدمون من السكان المحليين. إن هذه الحالة تساعد على خلق انطباع عن صورة الأمريكي كمستعمر أبيض ولا يوجد مايقضي على هذه السمعة السيئة أكثر من رؤية الأميركيين يعملون بأيديهم ولا يخجلون من القيام بأي عمل مهما كان بسيطاً. إننا فخورون بقدراتنا ورغبتنا في القيام بالأعمال نفسها في الوطن ولسبب أو لآخر نبتعد عن تلك الأعمال عندما نكون في الخارج. ونتظاهر بالعظمة والأبهة فنخلق انطباعات كاذبة عن الشعب الأمريكي.

من المقترحات أيضاً أن يعيش هؤلاء الشبان من جيش الخدمات الاستراتيجية (ولا يوجد مايمنع الشابات من الانخراط في برامج هذه الخدمات الاستراتيجية) في البلدان الأجنبية داخل براكات شبيهة بالبراكات العسكرية. ويتبعوا نظاماً عسكرياً متساهلاً. كما لايسمح لهم باستقدام عائلاتهم.

فإذا توفر لدينا هذا الفيلق من الموظفين المدنيين الأمريكيين الذين يمكنهم أن يبنوا بيوتاً بسيطة بأيديهم

ويبحثون عن المياه في الصحراء ويمدون أسلاك الكهرباء ويقودون السيارات ويقومون بشتى أعمال الخدمات ويفاصلون في شراء السمك في السوق المحلي . فإن كل ذلك سوف يحدث أثراً نفسياً إيجابياً هائلاً لدى مواطني الدول الأجنبية فتتغير صورة الأمريكي المتغطرس المتكبر في عيون الأجانب .

هناك عقبات عدة للإشراف على تنظيم هذا الفيلق من الخدمات الاستراتيجية . طبعاً ستكون هناك معارضة قوية من عدة جهات . ويمكننا أن نقدر الاحتمالات التالية :

١- ستوفر مهارات وخدمات وخبرات أكثرية شباب الأمة تلك القوة الثمينة التي تهدر الآن والتي نحن بحاجة ماسة إليها لخدمة متطلبات الوطن .

٢- ستزيد من فعالية عدد كبير لايحصى من أعمال ضرورية في جميع أنحاء العالم .

٣- ستخفض من تكاليف برامج أمريكا في البلدان الأجنبية .

٤- ستقلل من فرص التجسس المفتوحة لأعدائنا .

٥- ستساعد على بناء شخصيات إنسانية لأكثرية الشباب الأمريكي على أسس من الصحة والكرامة

يتعاملون مع أقرانهم المحليين . إنهم يشاهدون المراسم الرسمية ونمط الحياة المريحة والوضع الراهن .

إن الهدف المثير أن نجمع شبابنا مع شباب هذه البلدان . لذلك يجب أن نوسّع برنامج تبادل الطلاب . إن نادي تبادل الشبان الأمريكي ىن - ف - ضعود قدم مثلاً ناجحاً يحتذى . فقد اجتمعت في منطقة نائية من الفيلبين مع شابين أمريكيين كانا يزورانها ضمن برنامج تبادل الشباب . وقد قالا لي إنهما شاركا بالأمس مع شباب محليين في رقصة محلية وبعدها وضعا في المسجلة شريطاً لموسيقى أمريكية اسمها " جيترباك " طضهمزملوش فانضم إليهما في الرقص عدد لا بأس به من الشباب الفيلبينيين . وقالا أيضاً إنهما كانا يأكلان الأرز والآدوبا وينامان على الأرض تحت خيمة من القش . في اليوم التالي شاهدت هذين الشابين مع مجموعة من الشبان الفيلبينيين في الحقل يتبادلون المعلومات الزراعية . قال لي أحدهم : " هذا مانحتاج إليه في بلدينا ولكن على الحكومات أن تبدأ بترتيب ذلك . إننا هنا لانملك المال الكافي للسفر إلى الولايات المتحدة . وكما تعلم يوجد لدينا آلات حفر آبار ارتوازية داخل المستودعات في مانيلا . ونحن بحاجة ماسة إلى مياه الشرب ولكن لايتوفر عندنا المهندسون المؤهلون

انتقائياً لجلب طلاب من هذه الأصقاع للدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية. كما يجب أن يهدف البرنامج إلى مساعدة الشباب من جميع طبقات المجتمع دون الاصرار على إتقان اللغة الإنكليزية والمركز الاجتماعي كشرط للحصول على منحه دراسية في الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد خطت منظمات أمريكية مثل منظمة الخدمات الحقلية الأمريكية ومنظمة التجارب في الحياة الدولية خطوات واسعة في هذا المجال غير أن هذا النوع من البرامج يجب أن يكون موسعاً ومضاعفاً كي يلبي المتطلبات الوطنية لأمريكا.

إن برنامج تبادل الطلبة مابين أمريكا والبلدان الأخرى معقد ويشمل عدداً كبيراً من المدارس والجامعات والمؤسسات لدرجة يجب على رئيس الولايات المتحدة أن يعين لجنة خاصة تعمل على:

١- وضع المعايير اللازمة لمختلف أصناف الطلبة الأجانب.

٢- تحديد أنواع الطلاب ودرجاتهم المختلفة عندما يقبلون في برامج المنح. فقد يكون من بينهم طلاب لايتقنون اللغة الإنكليزية لكنهم يملكون مهارة معينة في

أعـمـال يدوية . فـيـجب أن يشـتـمل البـرنامج على استيعابهم أيضاً .

٣- وضع قـواعد لتأمين حضورهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمدة / ٦/ أشهر أو سنة قبل التحاقهم بالجامعات أو المدارس المخصصة لهم وذلك من أجل تعليمـهم اللغـة الإنكليـزية واطلاعـهم على عـادات الشعب الأمريكي وتقاليده .

٤- وضع تعليمات خاصة من أجل عـودتهم إلى بلدانهم ليطبقوا فيها ماتعلموه وما اكتسبوه من مهارات في أمـريكا . وأن لايسـمح لهم بالبـقـاء في الولايات المتحدة الأمريكية بعد تخرجهم . لأننا نجد اليوم عدة آلاف من الخـريجين الأجـانب مـازالوا في أمـريكا ولا يرغبون في العودة

إلى أوطانهم بحجة أن ماتعلموه لايمكن تطبيقه في بلدانهم . ويجب الانتـباه إلى هذه الناحـيـة وتخطيط برامج دراستهم بحيث تؤمن متطلبات بلدانهم وتكون سريعة التأقلم مع ظروفهم الخاصة .

٥- تحديد الحاجات الملحة لمختلف البلدان الأجنبية بهدف إعداد البرامج اللازمة لدراسة هؤلاء الطلبة .

٦- وضع الترتيبات اللازمة لتنفيذ برامج اجتماعية

ترمي إلى دمج الطلاب الأجانب في المجتمع الأمريكي لتخفيف الشعور بالغربة. وتوجد مبادرات ممتازة حالياً ولكنها غير كافية. ففي فيلادلفيا مثلاً قامت الكنائس هناك بجمع الطلاب الأجانب مع شباب محليين لهم اهتمامات مشتركة ضمن البرامج الاجتماعية لأيام الأحد. إن الجهود المكثفة لإدخال الطلاب الأجانب في نسيج الحياة في المجتمعات الأمريكية مطلوبة بإلحاح لأنها ستؤدي إلى فهم أعمق لحقيقة المجتمع الأمريكي.

٧- وضع آلية للتوصل إلى اختيار الطلاب الأجانب بشكل صحيح في المنح الدراسية. (في البلدان التي تعتنق الديانة البوذية مثلاً يمكن الاستعانة برأي رجال الدين هناك باعتبارهم مسؤولين تقليدياً عن الأمور الثقافية).

٨- سن تشريعات تسمح بتعويض المدارس والجامعات الأمريكية عن تكاليف تعليم الطلاب الأجانب وإقامتهم. على أن تكون الإقامة في بيوت خاصة بهم.

٩- وضع برامج لتبادل الطلبة الجانب مع الطلبة الأمريكيين تحت إشراف السفارات في الخارج وقد بدأت جامعة MIT المشهورة في ماساتشوست بإرسال طلاب الهندسة للعمل في إفريقيا خلال فترة الصيف

كما أن جامعة هارفرد تخطط لعقد حلقة بحث عملية في نيجيريا .

ولكل مكان شاغر في برامج جامعتي النقيء وهارفرد يوجد عدد كبير من الطلبات . ويبدو أن شبابنا أدرك أخيراً معنى التحدي الذي تجابهه أمريكا وتجاوب معه . ومع ذلك يجب أن تبذل جهود كبيرة وتنظم حملة إرشاد واسعة من أجل أن تنمو هذه التجارب ولا تضيع سدى .

إذا كنا منطقيين وجديين في تقديم مايحتاج إليه الطلبة الأجانب من تسهيلات وعلوم وإمكانيات يمكننا أن نحصل في النهاية على عدد لاحصر له من الشبان الأجانب في كل أمة في العالم يقفون بحماس ورغبة إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية .

ليس من قبيل الصدف أبداً أن يكون في استطاعة أمريكا أن تقدم مايحتاج إليه أغلب الشباب الأجانب من كل أمة في جميع أنحاء العالم . إن أمريكا تسمح بمناخ حر ومجتمع منفتح سلس وحرية شخصية للفرد إذا أراد أن يترك شعره طويلاً ، أو يقصه قصيراً ، وأن يستمع لموسيقى الجاز أو الكلاسيك ، وأن يقف في أي مكان ويتكلم ، وأن يحتج أو يحرض على الاحتجاج فكرياً أو جسدياً. ففي روسيا والصين وفي الدول التي

تدور في فلكهما يعد كل ذلك من المستحيلات . إن من زار روسيا أو الصين أو الدول التي تدور في فلكهما يقول إن الطلاب هناك يحاولون تقليد الشعب الأمريكي . فأهم مايفكر به الطلاب هناك ويعتبرونه من الأمور الثمينة جداً هو أسطوانة لموسيقى الجاز الأمريكي . فبأي صفة إذاً يفكر الطلاب في جميع أنحاء العالم بأن المعسكر الاشتراكي يقدم لهم مخرجاً وحلولاً أوسع وأكثر حماساً مما نقدمه لهم في الولايات المتحدة الأمريكية؟ .

بغض النظر عن أي أمر آخر يجب علينا مضاعفة الجهود لنقدم إلى الشبان في البلاد الأجنبية موسيقانا وأدبنا ومغامراتنا وخصوصياتنا وانحرافاتنا وحماسنا وغيرتنا على الإنسانية وإنجازاتنا في البحوث العلمية والأدبية . لأن هؤلاء الشبان سيصبحون يوماً ما وبعد فترة قصيرة وزراء ومسؤولين في بلادهم . وبالإضافة إلى العدد القليل من الطلاب الأجانب الذين استفادوا من برامج منظمات الشباب مثل منظمة " الخدمات الحقلية الأمريكية " ومنظمة " التجارب في الحياة الدولية " فإن هؤلاء الشبان الأجانب لايشاهدون في بلادهم سوى عدد من العسكريين الأمريكيين والدبلوماسيين من ذوي الأعمار المتوسطة والذين

يتعاملون مع أقرانهم المحليين . إنهم يشاهدون المراسم الرسمية ونمط الحياة المريحة والوضع الراهن .

إن الهدف المثير أن نجمع شبابنا مع شباب هذه البلدان . لذلك يجب أن نوسّع برنامج تبادل الطلاب . إن نادي تبادل الشبان الأمريكي ىن - ف - ضعود قدم مثلاً ناجحاً يحتذى . فقد اجتمعت في منطقة نائية من الفيلبين مع شابين أمريكيين كانا يزورانها ضمن برنامج تبادل الشباب . وقد قالا لي إنهما شاركا بالأمس مع شباب محليين في رقصة محلية وبعدها وضعا في المسجلة شريطاً لموسيقى أمريكية اسمها "جيترباك" طضهزملوش فانضم إليهما في الرقص عدد لابأس به من الشباب الفيلبينيين . وقالا أيضاً إنهما كانا يأكلان الأرز والآدوبا وينامان على الأرض تحت خيمة من القش . في اليوم التالي شاهدت هذين الشابين مع مجموعة من الشبان الفيلبينيين في الحقل يتبادلون المعلومات الزراعية . قال لي أحدهم : " هذا مانحتاج إليه في بلدينا ولكن على الحكومات أن تبدأ بترتيب ذلك . إننا هنا لانملك المال الكافي للسفر إلى الولايات المتحدة . وكما تعلم يوجد لدينا آلات حفر آبار ارتوازية داخل المستودعات في مانيلا . ونحن بحاجة ماسة إلى مياه الشرب ولكن لايتوفر عندنا المهندسون المؤهلون

لتركيب هذه الآلات وتشغيلها " .

وأضاف : " أراهن إذا حضر مئتا طالب أمريكي من كليات الهندسة إلى الفيلبين في هذا الصيف فإنه يمكننا بالتعاون معهم أن نجعل هذه الآبار تعمل وتضخ الماء . كما أنه إذا تسنى لعدد منا كل عام الذهاب للدراسة في الولايات المتحدة مقابل أن نعمل لدى الحكومة هنا لمدة تساوي مدة الدراسة فسيمكننا ذلك في المستقبل من العناية بهذه المشكلات المائية بأنفسنا " .

د - ماذا يمكن للصحافة أن تعمل؟

لاتتمكن أي جريدة من نشر الأخبار الأجنبية بشكل جيد إذا لم تتوفر المعلومات الصحيحة للمحررين عما يجري في العالم . إنني أقترح أن تشترك الجرائد في النشرة التي تصدرها الجامعات الأمريكية عن "تقارير الأساتذة الحقليين" . وفي رأيي أنها تمثل أفضل طريقة للتقارير العميقة المدروسة عن الشؤون الخارجية . كما أوصي الجرائد بالاشتراك بطبعة "الايكونومست" التي ترسل بالبريد الجوي و "بنيويورك تايمز" و "بأساهي ايفينيغ نيوز" . بالإضافة إلى ذلك نحتاج إلى جرائد تدار من قبل أشخاص يقدرون أهمية مايفعلون . كما نحتاج إلى مراسلين للأخبار الأجنبية لديهم مؤهلات خاصة للمنطقة التي

يكتبون عنها كما يلمون بلغة البلد الذي يكتبون عنه . قال " تبودور وايت " أحد المراسلين الأمريكيين الممتازين : " إن القلم السريع لايصنع مراسلاً ناجحاً ويجب على المحررين أن يعلموا ذلك " . أما فيما يتعلق بالأخبار الاستراتيجية التي تتعامل مع البرقيات الواردة من الخارج لتحضيرها للنشر فإننا نحتاج إلى متخصصين يدركون أهمية المعلومات التي يتعاملون معها . إنهم يحتاجون إلى وقت كاف ليستوعبوا هذه الأخبار وليبحثوا عن المصادر اللازمة في مكتبة الجريدة . بالرغم من أن القليل من الجرائد لديها مكتبة . إن ذلك ضرورياً من أجل كتابة الخلفية اللازمة للأخبار ومن أجل تحليلها والتعليق عليها . كما يجب أن تكون لديهم المسؤولية والسلطة لحجب المقال إذا ظهر بأنه مشكوك فيه أو مشوش أو غير صالح للنشر . كما أنهم يحتاجون إلى أن يكونوا أحراراً من ناحية ضبط الوقت . إن محرر جريدة " ذي كريشتين سينس مونيتور " ىءصز لمصمض نهضخف نلمزضفلمز نقفضهقم كان ينتظر يوماً بكامله إذا لزم الأمر من أجل التأكد والاقتناع بأن المقال يستحق النشر . أو يقوم بعد عدة أيام بنشر تعليقات كاملة حول خلفية ذلك المقال بعد أن تكون أغلب الجرائد قد نسيت الموضوع

في زحمة التسابق نحو الأخبار المثيرة. فالاستمرارية هي إحدى أهم الأمور التي يتطلبها القارئ حول القضايا العامة. خاصة إذا كانت الأخبار عن مناطق نائية وغريبة عنه. والاستمرارية حول أي شيء هي أيضاً إحدى أهم النواقص الخطيرة لدى أغلب الجرائد الأمريكية. فعندما نقرأ الجريدة نشعر وكأنها بدأت عملها هذا اليوم لأن محرريها يتوقعون في كل يوم مجموعة جديدة من القراء ولا يتحملون تجاههم بأية مسؤولية فيما جعلوهم يتحمسون له من أخبار الأمس.

إن القارئ يحتاج إلى معرفة كيفية ظهور الخبر وأصداء نشر المانشيت العريض في اليوم السابق. وإذا كانت الجريدة هي مدرسة تعليمية للرجل الفقير كما يدعي رؤساء التحرير فهي بحاجة إلى أن تسير على خطا الجامعات وأن تجهز بالمحررين الأكفاء المختصين والمدربين وأن تمنحهم الوقت الكافي للبحث والدراسة كما تمنحهم السلطة في إصدار القرار الحكيم حول مايصلح أن يكتب للقارئ. نحن الآن بعيدين كل البعد عن مثل هذه الخدمات في الإعلام. على الرغم من أن الأزمات في وقتنا الحاضر تتطلب ذلك. إن تحضير العنوان العريض (المانشيت) الذي يعبر عن محتوى الخبر لايكلف رئيس التحرير إلا القدر القليل من

الحماس والإثارة. فلا يجب أن يشعرنا العنوان أن الحدث وقع بالفعل بينما يقرأ في صلب الموضوع المنشور بأنه مجرد إشاعة.

إن عدم قراءة الأخبار الأجنبية المنشورة في الجرائد يعود إلى الأسباب التالية :

١ - إما أنها لاتكتب بأسلوب جيد.

٢ - أو أن الحدث ومكانه وما نشر عنه يكون غير مألوف لدى القارئ. ولهذا يستحسن أن تخصص الجريدة عموداً تنشر فيه خلاصات الأماكن والأسماء المتعلقة بتلك الأخبار.

يجب أن تبذل الجهود بقدر الإمكان للتخفيف من نشر القصص المنسوبة إلى أشخاص غير معروفين. مثل "قال مصدر دبلوماسي" أو "استناداً إلى مسوؤل كبير في واشنطن". إننا نقدر ونفهم أهمية حماية مصدر المعلومات الهامة ولكن هذه الحيل يمكن أن تستخدم غطاء لإشاعات غير موثوقة والتي تنتشر بين رواد البارات والمطاعم. إن القارئ يستحق من رؤساء التحرير معالجة أفضل للأخبار.

وأخيراً يجب أن تتحسن أجور وتعويضات المحررين ويدفع لهم أكثر مما يصرف على الآلات

الخرساء في الغرف الخلفية .

فالمقالات الافتتاحية في الجريدة (أو الأخبار العامة في التلفزيون ومحطات الإرسال الإذاعي) هي التي تجعل الجريدة جيدة أو سيئة . إن المحررين اليوم يتقاضون رواتب قليلة . لهذا يجب أن تدفع لهم حوافز مجزية ويمنحون الوقت الكافي للبحث والقراءة والتفكير .

فإذا ذهب محرر صحفي في رحلة مجانية خارج البلاد بدعوة من الحكومة الأمريكية أو دولة أجنبية أو منظمة من القطاع الخاص ، فإن القارئ يستحق أن يعلم بها ولا سيما إذا كان لهذه الجهة التي غطت تكاليف الرحلة هدفاً دعائياً معيناً يقوم به هذا المحرر . يجب أن ينشر في زاوية من الجريدة مثلاً بأن خطوط الطيران اليابانية غطت تكاليف رحلة المحرر في جولة لمدة " ثلاثين يوماً " في اليابان وبلغت التكاليف ٣٦٠٠ دولاراً . ولكن إذا قامت دولة أجنبية بتسديد تكاليف رحلته سيظهر عندما يكتب لصالحها كأنه عميل لها حتى وإن كان تقريره يعرض معلومات صحيحة عن ذلك البلد . إنني أقترح على محرري الجرائد أن يدرسوا جيداً القوانين والأنظمة حول هذا الأمر كي لايقعوا تحت طائلة المسؤولية تجاه حكومة الولايات المتحدة

الأمريكية . لقد نشر لأحد الصحفيين عدة مقالات يمدح بها " سيكمان رهي " رئيس جمهورية كوريا الجنوبية وليس لدى القارئ أي وسيلة لمعرفة فيما إذا كان هذا الصحفي قد تلقى أموالاً من السيد " رهي " لقاء هذه المقالات الدعائية أم لا .

إن اقتراح خطوات وبرامج لتحسين التغطية الاعلامية للشؤون الخارجية مهمة بالغة الصعوبة لأن إصدار جريدة يومية جيدة في هذا العصر المهموم والمضطرب مسألة صعبة جداً . وهناك القليل من الشك باستعداد محرر صحفي عادي أن يكرّس نفسه ويكون على استعداد لتعريض حياته للخطر من أجل الحصول على خبر أو قصة . أما فيما يتعلق بالأخبار الأجنبية يتطلب الأمر أن يقطع المحرر مسافات كبيرة بين نقطة تلقي الخبر وعملية النشر في الوطن . ولهذا يجب أن يكون المحرر على استعداد بأن يبحث ويدقق ويفتش جيداً عن الحقائق في مناخ وبيئة أجنبية . وهذا يتطلب أن يكون واعياً وملماً بلغة البلد الأجنبي وعاداته وتقاليده ويقرأ جرائده ويستمع إلى أحاديث الناس المحليين .

كما يجب عليه أن يرسل تقريره برقياً إلى جريدته في أمريكا . عندما يصل هذا التقرير إلى الجريدة في

الولايات المتحدة يجب على رئيس التحرير أن يقوم بتدقيق وتحليل محتواه من حيث المدلول والقيمة الاعلامية. ويصدر قراره في تحديد المنطقة الجغرافية من أمريكا التي يمكن أن يكون لها اهتمام أو مصلحة في قراءته. (أنا أتحدث هنا عن الخدمات السلكية التي يبث عبرها ٨٠٪ من الأخبار الأجنبية) - عندئذ يحول رئيس التحرير الخبر إلى مركز قيادة تلك المنطقة للجريدة المذكورة. ويكون عرضة هناك لإعادة تحليل وتقييم قبل إرساله إلى إحدى الجرائد المحلية. ثم تجرى عليه الجريدة المحلية تقييماً آخر أيضاً قبل الموافقة على نشره.. وبعد اتخاذ القرار بالنشر يتم اختيار المانشيت العريض بشأنه. وبلمح البصر تقريباً يتم كل شيء وينشر الخبر لأن الأخبار المتأخرة لاتعتبر أخباراً بمعنى الكلمة.

وإذا أراد المحررون ورئيس التحرير ملء الجريدة بالأخبار الوطنية والأخبار الأجنبية يتصدى عادة لذلك شخصان هما : الناشر ومدير الأعمال. ويحرص كل منهما على بيع الجريدة لتدر أموالاً لأصحابها. والأمر الوحيد الذي يحمي الجريدة من الإفلاس هو تأمين رغبات القراء الذين يشترونها. ويبدو واضحاً أن هؤلاء القراء المستهلكين لايرغبون كثيراً في قراءة الأخبار

الأجنبية . إنهم يشترون الجريدة عادة للاطلاع على الفضائح المحلية وأخبار التسلية وأخبار المجتمع ونصائح إلى الذي هجرته حبيبته ونتائج سباق الخيل وغيرها من الأخبار المحلية المسلية .

إننا نحتاج لرفع مستوى الرغبات لدى القراء بهدف زيادة الطلب على الأخبار المعرفية والنقدية وتقديم التقارير الأجنبية التي تنسجم مع حجم مسؤوليات الولايات المتحدة العامة تجاه العالم الخارجي .

باستثناء عدد بسيط من الجرائد والمجلات ومحطات الإذاعة المدارة بشكل جيد وتملك الإمكانيات الكبيرة فإن دور النشر لاتستطيع أن تتحمل تكاليف الموظفين المتخصصين في تحرير الأخبار الأجنبية .

هناك عدد من الاقتراحات في هذا الموضوع . إنَّ تحسين مستوى الجرائد يتعلق بالقراء أنفسهم . فإذا كان القارئ العادي غير مهتم بالأخبار الأجنبية سنستمر في الحصول على جرائد هزيلة . وعلى العكس فإذا تطورت رغبة القارئ وتطلب بإصرار وقوة تغطية أوسع للأخبار ذات الأهمية ؛ عندئذ تكون الفرص أكبر للحصول على صحافة أفضل .

فإذا كانت الجرائد والمجلات ومحطات الإذاعة

والتلفزيون في مدينتك هزيلة ولا تلبي الغرض (وفي أغلب الظن هي كذلك) فإنك تتحمل جزءاً من الذنب. فعندما تبدأ بالتعبير عن رغباتك في الحصول على جرائد أكثر إعلاماً وتغطية للأخبار الأجنبية يتحرك مالكو الجرائد بجدية من أجل تأمين ذلك.

حادي عشر: على المستوى الفردي:

إنَّ القوى غير المنظمة التي تشمل الرجال والنساء العاديين ترغب في المشاركة بطريقة بسيطة وذكية في مراقبة مصير أمتها. ولكن مايمنعها من الإعراب عن رأيها شعورها بأنها لاتمتلك التدريب أو التأثير بأن تتحدث بصورة مجدية. للرجال والنساء العاديين قوة تأثير على الساحة الوطنية عندما يكون استيعابهم للأخبار له موقع مؤثر في النفس ولا تذهب أصواتهم سدى، خاصة إذا كانوا يطرحون أسئلة ذكية أو يمدحون أو يعترضون على حدث ما.

إن المجموعات المدنية غير المنظمة تعدّ أقوى من جميع المنظمات الأخرى. وهناك قول مأثور يشير إلى أن الانتصار في الانتخابات يحرزها من يعمل على عد الأصوات يدوياً.

بالطبع يمكن السيطرة على عملية العد إذا تم تنسيق

الجـهـود. ويمكن أن يكون استـخـدام نوادي النسـاء الأمريكيات ومنظماتها في حقول الشؤون العامة أعظم فرصة مناسبة. لقد قال لي البعض بأنه لاجدوى من المحاولة في جذب اهتمـام نوادي النسـاء بنشـاطات خارج شؤون المجتمعات المحلية الضيقة. ولكنني لاأعتقد ذلك. لقد أصبح العالم كله مجتمعاً واحداً وإن خـدمـات نوادي النسـاء ناجـحـة ومـؤثرة في مشروعات عديدة مثل الصليب الأحمر وسلامة قيادة السيارات والمحافظة على جمال الطبيعة. والأمر يحتاج فقط إلى عملية اقتناع بأن حماسهن ونشاطهن مطلوب بإلحاح وضروري في مسيرة النضال من أجل البقاء الوطني.

إذا استـخـدم ضغط العديد من نوادي النسـاء من أجل حصول الشعب الأمريكي على الأخبار الصحيحة فلا يستطيع أحد أن يقاوم ذلك. عندئذ يصبح المواطن الأمريكي على اطلاع أكثر بالأخبار كما يصبح أعضاء مـجلسي الشيـوخ والكونكرس وأجـهـزة الحكومـة مضطرين لأن يكونوا أكثر خبـرة ومعرفة في تأدية واجباتهم.

ورغم أن هذه النوادي النسائية لاتهتم كثيراً في المتطلبات الوطنية فإنني أقترح أن تشكل لجنة في كل

منظمة مهمتها إعلام الشعب عن الشؤون الخارجية . وأن تقوم هذه اللجان بإرسال رسائل إلى الكونكرس وإلى مجلس الشيوخ تطالب فيها تزويدها بتقارير شهرية مختصرة عن بعض البلدان التي تحددها والتي تهتم بشؤونها .

مثلاً تطلب هذه اللجان تزويدها في شهر آذار بتقرير عن تايلند وفي شهر نيسان تقرير آخر عن فرنسا وفي شهر أيار عن لاووس وفي حزيران عن الكونغو وهكذا ... كما تطلب اللجان أيضاً من رئيسي الكونكرس ومجلس الشيوخ الإجابة على أسئلة تطرحها مثل :

١ - ماهي أسباب ازدياد التأثير الشيوعي في بعض بلدان آسيا خلال السنتين الأخيرتين؟

٢ - هل ازداد التبادل التجاري بين البلاد الشيوعية وأفغانستان مثلاً وما هي الأسباب؟

٣ - كم عدد الأمريكيين المبعثين رسمياً إلى سفارتنا في بعض بلدان إفريقيا والذين يعملون في منظمات الاستخبارات الوطنية الأمريكية وغيرها من المنظمات الأمريكيةوكذلك عدد العسكريين وأفراد عائلاتهم ؟

٤ - كم عدد الأمريكيين المعينين منهم والذين

يعرفون لغات تلك البلدان قراءة وكتابة ؟

٥- ماهي الإجراءات المتخذة من قبل الحكومة الأمريكية من أجل تدريب الأمريكيين الذين يرسلون للعمل في الخارج من ناحية معرفة اللغة والعادات والثقافة والتقاليد والديانة وغيرها . وهل توجد مدرسة أمريكية لذلك وما هو عدد الذين انتسبوا إليها وبرنامج التدريس فيها؟

٦- ماهو عدد الأجانب المستخدمين من قبل السفارات الأمريكية وما هي مسؤولياتهم بالتفصيل؟

٧- ماهي تكاليف معيشة الفرد الأمريكي في الخارج بما فيها مصاريف الوصول من أمريكا وتوريد المستلزمات الغذائية وكلفة تخزينها وتوزيعها ومخصصات السكن ووسائل النقل والخدمات الترفيهية وغيرها ...؟

(وقد قدر " جورج في . آلن " بأن كلفة معيشة الفرد الأمريكي في الخارج حوالي ٢٠٠٠٠ دولار أمريكي سنوياً أما في تقديري فهي في بلدان آسيا حوالي ٢٨٠٠٠ دولار) .

٨- ماهي المبالغ التي تصرفها سفاراتنا في الخارج على المساعدات الخارجية والعسكرية والمنح الدراسية

وكلفة الأمن ؟

وأخيراً، هل يمكن الحصول على أجوبة لهذه الأسئلة من ممثلينا في الكونكرس أم أن هذه المعلومات "سرية". فإذا كانت سرية فتلك الطامة الكبرى. لأن الشيوعيين يعرفون كل شيء عن نشاطاتنا في بلدان العالم. بينما تحجب عن الشعب الأمريكي هذه المعلومات.

إن الأسئلة أعلاه هي على سبيل المثال لاالحصر. ولكل نادي نسائي أن يوجه أسئلة أخرى يراها مناسبة من أجل تعميق المعرفة بالشؤون الخارجية.

إن اللجنة التي ستطلب الإجابة على الأسئلة المطروحة يمكنها اعلام ممثلي المنطقة في الكونكرس ومجلس الشيوخ بأن مواطنين آخرين يرغبون أيضاً في الحصول على المعلومات نفسها لذلك تقترح اللجنة بأن ترسل الإجابات إلى كل جريدة من جرائد منطقة النادي الذي وجه الأسئلة.

وأنا واثق من أن الجرائد المحلية ستكون فخورة جداً بنشر أجوبة الكونكرس على أسئلة المواطنين. ليس لأنها تحتوي على معلومات هامة ولكن لإظهار نشاط المنظمات المحلية وحرصها على تنوير الشعب

بالمعلومات ويمكن أن تكون أيضاً بمثابة دعاية لممثلي المنطقة المنتخبين .

وأؤكد لكم بأنه إذا أصر عدد من النوادي النسائية في كل ولاية على الحصول على أجوبة لأسئلة معينة حول مختلف القضايا والبلدان الأجنبية في كل شهر ، سيحرض ذلك الكونكرس ليتعرف بدقة على أحوال البلدان الأجنبية .

وقد بدأت بعض النوادي النسائية بنجاح تطبيق برنامج يقضي باستضافة عدد من الطلاب الأجانب في الولايات المتحدة الأمريكية . وإذا رغبت أي منظمة في تطبيق مثل هذا البرنامج يجب أن تعلم أن الطلاب الأجانب قد لايتقنون اللغة الإنكليزية لهذا يجب أن تتضمن المنحة الدراسية مدة معقولة من الزمن لتعلم اللغة الإنكليزية . ويستحسن انتقاء طلاب المرحلة الثانوية لأن ذلك يسمح لهم بأن يكونوا في المدارس الثانوية المحلية في المدن الصغرى أينما وجدت . ويمكن استضافة الطالب أو الطالبة لدى العائلات المحلية بكلفة بسيطة جداً . ولنذكر جيداً أن العائلات الأجنبية الميسورة التي يتكلم أفرادها اللغة الإنكليزية بمقدورها أن تتحمل تكاليف أولادها في الولايات المتحدة الأمريكية . لهذا يجب التركيز على انتقاء طلاب من

العائلات الفقيرة. ويستحسن أن يتم اختيارهم من بلدان آسيا أو أفريقيا من الريفيين لأن أهل الريف يشكلون ٩٠٪ من سكان هذه البلدان. فالآسيويون والأفريقيون يرغبون في التعرف على أساليب الزراعة الحديثة والآلات والأدوات التي نستخدمها في امريكا. وستجد نوادي النساء أن الجرائد المحلية والمدارس على استعداد لتقديم المساعدة في هذا المشروع لأنهم أيضاً يرغبون في التعرف أكثر على الشؤون الأجنبية. فإذا طلب إليهم أن يساعدوا فإن أغلب رؤساء التحرير ومدراء المدارس سيرسلون ممثلين عنهم لحضور اجتماعات النوادي لتقديم ملخصات عن أحداث العالم. كما أنهم سوف يكونون سعداء في الإجابة على أسئلة مثل لماذا الأخبار الأجنبية قليلة في الجريدة؟ وبأي حال إن الاستماع إلى خبير صحفي في اجتماعات نوادي النساء حول أحداث العالم ولو لمدة خمس عشرة دقيقة يعتبر من الأمور المستحبة.

وأخيراً يجب على أعضاء النادي أن يبحثوا أيضاً عن نواد نسائية أخرى في المنطقة للتعاون معها وتشكيل لجنة المنطقة الوطنية للمعلومات عن الأحوال الأجنبية. وبهذا فإن النوادي النسائية يمكنها أن تغير الأمة الأمريكية.

إن أي اهتمام لربات البيوت في الشؤون العامة يتضاعف عن طريق الأولاد والأزواج والأصدقاء. أعرف مثلاً بأن سيدة قامت مع ابنتها التي تبلغ من العمر الثانية عشرة بتبني يتيم كوري عن طريق المراسلة. وبما أن ذلك يكلف ١٥ دولاراً في الشهر ولا تستطيع طفلة في عمر صغير أن تتحمله بمفردها فقد اقترحت الأم على ابنتها أن تقنع بعض صديقاتها في المدرسة في الاشتراك معها في هذا المشروع. وهكذا يتألف من بين بنات المدرسة فريق من الأولاد يدفع كل منهن ١٥ سنتاً في الشهر. بالطبع لايقبل الطلاب تبني أي طفل من بلد لايعرفون عنه شيئاً. ولهذا يبادرون بالبحث في المكتبة عن أي معلومات عن الشعب الكوري وعن عاداته وملابسه وأهم اهتماماته وعن مناخه الصيفي والشتوي، وأيضاً أغانيه وموسيقاه ... الخ. وبهذه الطريقة يتعرف الطلاب في سن مبكرة على بلاد بعيدة عنهم. وبصورة غير مباشرة يشاركون هؤلاء في تقرير سياسة أمريكا الخارجية.

إنني أعرف سيدة أخرى عندما علمت بوجود طلاب أجانب في البلدة سارعت إلى دعوتهم إلى منزلها يوم العطلة الأسبوعية. وبنتيجة هذا التعارف فإن أولادها الآن يراسلون مجموعة من هؤلاء الطلاب

الأجانب في كل أنحاء العالم. كما يقومون بقص أعشاب الحدائق ومراقبة الأطفال في المنازل أثناء غياب الأمهات وغسل السيارات من أجل ادخار الأموال للقيام برحلة لزيارتهم ولو بعد عدة سنوات.

وفي ضوء ذلك يمكنهم بجهود قليلة أن يتعرفوا على الأحداث التي تجري في بلدان أصدقائهم. ولم تعد أسماء المناطق البعيدة فيما وراء البحار غريبة على مسامعهم. إنهم يفتشون في الجرائد ليقرؤوا عن الأحداث التي تجري هناك باهتمام شديد.

لقد اجتمعت في الشهر الماضي أثناء رحلة لي في الطائرة مع شابة أمريكية تبلغ من العمر ١٨ عاماً وهي في طريقها إلى الهند، وقد رتبت لها أمها هذه الرحلة. لأنها كانت تدعو عدداً من الطلاب الهنود الذين يدرسون في الجامعة القريبة إلى منزلها خلال عطل الأعياد. وخلال مدة عشر سنوات استضافت العائلة أكثر من ثلاثين طالباً هندياً.

وبعد أن تخرج هؤلاء الطلاب وعادوا إلى بلادهم استمرت المراسلة معهم. وبالمقابل قام هؤلاء بدعوة بعض الشباب الأمريكيين لزيارة الهند مع تقديم بطاقات سفر لهم ذهاباً وإياباً. وكانت هذه الفتاة من جملة المدعويين.

كـمـا أعـرف سـيـدة أخـرى شـجـعـت أولادها على مـراسلـة شـبـان في بلدان مـاوراء البـحـار . وذات مـرة سمعت نقاشاً في جامعة كامبرج حول تفاصيل إضراب شعبي حصل في اليابان . وعندما بحثت تلك السيدة عن مـصـدر هذه المعلومات علمت أن مـجـمـوعـة من الطالبات كنّ يقمن بمراسلة صديقات لهن في اليابان .

لايوجـد نهـاية لما يمكن لربات البـيـوت أن يفـعلن لخلق الاهتمام عند أولادهن في الشؤون الخارجية . ولكن دائماً يبقى التأثير الأكبر للأب الذي هو مصدر آخر قوي في تدريب شبان المستقبل . إن رجل البيت عـادة يشـتـرك في الجـرائد والمجـلات . وإذا قـرأ جـريدة جيدة أو مجلة أو شاهد عرضاً تلفزيونياً ثقافياً إخبارياً يكون قدوة لبقية أفراد الأسرة فيقومون بالعمل نفسه .

أعرف أن أحدهم كان يطرح أسئلة مع أولاده تقريباً في كل أمسية أثناء العشاء عن الأخبار اليومية فيقول " ماهي أهم الأحداث التي حصلت في ألمانيا البارحة ؟- وما معنى الاحتجاج الذي حصل في ذاك البلد أو ماهي أسماء ثلاثة من قادة تايلند وكيف تلفظونها بالإنكليزية ؟

لم يستطع الأولاد في الوهلة الأولى الإجابة على أي سـؤال . ولكن بعـد فـتـرة من الزمن أصبح هؤلاء

المراهقـون يتـزاحمـون من أجل الحصـول على الجـريدة اليومية ومن ثم صاروا هم الذين يوجهون الأسئلة .

فلا تقلل من أهمية ذلك إذا جربت الشيء نفسه في بيتك ، لأنك سوف تكتشف أن أولادك محللين جيدين للأخبار الأجنبية . وسوف تشعر أيضاً بأنهم يرغبون في مـواجـهـة أصعب الأسئلة . وهذه بعض الأسـئلة التي يمكن لأي أب أن يطرحها على أولاده :

١ - هل المانشـيتات العـريضـة في الجـريدة اليومـية تتوافق مع نص الخبر المنشور؟

٢ - هل تظن أن كاتب المقال قد شاهد الحدث الذي يكتب عنه؟ وإذا لم يشاهده فما هي مصادر معلوماته؟

٣- عندما يلقي الرئيس خطاباً هل تجد أن ماتكتبه الجرائد عنه متفقة مع نص هذا الخطاب؟ مع أن الجريدة لديها نص الخطاب وأن مراسلها كان حاضراً في المؤتمر الصحفي الذي ألقى فيه الرئيس خطابه .

٤ - هل سـيـاسـة الولايات المتـحـدة الأمـريكيـة الخارجية تبدو معقولة فيما يتعلق بكذا ... وكذا؟ . وإذا لم تكن كذلك برأيك ماذا علينا أن نفعل؟

إن هذه اللعبـة العـائليـة مـوجـهـة للشـبـاب الذين تتراوح أعمارهم مابين ١٢ إلى ٢٠ سنة لكن تأثير الأب

يكون كبيراً جداً. فرغماً عنه سيصبح مهتماً بالأحداث الدولية وخبيراً بها. والتحدي سيجعله يحاول دائماً بأن يكون متفوقاً في أعين أطفاله. وبالنتيجة فإن جميع زملائه الذين يشتركون معه في الذهاب إلى المكتب في السيارة وأعضاء مكتبه وأصدقائه في النادي سيجدون أنفسهم مدفوعين إلى المضي في الخط نفسه من المناقشات.

أعرف شخصاً آخر كان يصطحب ابنه البالغ من العمر ١٦ عاماً إلى الاجتماعات المسائية ولا سيما إذا كان المتكلم رجلاً أجنبياً. ولكن قبل أن يذهبوا كان الأب يطلب من ابنه أن يقرأ بعض الشيء عن بلد ذلك الأجنبي حتى ولو اقتضى الأمر مراجعة الموسوعة. لقد سمعت عدة مرات رجالاً يقولون " أتعلم أن الولد الفلاني طرح أسئلة أكثر ذكاءً من أسئلتنا". ومع الأسف الشديد لقد كانوا على صواب.

كما هناك مجال آخر يمكن لأي رجل أو امرأة من عامة الشعب أن يمارسا تأثيراً قوياً في تنوير الأمريكيين بدورهم في العالم، إنه مجال التعليم الأمريكي. فمن خلال المدرسين ومدراء المدارس وأعضاء مجلس إدارة المدرسة ومن خلال الاقتناع وتقديم القدوة الحسنة للآخرين يمكن للمدارس أن تقتنع بجدوى توسيع

برامجها في الشؤون العالمية . ويبدو لي من تجربتي الشخصية أن الشباب يستطيعون سريعاً خلق اهتمام كبير في الشؤون العالمية إذا ماأعطوا الفرصة المناسبة . ولنبدأ في ملاحظة هؤلاء الشباب في السنة الأولى من المرحلة الثانوية . وأرى أنه من الضروري تخصيص ساعة دراسية أسبوعية على الأقل في هذه السنة لشرح أحوال العالم، كما يمكن وضع برنامج عام شبيه بالبرنامج التالي : يعطى لكل طالب وظيفة لدراسة أحوال بلد أجنبي معين مثل بولندا - كمبوديا - السويد ... الخ . ويطلب إليه أن يقرأ جيداً عن ذاك البلد من ناحية الموقع الجغرافي ، السكان ، أهم الصناعات ، التجارة وغيرها . وبعد ذلك يعمل الطالب على تحضير تقرير مفصل . وعلى المدرسة أن تساعده في توفير المراجع اللازمة . كما يمكنها أن تشترك بأحد أهم الجرائد الأمريكية مثل نيويورك تايمز وأن يطلب الأستاذ المشرف من كل طالب أن يقرأ عموداً من الجريدة ويلخصه . خاصة إذا كانت الأخبار تخص البلد الذي يكتب عنه . وبعد فترة من الزمن يحددها الأستاذ المشرف يطلب من كل طالب أن يقدم تقريراً مختصراً عن الأحداث التي تجري في البلد الذي اختص به وذلك لاطلاع بقية زملائه في الصف على أحوال ذلك

البلد. وهكذا يتبادل الشبان "الخبراء" في الشؤون الخارجية المعلومات عن البلدان الأجنبية. لقد طبق هذا البرنامج في مدرسة في هونولولو ولاقى نجاحاً كبيراً. وسررتُ جداً في تحدثي مع طلاب تلك المدرسة الذين أصبحوا متخصصين في القضايا الأجنبية. فكان هؤلاء الشبان المراهقون يعرفون عدداً كبيراً من بلدان العالم أكثر من غالبية الرجال في الولاية. وقد أبدوا حماساً نادراً للشؤون الأجنبية لأنهم يمارسون جمع المعلومات عنها بأنفسهم ويقتنعون بأفكار اكتشفوها عن طريق القراءة والبحث ولم تلقن إليهم وكأنها أفكار مسبقة.

لقد خلق الطلبة في تلك المدرسة اهتماماً وادراكاً واضحاً لحاجات عدد من البلدان الأجنبية التي درسوها وتلمسوا أهميتها الاستراتيجية والسياسية بالنسبة لأمريكا. وقد قال لي أحد الطلاب:

" إن ملايين من الكوريين الذين عادوا إلى الوطن من اليابان كانوا يميلون إلى كوريا الشمالية الشيوعية بدلاً من كوريا الجنوبية. ويعود السبب الرئيسي برأيه إلى وجود نظام للإسكان في الشمال بحيث يتمكن المرء من تأمين سكن له ولعائلته ولا يوجد مثل ذلك في الجنوب. وتدخل طالب آخر قائلاً: قرأت أن أحد الكوريين في الشمال اخترع آلة بسيطة لصنع أحجار

الآجر من مواد متوفرة بكثرة وهي القش ونشارة الخشب والأعشاب وبقايا الخضروات المخلوطة مع التربة. وأرى أن أي شخص يستطيع أن يقوم بذلك وفي أي مكان وتحت جميع الظروف وبشكل سريع وقليل التكلفة. وبالتالي يساعد في بناء المساكن الشعبية بسهولة وبكلفة بسيطة، فحبذا لو نستخدم في هونولولو آلة مثلها في مشروعات البناء الوطنية.

ويحاول الطلاب إجراء كافة الاتصالات من أجل الحصول على المزيد من المعلومات حول هذه الآلة كما ينوون مساعدة كوريا الجنوبية في بناء منازل للسكن خلال عطلتهم الصيفية. وإذا صح ذلك الإنجاز يكون بفضل مبادرة عدد بسيط من الشبان المراهقين في الاطلاع والاهتمام بأحوال البلدان الأجنبية.

وأخيراً إن الشؤون العامة يجب أن لاتبقى سراً. بل يجب أن تعلن على الملأ وبصوت عال.

منذ عدة سنوات كان بول هوفمان مرشحاً لوظيفة حكومية عالية. وقد عارض ذلك الترشيح أحد أصدقائه من أعضاء مجلس الشيوخ. وعندما قام هوفمان بمعاتبته رد عليه قائلاً: "لم أستطع دعم ترشيحك وقد كان علي أن أعارض لأن في ملفك ست رسائل تعارض تعيينك وهذا يشكل رأياً عاماً ضدك".

نستنتج من ذلك أن تشكل أصوات خمسة أو ستة آلاف أمريكي مخلص رأياً عاماً مؤثراً في نجاح الاقتراحات المطبوعة في هذا الكتاب. كلما شعرت بأمر لاتوافق عليه ولديك اقتراحات مفيدة لتصحيحه أو تريد أن تعرف حقيقة أي موضوع أو قضية غامضة، عليك بالمبادرة في الكتابة والاتصالات: اكتب إلى ممثلك في الكونكرس أو مجلس الشيوخ، اكتب إلى الرئيس وإلى الجريدة المحلية ومحطات التلفزيون والراديو. فإذا لم تحصل على نتيجة مرضية كرر الرسائل والاتصالات. وعندما يحين وقت الانتخابات تفحص جيداً وقيّم أداء المرشحين وعلاقاتهم مع الشعب. ولا تقبل أبداً مايقولونه في خطبهم الدعائية. فإذا كان المرشح يخوض معركة إعادة انتخاب تساءل كيف عالج هذا المرشح مختلف القضايا أثناء ولايته السابقة. إن جريدة نيويورك تايمز تنشر عادة المعلومات عن أهم إنجازات المرشح في السياسة والتشريع. فإذا كتبت إلى مكتب النشر في الجريدة يمكن أن تحصل على أكبر قدر من المعلومات بكلفة رمزية. كما يمكنك الحصول على تقارير حول جميع القضايا التي عرضت في الكونكرس فيما يتعلق بالشؤون الخارجية. وتحتوي هذه التقارير أقوال مرشحك للكونكرس ولمجلس

الشيوخ حول مختلف الموضوعات المعروضة .

وعلى المستـوى المحلي يمكنك أن تطرح الأسئلة وتبدي رأيك في الاجتماعات السياسية للحملة الانتخابية أو غيرها . فعندما تظهر هذه الاهتمامات في جميع أنحاء البلاد فإن عدداً بسيطاً من المواطنين سيحرضون المرشحين على أن يعرفوا عملهم ويقوموا به بشكل أفضل . أنصحك أن تشترك في جريدة من من جرائد الدرجة الأولى الموجودة في الولايات المتحدة الأمريكيةوهذه الجرائد هي :

١ - نيويورك تايمز ٢ - نيويورك هيرالد تريبيون ٣- واشنطن بوست . ٤- واشنطن ستار . ٥- كريشتين سينس مونيتور ٦- وول ستريت جورنال (من أجل الأخبار الأجنبية) . ٧- شيكاغو ديلي نيوز . ٨- شيكاغو تريبيون . ٩- لويزفيل كورية جورنال ١٠- بالتيمور سان . ١١- مينيا بوليس تريبيون . ١٢- ميلواكي جورنال .

إنني واثق من أن جريدة نيويورك تايمز أكثر الجرائد شمولية في العالم . إن من يصدر في النهاية الحكم الأمثل هو أنت . أقترح عليك أن تشترك في إحدى الجرائد المذكورة أعلاه وتقارنها مع الجريدة التي تصدر في بلدتك لتعرف الفرق .

الفصل الرابع

مجابهة التحـــــدي

ثاني عشر- مجابهة التحدي :

بعد أن أنهيت مخطوطة هذا الكتاب ألقيت محاضرة حول ماجاء فيه . وفي نهاية المحاضرة أصغيت باهتمام إلى مداخلات المستمعين . وأسئلتهم . وفيما يلي أهم الأسئلة والأجوبة عليها :

س١ - إذا كتبنا رسائل إلى محطات التلفزيون والراديو وأقمنا الدنيا وأقعدناها كما ذكرت في محاضرتك ألا نوصم بأننا خارجين عن المألوف ومنحرفين وربما نتهم بالشيوعية؟

ج- نعم يمكن أن يحدث ذلك . ولكن أذكر بأن جفرسن كان يعتبر راديكالياً ولينكولن متطرفاً . كما كان يظن الناس بأن وليام آلن وايت عندما بدأ جريدته النقدية اللاذعة " امبوريا " كان رجلاً سيئاً . وأديسون وفولتون كان يهزأ منهما الناس ويعتبرانهما مختلين عقلياً . والقائمة لانهاية لها . إن سؤالك يشير إلى الآتي : " هل تفضل أن تكون أمريكياً فردياً (مختلفاً) مع جميع مايمكن أن تتعرض له من أخطار أو تفضل أن تكون مواطناً في أمة رخوة ضعيفة والتي في النهاية سيكون خروتشوف رئيساً لها؟ . هل تفضل أن تبقى جامداً لاتفعل شيئاً ولا تعرف شيئاً لأنك مع الملايين غيرك تخافون أن تتكلموا وتسمعوا أصواتكم عالياً ؟ .

هذا هو القرار الذي عليك أن تتخذه .

س ٢- في حالة ارسالنا رسائل إلى الجرائد أو إلى ممثلينا في الكونكرس أو مجلس الشيوخ أو إلى البيت الأبيض ألا نتلقى أجوبة غامضة ومضللة، كيف نعرف بأن هذه الأجوبة تقول الحقيقة ؟ وكيف السبيل للتحقق من صحتها. أو كيف لنا أن نعرف بأنها قرأت حقاً؟

ج -نعم كل هذا ممكن. إذ يمكن أن تكون الأجوبة غامضة وكاذبة خاصة إذا كان السؤال حول أخطاء واخفاقات حصلت. لأن ذلك لايريح من يقرأها من المسؤولين. ولكن فعالية العملية الديمقراطية تكون متناسبة مع نسبة اهتمام المواطنين في أمور الحكومة. مثلاً إذا كتب شخص في منطقة ما إلى ممثله في الكونكرس يسأله عن أمور لاووس (يمكن أن لايكون هذا الممثل ضليعاً في شؤون لاووس) فيرسل السؤال إلى وزارة الخارجية أو إلى هيئة الاستخبارات المركزية أو وزارة الدفاع ليوافوه بالمعلومات اللازمة. وينتج عن ذلك الأمور التالية :

- تدرك أجهزة الحكومة بالتدريج وجود اهتمام شعبي في الموضوع (بما فيها رجل الكونكرس).

فإذا تلقى عشرة أعضاء في الكونكرس من

مواطنيهم رسائل يسألون فيها عن الموضوع نفسه وأحيلت رسائلهم إلى أجهزة الدولة للاستفسار عنها تكون وزارة الدفاع والخارجية وهيئة الاستخبارات المركزية شديدة الحرص في أجوبتها . لأن المسؤولين في الحكومة يعلمون تماماً بأن الكونكرس لديه السلطة في ارسال بعثات تحقيق إلى أي منطقة في العالم . بالإضافة إلى أن عضو الكونكرس الذي يتلقى الأسئلة من المواطنين يعرف تماماً بأنه يعتمد عليهم من أجل إعادة انتخابه في المستقبل . وإذا وجه عدد من المواطنين أسئلة إلى ممثليهم حول الشؤون الأجنبية لبلد ما فعلى هذا الممثل أن يدرسها بعناية ويجيب عليها من أجل مستقبله السياسي ولهذا يعمل جهده في الإجابة عليها بدون إبطاء أو تأخير . وإذا أرسلت مئات من الأسئلة سيصل الأمر إلى الجرائد . وتكون بمثابة أخبار فيقوم المحرررون بالبحث والتدقيق في الموضوع بأنفسهم ليتوصلوا إلى الحقيقة .

ففي " النظام الحر " تصبح اهتمامات الأفراد ومصالحهم في الشؤون الحكومية مثل كرة الثلج . وإن المبدأ في العد الانتخابي " واحد فواحد " يعد الطريق للنجاح . لذلك فإن أسئلتك واتصالاتك الجادة يمكن أن تكون العامل المؤثر الذي يوقف تعييناً لمرشح سيء أو

في اقتراح البدء بوضع قانون جيد أو دعوة مسؤول كبير في وزارة الخارجية لتغيير قرار اتخذه. هذا هو قانون ممارسة الديمقراطية فعندما يظهر المواطنون اهتماماً بأحوال الأمة وشؤونها يكون أداء الأمة شريفاً جيداً. ولكن عندما يصبح أفراد الشعب غير مبالين تسود الديكتاتورية والجهل ويضعف الشعور الوطني. وعندما تفكر في خلق الأعذار لنفسك مثل قولك لماذا أحاول الحصول على أجوبة قد تكون مموّهة؟. أو لا أرغب في أن أوصم بالانحراف أو لا أعرف إلى من أكتب. أو لماذا لاأترك الأمر إلى الخبراء المختصين أليس وجود الحكومة هو من أجل ذلك؟

إذا فكرت هكذا فإنك تكون عندئذ عديم الشعور بالوطنية والمسؤولية وكسولاً ولا تستحق الديمقراطية أن تكون أسلوباً في حياتك. وأكثر في ذلك لايمكنك حمايتها لمدة طويلة.

س٣- ليس هناك من جديد بالنسبة إلى الأخطاء والفساد في لاووس أو كوريا أو الصين. لقد سمعنا عنها منذ زمن طويل. لماذا تكتب عنها الآن؟

ج -لقد وضعت أصبعك على الوتر الحساس فيما ورد في كتاب "أمة من الغنم". بالتأكيد لقد سمعنا عن أخطاء الولايات المتحدة الدولية منذ زمن طويل.

ولكننا عرفناها بعد أن أصبح من الصعب التستر عليها . سأجيب على السؤال بطرح سؤال عليك .

بعد أن عرفت بهذه الأخطاء وأحوال الفساد ماذا اتخذت من إجراء شخصي حيالها؟ بالطبع لم تفعل شيئاً لقد حركت رأسك وأنت تقرأ عنها وتحولت إلى صفحة الرياضة أو إلى صفحة الفكاهة وأخبار المجتمع المحلي . إن الأخطاء الفظيعة التي ارتكبت من قبل الولايات المتحدة الأمريكية في كوريا ولاووس والصين والتي ذكرتها في هذا الكتاب ماهي إلا من أجل تذكيرك وتذكير غيرك بأنكم عرفتموها بشكل متأخر . وعندما سمعتم عنها لم تستوعبوا مغزاها وخطورتها ولم تقوموا بأي عمل من أجل تصحيحها . فلم تظهر أي علامة شعبية من علامات الغضب والاستنكار . وكأن ذلك لايعني الشعب الأمريكي أبداً . لأن كل فرد استمر في مضغ العلكة والاسترخاء والشعور بالأمان في

" أمة من الغنم " . بينما تقبلتم بصمت الممارسات المخزية وتمكن الشيوعيون في التأثير على نصف الكرة الأرضية .

س٤ – أعترف بأن أغلبنا يعد من المواطنين الفقراء وعلينا أن نصلح هذه المسألة . ولكن ألا يوجد طريقة

بأن نجعل الرئيس والكونكرس يبدؤون أولاً . أنت تعلم بأن الموضة حالياً أن تعمل الحكومة من أجل أن تقف على رجليك . وأن يكون صوتك مسموعاً عندما تبدي رأياً حول القضايا العامة .

ج -لقد جابه رئيس الفيلبين " رامون ماكسيساي " المشكلة نفسها . وكان يستمع فقط إلى أقوال السياسيين في مانيلا ويطلع على بعض الجرائد التي تطبل وتزمّر له . وكان يرغب في معرفة مايفكر به أفراد الشعب . ومن أجل ذلك قام بعمل فريد من نوعه . فقد أصدر أمراً بالسماح لأي فيلبيني أن يرسل تلغرافاً إليه بكلفة لاتتعدى عشرة سنتات فيلبينية . وقد نجح هذا الأسلوب إذ وجد الفيلبينيون وسيلة سهلة للاتصال المباشر مع الرئيس . وبالرغم من أنهم كانوا يعلمون أنه لايقرأ جميع تلغرافاتهم بنفسه ولكنهم سمعوا بأنه قد شكل لجنة خاصة لتلقي التلغرافات وتلخيصها وتقديمها إليه . وهكذا اطّلع الرئيس " رامون " على آراء الشعب بصورة مباشرة . ربما يمكننا في الولايات المتحدة الأمريكية أن نجرّب مثل هذا الأسلوب الذي بموجبه يستطع أي مواطن أن يرسل تلغرافاً إلى الكونكرس أو مجلس الشيوخ أو إلى الرئيس يبين فيه رأيه أو طلبه على أن لاتتعدى الكلفة أكثر من ٢٠ سنتاً .

صحيح أنه يمكن كتابة رسالة طويلة ولكن أغلب أفراد الشعب مشغولون وليس لديهم الوقت الكافي ثم إنهم كسالى. فإذا كان بمقدور المواطن أن يرسل تلغرافاً بكلفة بسيطة ستكون المهمة سهلة على الجميع.

س٥- هل تظن أن الأخطاء والكذب وفقدان المعلومات تلام عليها إدارة الرئيس ايزنهاور ؟

ج -كلا ولكن إدارة ايزنهاور لم تكن نشيطة بما فيه الكفاية في إعطائنا صورة واقعية عن الأحداث الوطنية. والشعب الذي لايعلم عليه فقط أن يلوم نفسه. إن الجهل وانعدام الاهتمام لدى المواطنين أصبح يعتبر خطيئة وطنية بغض النظر على من يجلس في البيت الأبيض.

إن حبنا للاستطلاع السياسي وجرأتنا قد ضعفت وكادت أن تتلاشى وذلك بسبب الثقة الزائدة في الإدارة التي تولدت من الازدهار الطبيعي للولايات المتحدة الامريكية.

وإذا قام الرئيس بمجهود شخصي ليكون قريباً من الأحداث الوطنية والعالمية وأظهر ذلك في تصريحاته العامة للشعب أثناء عقد المؤتمرات الصحفية سيصبح ذلك سابقة لغيره من الرؤساء. ومن خلال

ذلك يمكن للشعب أن يتعرف على مايحدث في غانا أو بولندا أو لاووس تماماً كما نعرف كيف نستشهد بمستوى عدد ضربات البيسبول أو نعيد ذكر آخر إشاعة عن نجم سينمائي . إن الفرص المتاحة لمستر كنيدي كي يوجه الأمة بهذا الاتجاه لاحصر لها .

س٧- إذن إنك تعني بأن كتابك هذا سيكون دليلا وبرنامجاً للمستقبل؟

ج -نعم هذا صحيح .

ثالث عشر - الخلاصة :

لقد أشرت في مقدمة هذا الكتاب إلى التجاوب الذي حصلنا عليه من ثمانية آلاف رسالة من القراء حول كتابنا " الأمريكي القبيح " من مختلف الجهات في الولايات المتحدة ومن مختلف المستويات الثقافية والمهنية والتي كان كتّابها يسألون بشكل أو بآخر الأسئلة اليائسة نفسها تقريباً : ماذا يمكن للرجل العادي أن يفعل تجاه الصورة المخيفة والمرعبة للولايات المتحدة الأمريكيةفي عيون الآخرين؟ وكيف يستطيع الرجل في عمله والمرأة في بيتها المساعدة في تخفيف الأخطاء التي يستغلها أعداؤنا ضدنا في جميع أنحاء العالم .

إنني أعيد المرة تلو الأخرى سواء في المراسلات أو

في المحاضرات أو أثناء التنقل أو عبر الهاتف ردود فعل كل المواطنين الأمريكيين :

" نستطيع أن نعمل من أجل مساعدة بلدنا " .

يبدو واضحاً بأنهم لو كانوا على اطلاع بما يجري على الساحة الوطنية أو الدولية لما بادروا بطرح مثل هذه الأسئلة . وأيضاً لو توفرت للمسؤولين الرسميين الحقائق الواضحة عن شؤون العالم لما ارتكبوا تلك الأخطاء .

لدى الولايات المتحدة الأمريكية ثروات أكثر من أي أمة في العالم كما أنها تملك موارد ووسائل ثقافية وحرية أكثر ، وإذا كانت قد أخفقت في بعض الأمور فإن هذا الإخفاق بسبب الجهل والغباء . إننا نسمح للأعداء باستغلال أخطائنا فكل واحد منا يشعر بصورة غريزية بأن هذه الاخطاء التافهة تعد السبب الرئيسي لاخفاقاتنا .

ومع ذلك فقليل منا يطالبون بإلحاح بوجوب اتخاذ إجراء ما لتصحيح الأمور . وعدد أقل يقدمون اقتراحات عملية عن كيفية التصحيح . أما الآخرون فإنهم يضربون كفاً بكف متأسفين : " ماذا يمكنني أن أعمل " ؟ لقد ضاع كل شيء " .

إننا نتصرف كأننا أمة من غنم وليس كأصحاب مجتمع قوي من الشجعان المتنورين. وفي هذا الكتاب حاولت باختصار إنجاز ثلاثة أمور:

أولاً- قمت بتحليل الأسباب الأساسية لجهلنا على المستويين الرسمي والشعبي.

ثانياً- أوضحت أن المسؤولين في الحكم انعكاس مباشر لما هو عليه الشعب (مثلما تكونوا يولى عليكم) فإذا كنا جهلاء ولامبالين ستكون حكومتنا جاهلة ولا مبالية أيضاً.

ثالثاً -تقدمت ببعض المقترحات الخاصة لما يمكن للمواطن العادي أن يقوم بها في كل يوم من أيام حياته من أجل أن يصبح على علم بكافة الأمور فيعمل جاهداً على تحويل الحكام الهواة إلى حكام محترفين.

إن هذه النقطة الأخيرة والهامة في هذا الكتاب توضّح أن حال الأمة من حال المواطنين وأننا بالطرق الديمقراطية يجب أن نكون القدوة الذي يحتذي بها الحكام والمسؤولون.

لقد قال بعض علماء الاجتماع وعلماء السياسة بأنني مخطئ في تصوري. وقالوا بأن الوضع الأمثل للأمة لاينبع من الشعب وإنما من جهود قائد قوي.

إنني أعترض على ذلك بقوة لأنني أعتقد بأنه إذا تضافرت جهود أفراد الشعب في تثقيف أنفسهم وعملوا بشجاعة ونشاط وفق معرفتهم عندئذ فقط نتمكن من خلق قادة أقوياء ملتزمين بالمبادئ ومزودين بالمعلومات. فهم ينبعون منا. لذلك علينا أن نخلق الجو المناسب الذي يمكن أن يترعرعوا ويزدهروا فيه.

ففي كل لحظة يظهر حدث جديد مليء بالتحديات. ومن أجل البقاء علينا أن لانتصرف كأمة من الغنم. بل يجب أن نصبح مرة أخرى مواطنين ثوريين يجب أن نتحرك وننمو مع تغيير مجريات الأحداث وتطورها.

وطالما أننا ندرك فهم حقائق العالم الذي نعيش فيه يمكننا أن ننتصر. يجب أن نطمح بأن نبقى على علم جيد بكل شيء. كما يجب أن لانخاف في سيرنا إلى الأمام. ونسير بشجاعة وإقدام. إن الأمة التي تبقى في مكانها لاتتقدم وتظن ببلاهة بأن كل شيء سيكون على خير مايرام فتضيع فرصتها في البقاء.

إن من ستبصر عيناه هذه الكلمات ومن ستحمل يداه هذا الكتاب سيملك أساس القوة والشجاعة لمساعدة أمتنا عندما نحتاج إليه. ولكن سوف لايكون لدينا الوقت الكافي للانتظار حتى تأتي فترة البطولة

المجيدة الواضحة . إن هذه الفترة تكون عندما تسمح لك الفرصة بأن تتقن عملك تحت العلم الذي يرفرف فوقك والفرقة الموسيقية التي تعزف أناشيد النصر . فكل الأوقات محتملة أن تكون بطولية وعظيمة . يجب أن يعمل المواطن بجد ويمارس واجباته الوطنية في كل يوم من أيام حياته . لايوجد هدنة أبداً ولا عطلة في هذه الحرب مع الذات .

الآن وأنت تقرأ هذه الكلمات يمكنك أن تصل إلى المواد المنشورة في جريدتك المحلية وأن تتصل بإدارة محطات التلفاز ومحطات الإرسال الإذاعي وأن تأخذ الخطوة الأولى من الفعل الشخصي وستظهر لك النتائج . وأقترح عليك بأن تسرع . إن شاشة التلفاز يمكن أن تكون لامعة ومنورة وإن بيتك المريح يمكن أن يكون دافئاً . ولكن في الخارج يخيم الظلام والصقيع .

محتويات الكتاب

الصفحة